

أدونيس

الكتاب

أهس المكان الآن

III

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

علي مولا

الهناقي

أدونيس

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

الكتاب

أهس الممكن الآن

مخطوطة تُنسب إلى المتنبي
يُحققها وينشرها أدونيس

الكتاب

أهس الممكن الآن



مكتبة
دار الكتب
بمكة المكرمة

خطوط الغلاف: محمد سعيد الصكار

أدونيس

الكتاب

أمسس المكان الآن

مخطوطة تُنسبُ إلى المتنبّي
يُحقّقها وينشرها أدونيس



دار الفيل

© دار الساقى
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ISBN 1 85516 535 X

دار الساقى
بناية ثابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارول)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢
بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 020-7-221 9347. Fax: 020-7-229 7492

I

فاصلة استباق

إنها أرضه التي ينتمي إليها ، -

تنحني كأنها الياء .

- في

ويريد أن تنهض كأنها الهمزة على ألف الطبيعة .

كل

باسمها يحرث الحنين ويسقي حدائق الرغبة .

مكان

باسمها يفتق الفضاء خيطاً خيطاً .

ينتظره

موت

يسكن شهيقتها في أعضائه يسكن

ما .

زفيرها في تأوهات

مركبة من آلهة حواسه ، ولا تزال سراً وعصية عليه .

باسمها يشرح الروح بصخب المادة

يبتكر علماً لتحليل السماء يستضيف اللاهوت

الفلسفة العلم الفقه والشرع يستودع

التاريخ مواعيده ويتصارع معه يرى

نفسه في هذه الأرض ويُسهر عليها حروبه .

أَنْتِ، يا مَنْ قُدَّتْ وردةُ الحياة من البذرة

- إلى إلى الأريج،

متى قولي كيف يقود أعماله -

يصدق

الشعر هو

ويكذب المبعثر الذي يُغني مُهينماً أشلاءه؟

وعده؟ تنشجين في اتجاه السديم، لكن لا يزال

تراثك يهذي بالولادات.

عذب هو السفرُ في مراكب الرؤيا في صَبواتٍ كمثَل نساءٍ

- يدُ الشعر يمشطن رؤوس الأيَّام وما أبسط جغرافية

تجسَّ نبضُ النشوة ما أهدى خرائطَ تيهها.

الأغوار، هوذا يتقدَّم في دخانٍ يخيِّط الأفق وها أنتِ

- أهَي نبوة المحو؟ يا أرضه تشردين في محيط احتمالاتٍ في عصرٍ

- أهو المَحو؟ كمثَل فاصلةٍ بين الموتِ والموتِ،

يُعلن وأين الإشراق الذي يقرأ ضربةَ التردِّد؟

البدايات؟

(١) علي بن محمد، قائد الزنج.

(٢) «كان للزنج بواسط حركة، فصاحوا: أنكلاني، يا منصور. وكان أنكلاني والمهلبني وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخر معهم من قواد الزنج، محتسبين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام في دار البطح في يد غلام من غلمان الموفق، يُقال له فتح السعيد. فكتب الموفق إلى فتح أن يوجه إليه برؤوس هؤلاء الستة. فدخل إليهم فجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبحهم غلام له، وقلع رأس بالوعة في الدار، وطرح أجسادهم فيها، ووجه رؤوسهم إلى الموفق». (الطبري، أحداث السنة ٢٧٢هـ).

الذاكرة

٢٧٢هـ.

خُذْ يَدِي،

خُذْ دَوَائِرَ جِسْمِي وادخلْ معي في

الدُّوَارُ،

أَيُّهَا الرَّاقِصُ الْمَلِكِيُّ

الْمَتَوِّجُ بِالشَّمْسِ،

يَا أَيُّهَا الْغُبَارُ.

بعد قتل علي^(١)،

من نرى

سبحرك للزنج

في هذه الظلمة الغامرة،

سرر الذاكرة؟

- منصور، أنكلاني^(٢)!

هواك أرض ووعد،

وأنت للناس آي!

* القصيدة كالشمس،

لا تتقيأ إلا بإشعاعها.

«المسيح؟ رأيت

المسيح، سمعت

المسيح يكاثف قلبي:

«أنني مثل نخي

وأنني روح القدس.

أنني الحجة الداعية

لعوالم أفلأكونا

الثانية»^(١).

- ب -

أسلمته الحياة إلى لجها

لا انجرف لمسراه في هولها،

لا تخوم.

لم يكن، مرة، حاملاً

راية الجن، أو قارئاً للنجوم.

مثل نول، يد الوقت تأتي وتمضي

في نسيج يرتل الواحة:

واحداً للرحيل

واحداً للطريد القتل

واحداً...

والخيوط على عهدها

في يد الوقت، محمولة في

يديه،

عبتاً تقرأ الخيوط نسيج

الفجيرة في مقلتيه.

* أيهذا الضياء الذي يتحدّر من جرحنا،

قل لخيوط الدم:

هل عرفت بمن نهتدي؟

هل عرفت لمن ننتمي؟

(١) كلام يُنسب إلى حمدان
قرمط الذي تنمي إليه الحركة
القرمطية. وكان بدء ظهورها
في الكوفة - مسقط رأس
المتنبي.

- ج -

أَلْبَلَاذُ الَّتِي أَنْتَمِي إِلَيْهَا
لُغَةٌ فِي الْمَجَازِ - تَرَحَّلْتُ فِي صَوْنِهَا،
صَمَمْتُ إِلَيْهَا سِوَاهَا؟
وَأَسْلَمْتُ جَبْرِي لِتَأْوِيلِهَا.
أَقْسَمُ الْأَفْقُ وَالْغَيْمُ أَنَّ تَأْوِيلَهَا
لَا تُعَانِقُ غَيْرَ التَّرَحُّلِ:
مِنْ هِجْرَةٍ إِلَى هِجْرَةٍ
وَمِنْ مَوْعِدٍ إِلَى آخَرٍ.

- «إِنِّهَا الْفُؤَادُ،

لَا مَكَّةَ.

قَبْلَةُ الْقَرْمَطِيِّ».

- «هَكَذَا قِيلَ».

- مِنْ أَيْنَ يَنْزِلُ

هَذَا الْبَلَاغُ

عَلَى ذَلِكَ النَّبِيِّ؟

* إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ جِرَاحِي
شَبَحًا أَتَرَدَّدُ فِي لَمْسِهِ.
أَهْ مِنْ مُخْمَلٍ فَاتِنٍ
يَتَدَلَّى عَلَى كَتِفَيْهِ.

(١) كلام يُنسب إلى حمدان
قرمط .

- د -

ما ليُخزني يطاردُ أسرارهُ

ما لَهُ ساهرٌ

يتقلبُ في دائرِهِ؟

أعطِهِ، أيُّها الجمرُ مفتاحَهُ

وَأعدَّهُ لبيدائِهِ .

أصحيحُ

أَنتي لستُ إلاَّ الطريقَ الذي سِرَّتُهُ؟

الذاكرة

٢٧٨هـ .

- « لا أخذُ

يقدرُ

أن

ينالني

بسوء»^(١)

* مطرُ اليأسِ جارِفٌ، والصَّبَابَاتُ هَبَاءٌ،

والحبُّ جسمٌ عليلٌ

أهيَّ الصَّخْرَةُ؟ انفجرِ، أيُّها الماءُ،

وَأعربِ يا ذلكَ التأويلُ .

- ه -

كُلُّ هَـذِي الدَّرُوبِ تُوَدِّي إِلَى وَحْدَةٍ

فِي الْمَسَارِ - الْعُبَارِ، وَلَا فَرْقَ

فِي الْخُطُواتِ: أَكانت تَوُوبُ

أَمْ تَسافِرُ. أَدْعُو

أَسائِلُ:

مَنْ يَأْخُذُ الْأَرْضَ مِنْ جَذْرِهَا

وَيُسْتَتُّ هَـذِي الدَّرُوبُ؟

يَعْرِفُ السُّمُّ أَوْ جاعَنَا:

بَذْرَةُ الْعَيْمِ فِينَا.

* وَحَدِي - لَا أَشْكُو

لَا أَرْجُو عَوْنًا، لَا أَطْلُبُ نَجْدَةً:

تَحْمِينِي وَتُعْذِّبْنِي هَـذِي الْوَحْدَةُ.

الذاكرة

٢٧٩هـ.

- «لا يُباع كتاب»^(١)

فِي التَّفَلُّسِ أَوْ فِي

عِلْمِ الْكَلَامِ.

لَا مَكَانَ لَدَيْنَا

لِمَنْ صَاحِبِ النُّجُومِ،

وَخَانَ النُّظَامِ».

إِصْرَحُوا هَكَذَا

فِي شَوَارِعِ بَغْدَادَ

حَتَّى يُفِيقَ الشَّيْءُ.

السَّمَاءُ الَّتِي تَتَحَوَّلُ لَيْلاً إِلَى جَرَّةٍ
حَضَنْتَنِي مِرَاراً
وَمِرَاراً سَقَتَنِي إِكْسِيرَهَا.

السَّمَاءُ الَّتِي لَا تُصَلِّي
لِجِرَاحِ الَّذِينَ يَشْكُونُ فِيهَا
وَيُثْورُونَ، مِنْ حَيْرَةٍ، عَلَيْهَا،
لَا أَصَلِّي لَهَا.

الذَّاكِرَةُ

٢٧٩هـ.

مَاتَ حَنْقاً^(١)،
كَمَا قَالَ بَعْضُ،
وَبِالسُّمِّ فِي قَوْلِ
بَعْضٍ.

* عَادَةً، تَأْمَلُ الرِّيحُ،
لَكِنَّ رِيحَ الْبِلَادِ الَّتِي أَنْتَمِي إِلَيْهَا،
لَا تَقُولُ سِوَى يَأْسِهَا،
لَا تَقُولُ سِوَى نَفْسِهَا.

- ز -

أَشْتَتُ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ . تُرَاهَا -

كَلِمَاتِي خِيُولُ

وَصَدْرِي حَقُولُ لَهَا؟

إِنَّهُ الْمَوْتُ يَنْسُجُ

قِمَصَانَهُ هَذَا الْفَضَاءَ الَّذِي

أَتَقَدَّمُ فِيهِ ، وَتِلْكَ جِرَاحِي

نَفَرْتُ مِنْ سَرِيرِ مَجْرَآتِهَا .

الذَّاكِرَةُ

٢٧٩هـ .

كَانَ يَرْنِي لِحَالَتِهِ قَائِلًا^(١) :

«أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ

أَنْ مِثْلِي

يَرَى مَا قَلَّ مَمْتَنًا

عَلَيْهِ ،

وَتُؤْخَذُ بِأَسْمِهِ

الدُّنْيَا جَمِيعًا

وَمَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ

فِي يَدَيْهِ» .

* البرقُ ذَاكَرَتِي -

نَشَرْتُ غَيُومَ حَزْنِي

فِي غَابَةٍ ،

وَشَرَدْتُ بَيْنَ خِيَامِهَا :

الْحَبُّ آخِرُ خَيْمَةٍ .

- ح -

قارئ الرَّمْل يسأل:

من أين تأتي إلى الكون

هذي الرسائل،

من أين يأتيه هذا البلاغ؟

وأنا قارئ الكون، أسأل:

من أين يأتي إليه - هو المِلءُ

والمالئ الكُلّ،

هَذَا الفراغ؟

- «لا طريق إلى العرش،

لا سبْذَرَة، لا خَلاص

غير أن يُطرح النَّاسُ وَالْمَلِكُ

في ذائب الرِّصاص»^(١).

* أخذتني إلى بيتها وردهً

موثها عطرُها:

أه من ريشةٍ

جسدي جبرُها.

(١) الإشارة إلى رواية أخرى
عن موت الخليفة المعتمد
تقول إنه زُمي خيًّا في رصاص
مُدَّوب.

- ط -

أَتَرْحَلُ . هَلْ وَمَاءٌ؟

هل لقاء بلا موعد؟

لا أَحِبُّ لِيَشْمِسِي

أَنْ تُعَاشِرَ أَشْلَاءَهَا .

بين أَشْوَاقِنَا وَتَبَارِيحِهَا ،

أَتَوَقَّعُ أَنْ تُبَدِّعَ الْمَعْصِيَةَ

لُغَةً الْأَغْنِيَةَ .

الذَّاكِرَةُ

٢٨٠هـ .

- «لَنْ أَقِرَّ

عَلَى مَنْ دَعَوْتُ

إِلَيْهِ ،

وَلَوْ أَنَّ نَارًا

شَوَّتُنِي»^(١) .

- «سنفعلُ هذا»^(٢) .

(١) هذا الكلام يُنسب إلى

محمد بن الحسن بن سهل ،

المعروف بِـ «شَيْلَمَةَ» ، وكان

مع صاحب الزنج . سأله

الخليفة المعتضد عن الرجل

الذي يدعو إليه ، فأجابه : «لو

كان تحت قدمي لما رفعتُهما

عنه» فَأُبِيرَ بِنَارٍ ،

فَأُوقِدَتْ ، ثُمَّ شُدُّ عَلَى خَشْبَةٍ ،

وَأُدِيرَ عَلَى النَّارِ ، حَتَّى تَقْطَعَ

جلده . ثُمَّ صُرِبَتْ عُنْقُهُ ،

وَصُلِبَ . «الطبري ، أحداث

السنة ٢٨٠هـ) .

(٢) الكلام للخليفة

المعتضد .

* أَيْنَ مِنْ سَيَخْلُصُ عَضْرِي

مِنْ عَكَازِزِ أَنْقَاضِهِ؟

هوذا شيلمه

كوكب من وقاء وحب

يتلألأ في

أرضه المظلمة.

- ي -

رَفُصْ عُشْبٍ. تِلَالُ

تتخاصرُ. غَيْمٌ

عابرٌ في قوافلٍ لا ماءَ فيها.

شَجَرٌ نَاجِلٌ

شَجَرٌ مَائِلٌ.

جَوْقَةٌ لِلرَّحِيلِ

أنتَ فيها الشريدُ وأنتَ الدليلُ.

* ها همُ العاشقونُ

لا طريقَ لأحلامهم

غير لئيلِ الهبوطِ على درجاتِ الجنونِ.

- ك -

خطواتي -،

في الطريق إلى مصر، سكرانة

بتباريحها تلوذ،

بأنقاضها تُفْتَتَن.

تتهجى مداها وتوغل في أبجدية أهوائها،

وتؤلف ما بينها

وبين تجاعيد هذا الزمن.

الذاكرة

٢٨٠هـ.

ها هو الفارس الذي

جاء من بعده^(١)،

لم يعد يتجرأ أن

يلبس الریح، أو أن

يسيل دم الأغنية

في سرايين تاريخه.

أتراها -

في هجير الزمان

وصحرائه،

سبقتة إلى التوبة

المعصية؟

* يكتب الشعر كالأرض تكتب أزهارها، -

شعره

مثل هذا التراب الذي ينتمي إليه:

فلك سايح.

(١) الضمير هنا عائد إلى
شيلمه.

- ل -

لِلسَّمَاءِ رِداءٌ
خَيْطٌ فِي خَضْرِهِ
شَكْلُ جِسْمٍ وَصُورَةٌ عِزَافَةٌ.
وَلَأَكْمَامِهِ شَرِيطٌ
مِنْ عَنَاقِبِ سُودٍ.

مَا أَحَبَّ إِلَى سَيِّدِ الْمَوْتِ، هَذِي الْعَشِيَّةُ
قَزْدُ أَيَّامِنَا الْمَتَنَكِّرُ فِي فَرْوَةِ آدَمِيَّةٍ.

* سَاهِرٌ حَوْلَ صَمْتِ الْجُثْثِ،
فَالِإِلى أَيْنَ يَمْضِي بِفُلُكِي هَذَا الْعَبَثُ؟

الذَّاكِرَةُ

٢٨٠هـ.

شَيْلَمَةُ -

شُكُّ فِي السُّيُخِ

مِنْ قَدَمِيهِ إِلَى

شَفَتِيهِ،

وَضَعُوهُ

فَوْقَ نَارٍ، يُدَارُ عَلَيْهَا

وَيُشْوَى.

بعد هذا،

ضربوا عُنُقَهُ،

ولم يكتفوا:

صَلَبُوهُ!

- م -

أَيْنَمَا كُنْتُ، أَوْ كَيْفَمَا كُنْتُ، تَسْمَعُ
فِي جَرَسِ الْوَقْتِ صَوْتًا يَقُولُ:

ابْتَدِئْ،

عَنْ مَاءِ الْخَلِيقَةِ كَيْ يَتَلَقَّحَ
هَذَا الْوُجُودُ، وَكَيْ يُبْتَكِرَ،
كُنْ عَلَى الْأَرْضِ بَابِلَ، أَوْ كوكِبًا
يَتَنَزَّلُ فَوْقَ الْمَدَائِنِ،
فِي كُرَّةٍ مِنْ شَرَرٍ.

الذَّاكِرَةُ

٢٨١هـ.

- «اخْفُزُوا لِلْعَدُوِّ

الَّذِي لَا يَرَى رَأْيَنَا

خُفْرَةً،

ثُمَّ ذَلُّوهُ فِيهَا عَلَى

رَأْسِهِ،

وَاطْرَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ

الْتِرَابَ عَلَيْهِ،

وَدُوسُوا التِّرَابَ

إِلَى أَنْ يُوَدَّعَ أَنْفَاسُهُ»^(١).

* مَا لِأَيَّامِنَا لَا تَرَى

تَحْتَ هَذِي السَّمَاءِ،

أَيَّ نَهْرٍ لَتَجْرِي فِيهِ

غَيْرَ نَهْرِ الشَّقَاءِ.

(١) الإشارة هي هنا إلى
الخليفة المعتضد، كذلك.

- ن -

في دمي كائن آخر
ليس نفسي، ولكنني
لست إله، إلا خطأ وآثاره.

بيننا طيف وصل وفصل
وأنا عابر مقيم
لا مقيم ولا عابر.

الذاكرة

٢٨١هـ.

ورؤوا:

كان ينصب^(١)

أعداءه

كالذريئة في

فصره،

ثم يرميهم بشابه

إلى أن يموتوا.

* أتراني، حياة وموتاً، رفيق
ليأسي؟
أتراني باسم الوفاء لنفسي،
عدو لنفسي؟

هَـا هُمُ الشَّعْرَاءُ :

يَمُوتُونَ فِي التِّيهِ،

لَا قَابِرُونَ وَلَا أَضْرَحُهُ،

وَالْقَصَائِدُ مِنْ حَوْلِهِمْ

تَتَأَوَّهُ مَكْسُورَةً الْأَجْنَحَهُ .

السَّوَادُ يَجْزُرُ الْمَدَائِنَ

يَجْتَرُّ أَنْقَاضَهَا،

مَازِجاً جِسْمَهَا بِعَقَاقِيرِهِ .

الذَّاكِرَةُ

٢٨٢هـ .

هل أحدٌ يُضَيِّعُ

بمِصْبَاحِهِ،

هَلْ أَحَدٌ يَقْرَأُ

هذا الزَّمانُ؟

أُنْكَرْتُ الْأَغْصَانُ

أشجارها

أُنْكَرْتُ الْأَشْجَارُ

أغصانها،

واختلَطَ الْقَدَيْسُ

بِالْبَهْلَوَانِ .

* رَبِّمَا،

فِي الزَّمانِ الَّذِي يُقْبِلُ

لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سِوَى الشَّعْرِ :

يَسْأَلُ، أَوْ يُسْأَلُ .

الذّاکرة

٢٨٣هـ.

هُوَذَا جَيْشُ^(١) يَضْرِبُ

عُتْقِي عَمَّيْنِ لَهُ.

هُوَذَا جَيْشٌ مَقْتُولٌ

بِيَدِي هَارُونَ

أَخِيهِ:

هَلْ فِي كُلِّ أَخٍ

شَيْءٌ مِنْ هَارُونَ،

وَشَيْءٌ مِنْ جَيْشٍ؟

- ع -

يَقْتُلُ الْمُلْكُ أَبْنَاءَهُ

غَاسِبِلًا وَجَهَهُ وَيَدِيهِ

بِطُفُولَاتِهِمْ.

وَالْمُعَزَّوْنَ آتَوْنَ مَاضُونَ خُرُسٌ

لَا مَجِيبٌ وَلَا سَائِلٌ.

قَلْتُ: فَوْضَى؟ وَلَكِنْ

مَا نِظَامُكَ يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُ؟

* مِثْلَ تَوْبٍ

أَجَزَ زَمَانِي عَلَى الْأَرْضِ، أَكُنْسُ دَرْبِي

بَأَذْيَالِهِ،

وَأُفَكِّكَ أَزْرَارَهُ.

(١) هو ابن خمارويه،

وهارون أخوه.

«... وثبّ الجند على

جيش بن خمارويه، وقالوا

«لا نرضى بك أميراً علينا،

فتنحّ عنا حتى نولي عمك».

عدا جيش على عمه،

فضرب عنقه، وعنق عم له

آخر

هجم الجند على جيش،

فقتلوه، وقتلوا أمه، وانتهبوا

داره، وانتهبوا مصر،

وأحرقوه، وأقعدوا هارون بن

خمارويه، مكان أخيه».

(الطبري، أحداث السنة

٢٨٣هـ).

- ف -

أَيُّهَا الضِّيَاءُ الصَّدِيقُ،
مَنْ الْحَائِكُ الظَّلَامَ سِتَاراً عَلَيْنَا،
وَمَنْ أَسَدَلَهُ؟
رُبَّمَا، لَنْ يَكُونَ لِي الْحَقُّ،
فِي مَا يَجِيءُ مِنَ الْوَقْتِ،
أَنْ أَتْلَفَظَ بِاسْمِي،
أَوْ أَحْمِلَهُ.

الذَّاكِرَةُ

٢٨٣هـ.

. قُتِلَ الشَّرْحَسِيُّ^(١)،

وكانت له

كتبٌ في فنونٍ من

الفكر والقول -

كان الخليفة يزوي:

«دعاني كي أكفرا،

ولهذا قضيتُ عليه».

(١) هو عليّ بن أحمد بن
الطَّيِّب بن مروان الشَّرْحَسِيُّ،
صديق يعقوب بن إسحاق
الكندي. قتله الخليفة
المعتضد.

* أَوَّلُوا أَنَّهَا الرِّيحُ هَبَّتْ تُعَانِقُ مِعْرَاجَهَا،
ولماذا إذاً عادت الرِّيحُ، يأساً من الأفقِ،
أدْرَاجَهَا؟

لا أسافرُ إلاَّ

- ص -

بين ظَنٍّ وظَنٍّ . مقيمٌ

في الضَّفافِ . الأَقاصي

دائماً في ضيافة شِعري، وشِعري

دائماً في ضيافة

ما يتيسَّرُ من فلواتٍ .

رأس رافع^(١) يجتاز

أوديةً وجبالاً،

ويحفَّ به موكبٌ،

غيرَ أنَّ له حاملاً

واحداً -

حامِلُ الرأسِ يحملُ

في وجهه المَقْدُ

جَنَّةَ القَتْلِ:

يأخذُ جائزةَ المُعْتَصِدِ.

أَترى، هذه الغيومُ كمثَلِ نساءٍ

يجئنُ إلى الحبِّ في شَهَقَةٍ

ويرحلنَ في آهةٍ أو دُوارٍ؟

* مَرَضِي لا يطيقُ الدَّواءَ

وأنا لا أطيِّقُ الشِّفاءَ .

- ق -

شَبَّحَ يَتَقَفَّى خُطَايَ،

وَحَاوَلْتُ فِي اللَّحْظَاتِ الْمَضِيَّةِ

أَنْ أَقْتَلَهُ،

وَأُوَارِي فِي قَبْرِهِ سِرَّهُ.

ها أَنَا أَتَبَدَّلُ -

هل أَقْدِرُ الْآنَ أَنْ أَتَحَرَّرَ

مِنْ لَيْلِهِ، وَأَنْ أَبْدَلَهُ؟

* لا تزال أساطيرُنا

مثلما كَتَبَتْهَا الطَّبِيعَةُ مَجْرُوحَةً،

وَأَنَا لَسْتُ إِلَّا دَمًا

يَتَقَطَّرُ مِنْهَا.

الذَّاكِرَةُ

٢٨٥هـ.

صَالِحٌ^(١) يَقْطَعُ الطَّرِيقَ

إِلَى مَكَّةَ:

أَخَذُوا نِسْوَةَ الْحَجِيجِ

وَأَمْوَالَهُمْ،

بَعْضُهُمْ مَاتَ مِنْ جُوعِهِ.

غَنَمٌ أَوْ بَقَرٌ

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَافِرُونَ

كَالْثَمَلِ،

فُرِئَ إِلَى اللَّهِ،

أَوْ يُذَبِّحُونَ، لِمَاذَا

أُدْخِلُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ؟

(١) هو صالح بن مدرك
الطَّائِي، وَسَمِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ
«يَوْمَ الْأَجْفَرِ».

عندما صِرْتُ أَعْرِفُ أَنِّي وَكَيْفَ
أَشَقُّ الْفَضَاءَ، أَوْحِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْفَضَاءِ،
غُلَقْتُ فِي مَسَارِي أَبْوَابِهِ.
هَلْ أَنْوَحُ كَغَيْرِي
وَأَقُولُ: الْفَضَاءُ مَرِيرٌ؟

سَأُجَاهِرُ: كَلًّا
لَا صَدِيقٌ لِمِثْلِي غَيْرُ الْفَضَاءِ
وَلَا نِدٌّ غَيْرُ الْفَضَاءِ.

* هل أتعلّم سِحْرَ الأمرِ، لأعرف كيف
أعلم
سِحْرَ الفوضى؟

«عَرَبٌ يَذْبَحُونَ،
عَرَبٌ يَرْجِزُونَ»:
«ما إن رأى
النَّاسُ كَيَوْمَ الْأَجْفَرِ
النَّاسُ ضَرْعَى
وَالْقُبُورُ تُخْفَرُ».
*
إنه الزَّأْسُ بِالرُّأْسِ: هَاتُوا
حَطْبًا، واطْرَحُوهُ عَلَيْهِمْ.
أَحْرِقُوهُمْ، وَغُثُّوا لِدِيَارِ
العَرَبِ
لن يطهّر أدرانها
ورجس شياطينها
غير هذا اللّهَبِ.

- ش -

(١) الإشارة إلى أبي سعيد
الجنابي.

شَجَرُ الزَّيْتُونِ طَرِيقٌ آخَرُ - مَهْلًا:

رجلٌ يحملُ غُضْنًا.

هُودًا يَصْعَدُ أَعْلَى جَذَعٍ.

ورأيتُ إليه

يتَلَقَّتُ حَوْلَ الجَذَعِ، يمدُّ يديه، يَضْحَكُ - ماذا؟

أترأه يحلمُ أن يَبيِّنَ بيتًا؟

أترأه يَرِغِبُ أن يَتَحَوَّلَ طيرًا أو سنجابًا؟

أترأه رجلٌ مجنونٌ؟

* مُدُنٌ من عروشٍ، مُدُنٌ لِلْحَطَبِ:

لا طَرِيقٌ إليها إذا لم تكن

لِغَةِ فِي اللَّهَبِ.

الذَّاكِرَةُ

٢٨٦هـ.

ظَهَرَ الْقِرْمَطِيُّ^(١)

الْجَنَابِيُّ - أَوَّلُ

مَا قِيلَ عَنْهُ:

«رَجُلٌ مُفْتَرٍ،

لُغَةٌ تُفْتَرَى.

هُودًا

يَنْهَبُ الْمَدَائِنَ

أَوْ يَهْدِمُ الْقُرَى».

*

الْجَنَابِيُّ يَظْهَرُ - أَحْلَامُهُ

لَبَنٌ، نَخْلَةٌ، رَغِيفٌ

تَشْرَبُ الصَّحَارَى إِلَى

ظِلِّهِ،

وَتَسِيرُ عَلَى هَذِيهِ

هَجَرَ وَالْقَطِيفِ.

(١) هو العباس بن عمرو
الغنوي.

- ت -

ذابلُ وَجْهُ أَيَّامِنَا
ذَابِلَاتُ رِيَّاحِيْنِهَا
ذَابِلَاتُ خُطَاهَا.

وَأَرَى لَا أَرَى
غَيْرَ مَنْ يَنْسَجُونَ عِبَاءَاتِهِمْ
بِتَّابِينَ مِنْ كُلِّ مَوْتٍ.

يَرْفَعُ الْوَقْتَ قُمْصَانَهُ فَوْقَهُمْ
كَالْبِيَارِقِ مَرْسُومَةً
بِتَّجَاعِيدِهِمْ.

* لَمْ أَجِئْ كِي أَطْرَدَ الْحَيْرَةَ،
أَوْ أَسْأَلُ: هَلْ لِلْمَوْتِ عُنُقٌ؟
أَوْ لِمَاذَا تَقْطُرُ الْأَرْضُ دَمًا؟

الذاكرة

٢٨٧هـ.

هَجَرَ فِي يَدِ الْقِرْمَطِيِّ.

جَاءَ حَتَّى يُحَارِبَهُ
الْغُنَوِيُّ^(١):

هَزَمَ الْقِرْمَطِيُّونَ
فِرْسَانَهُ،

أَسْرَوْا مِنْهُمْ أَلْفَ
شَخْصٍ، كَمَا أَخْبَرُوا،
غِزَمَ مِنْ قَتْلِهِمْ.

أُخْرِقُوا -
تُرِكَ الْغُنَوِيُّ طَلِيقًا.

(١) وصيف الخادم الذي
اشتهر بذكائه، وباليمنه على
الخلافة في وقته.

- ث -

لا أَعْرِفُ كَيْفَ أَلُمُّ جِرَاحِي،
وَأَسَلَّمُهَا لِنِظَامِ هَوَايَ. كَثِيرًا،
قُلْتُ لَجِسْمِي:
تِلْكَ جِرَاحُ أَصْغَرِ مِمَّا ظَنَنْتُ،
فَلِمَاذَا تَزْهَو؟

لَكِنْ جِرَاحِي جَمَحَتْ
وَأَجْتَازَتْ كُلَّ سِيَاحٍ.

أَتُرَاهَا تَتَأَرَّرُ مِنِّي؟

الذّكرة

٢٨٨هـ.

خَزَ رَأْسُ وَصِيفٍ^(١).

سألوه،

قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوهُ:

- «ما الذي تشتهي؟»

- «كُتِبَ عَن مَلُوكٍ مَضُوا،

وَرِيَا حِينَ أُسْتُمِهَا».

* أَلْخَرَابُ نَجِيّ الْخَرَابِ

تَحْتَ تِلْكَ الْبُذُورِ الْجُذُورِ الْقَشُورِ الْخَلِيطِ
الْمُؤَصَّلِ فِي طَبَقَاتِ التَّرَابِ:
أَتُرَاهَا الطَّيْبَةُ شَيْطَانَةٌ؟

(١) المعتضد، والإشارة هنا
إلى ابن أبي فوارس، أحد
القرامطة الكبار.

- خ -

مَا هَذِي الْأَرْضُ! كِتَابُ

فِي فَقِهِ الْحِثَاءِ.

فِي أَصْلِ الدِّيكِ

وَفَصْلِ الْبَيْضَةِ. أَرْضُ

بُوقٌ لِلتَّهْلِيلِ وَلِلتَّمَجِيدِ، وَقِيدٌ

فِي الْخُطُوبِ

وَفِي الْكَلِمَاتِ

وَفِي الْأَشْيَاءِ.

* عَالَمٌ يَرْكُضُ فِي أَنْشُوطَةٍ

خَاطَهَا طَائِفُ جِنِّ

يُؤْخَذُ التَّرْيَاقُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ.

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ.

أَخَذُوهُ أَمَامَ الْخَلِيفَةِ^(١)،

قَالَ الْخَلِيفَةُ فِي

نَبْرَةٍ عَالِيَةٍ،

«ذَاكَ أَمْرِي:

إِقْلَعُوا وَاحِدًا وَاحِدًا، كُلُّ

أَضْرَابِهِ، عُلِّقُوهُ عَلَى

صَخْرَةٍ،

اقْطَعُوا سَاعِدِيهِ

وَرَجْلَيْهِ، ثُمَّ اضْرِبُوا

عُنُقَهُ،

وَاصْلِبُوهُ

فِي الْمَكَانِ الَّذِي ضَمَّ

أَصْحَابُهُ، قَبْلَهُ».

- ذ -

أَلْمَكَانُ، وَإِنْ كَانَ حُبًّا
طَرِيقٌ إِلَى لَامَكَانٍ.

الذاكرة

٢٨٩ هـ.

«عِشْتُ - لَمْ أَفْهَمْ
الماء، والنَّارُ تَجْهَلُ
مَا كُنْتُ. مَا سَأَكُونُ:
تُرَانِي
أَلْمَحِ الْمَوْتَ يَجْلِسُ
قُدَّامَ بَيْتِي،
أَمْ أَنَا وَاهِمٌ؟
مِرَّةً، كَادَ ظَنِّي
أَنْ يَكُونَ يَقِينًا».
كَلِمَاتُ
قَالَهَا قَرْمَطِي
فِي الطَّرِيقِ إِلَى
رَبِّهِ . . .

* مِتْعَةُ الْعَيْشِ تُضْفِي

عَلَى الْمَوْتِ

أَعَمَّقَ أَسْرَارِهِ.

(١) الإشارة هي دائماً إلى ابن أبي فوارس .

- ض -

نَقْلُ . نَارُ شَوْكٍ، طيورٌ

والغيومُ على عَهْدِهَا:

بُسْطٌ تَتَمَرَّقُ . أَرْضُ

أَتَهَجَّى أَسَارِيرَهَا

شَجَرًا يَتَنَبَّأُ: هَـذِي خُطَاهُمْ، وَهَـا هُمْ

يَهْجُمُونَ، وَمِنْ كُلِّ صَوْبٍ

يَمْدُونُ أَشْرَاكَهُمْ،

وَالْمَكَانُ دَمٌّ نَافِرٌ.

قُلْ لِي الْآنَ، مَاذَا سَتَفْعَلُ، مِنْ أَيْنَ تَأْتِي،
إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ، يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟

* جَسَدٌ جَرَحَ، وَنَفْسٌ وَالِهُةٌ،
مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ الشَّاعِرُ مَا بَيْنَهُمَا،
غَيْرَ أَنْ يَلْعُوَ كَمَثَلِ الْآلِهُةِ؟

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ.

يَتَحَلَّقُ حَوْلَ الْعَمُودِ

الَّذِي صَلْبُوهُ^(١) عَلَيْهِ،

أَنَاسُ

وَيُدِيرُونَ مَا بَيْنَهُمْ

نِقَاشًا:

- هُوَذَا جِسْمُهُ

يَتَدَلَّى.

- جِسْمُهُ؟

- رُبَّمَا.

- ظ -

طَيْفٌ يَهْمُسُ : تَلَكَّ ثِيَابِي
رُقِعَ مِنْ جِلْبَابِ الْمَعْنَى ،
وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ
كُبَّةٌ غَزَلٍ .
قُلْ لِي ، يَا هَذَا الطَّيْفُ ، أَبَيَّنَ الْغَيْبَ
وَبَيَّنَكَ سِرٌّ؟
أَقُولُ لِجِسْمِي أَنَّ يَرْقَى
فِي دَرَجَاتِ الظَّنِّ إِلَيْهِ؟

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ .

- أَكِيدُ .

- ذَاكَ مَا يَتَرَاءَى

- وَلَكِنْ

قَتَلُوا آخَرًا

سِوَاهُ .

* أَلَسَّابُكَ الَّتِي نَسَجْتَهَا بِحِيرَاتِ حُلُمِي ،
أَلْقَيْتَهَا

فِي الْمَحِيطِ ، وَلَكِنْ
لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ صَيْدًا .

- غ -

حَلَبْ أَجْمَلُ المَدَائِنِ، والصَّخْرَةُ فِيهَا مَجْرَّةٌ،
وَالْبُيُوتَاتُ جِنَانٌ،
وَالْأَرْضُ فِيهَا سَمَاءٌ.

غَيْرَ أَنِّي مَاضٍ، كَمَا وَسَّوَسْتُ نَفْسِي،
نَفْسِي أَمَّارَةٌ
وَالْمَجَاهِيلُ تُرَابٌ لِنُشُوتِي وَهَوَاءٌ.

- دُونَ ذَلِكَ،

إِنْ صَلَبُهُ

هُوَ، فِي ذَاتِهِ،

تَتَكَاثَرُ عَنْهُ

الْأَقَاوِيلُ،

يُفَشِّنُ النَّاسُ

فِيهِ.

* وَطَنُ الشَّعْرِ يَمْتَدُّ فِي سَقَرِ الشُّعْرَاءِ،
وَفِي عَدَنِ الْأَنْبِيَاءِ،
جَسَدِي طِفْلُ هَذَا الزَّوْاجِ الشَّقِيّ،
وَشِعْرِي نُبُوَّةُ هَذَا الْهَبَاءِ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



I. معراج

١ - تخيّل

أتخيّل بغدادَ، لكنني أُحيي
حلباً، وأُحيي
كوفةَ الثّائرين - اتركِ الحُبَّ يدخلُ إليك
دونَ أن يقرع البابَ . كالحلمِ يأتي إلى مقلتيك،
دون أن يسألَ اللّيلَ . طينفُ
يترصّد بين شقوقِ النّوافذِ :
من أين قلبك يمضي إلى سِرّه؟
أُتراه يُحيي، وهو يمضي إلى سِرّه،
شجرَ الورد في ساحة البيتِ؟ هل يتلقّت؟ أيقظتُ
في داخلي أصدقائي ليرَوْا من جديد
سيفَ سُلطاننا
كيف يَهوي عليك - وَها هُم حولَ قبرك . ماذا؟
هل تقومُ لِتلقاهُم، ونُصغي إليهم
يتشدون : سلاماً على عَهْدنا
وسلاماً عليك .

٢ - حَرْبَة

إِنَّهُ صَوْنُهُ
غَائِبٌ ضَائِعٌ يَتَقَيُّ فِي بَلَدٍ آخِرٍ،
مِنْ جَحِيمِ الْعَذَابِ عَلَى أَرْضِهِ.
قَلِقٌ لَا يَقْرُ. يَسِيرُ، وَيَجْهَلُ
مَنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَى أَيْنَ يَمْضِي.

حَرْبَةٌ تَقْتَفِيهِ.

٣ - عباءة

قِيلَ : تُخْصِي جِرَاحَكَ
تَرْمِي أَزَاهِيرَهَا
فِي عَبَاءَةِ أَحْزَانِكَ السَّاهِرَةِ
وَعَدَاً سَوْفَ تَتْرُكُ
عَيْنِيكَ لِلدَّمْعِ - يَهْمِي
كَيْ يُرَوِّيَ تِلْكَ الْجِرَاحَ : لِمَاذَا؟

هَلْ تُرِيدُ انْبِعَاثاً لَهَا -
صُوراً مِنْ نَبَاتٍ
صُوراً مِنْ حَيَاةٍ بِلَا جَنَّةٍ أَوْ جَحِيمٍ،
أَمْ جُذُوراً - مَرَايَا لِأَيَّامِكَ الْعَابِرَةِ؟

أَتَوْسَلُ الْوَرْدُ: اتَّخَذَنِي
صَنِيفًا كَمَثَلِكَ فَوْقَ هَذِي الْأَرْضِ، كَلَّا
لَنْ أَقُولَ لِحِنَّةٍ
كُونِي مُقَامِي، لَنْ أَلَوِّحَ لِلْجَحِيمِ: تَحَوَّلِي
بَرْدًا،
دَحَوْتُ الْأَرْضَ شَكَاً.

هُوَذَا أَطُوفُ بِهَا، أَلُوذُ بِغِيمِهَا
أَسْتَحْضِرُ الْبَرْقَ الْعَصِيَّ عَلَى الْحَضُورِ
وَأُخْطُ فَوْقَ تُرَابِهَا
وَجْهِي: سَأَعْرِفُ كَيْفَ أَبْنِي
وَطْنًا أَقِيمَ مَدَائِنِي فِيهِ، وَأُنْذِرُ نَارَهَا
لَطَقُوسٍ كُلِّ مُهَيِّمٍ.

هُوَذَا أَطُوفُ: أَبْتُ دِيدَنَهَا الْغَوِيَّ وَأُرْتَدِي
فِي كُلِّ هَاوِيَةٍ غَلَالَتُهُ
وَأَلْتَحِفُ الْعَصُورَ.

٥ - هباء

ذاك صباحي :

نَخْلَاتُ السَّاحَةِ مَالَتْ

وتَكَادُ تَمُوتُ - الشَّمْسُ سَعِيرٌ

يَنْفِرُ مِنْهُ حَتَّى النَّيْلِ . أَتَأْتِي؟

هل تَأْتِينَ؟ تَرَكْتُ فِرَاشِي فِي وَحْدَتِي،

وَأَنَا أَحْيَا

فِي ضَوْءٍ وَفَاءٍ يُوشِكُ أَنْ يَرْمِيَنِي

فِي ظِلْمَةٍ جُبٍّ .

نَمْضِي؟ يَا هَذَا الشَّوْقُ، أَعْنَدُكَ ظِلٌّ؟

يَتَصَاعَدُ مِنْ جِهَةِ الصُّحَرَاءِ هَبَاءٌ .

٦ - مستقبل

عندما سيشيخ قلبي،
سأوقظ فيه رماداً من بقايا طفولته
وأحلم أنني صاعد هابط
في جحيم سرايينه .
وتجئ إليه عشيقته
لهباً طاغياً
ويخرجن من أول إلى عرشه .
غير أنني عرفت وأعرف قلبي :
لن يشيخ إلا
مرة واحدة ،
عندما يتنزل كالوحي في حفرة الموت ،
في غور أحضانها الباردة .

٧ - مشهد (تخيّل)

أَلْخَطُوطُ، الْقَنَاطِرُ بَسْتَانُ وَزْدِ.
كُلَّ خَطٍّ وَسَادَةٌ حَلَمٍ
وَطَرِيقٌ إِلَى مَوْعِدٍ:
أَلْحُرُوفُ تَقَاسِيمُ حَبِّ وَالْأَصَابِعُ أَوْتَارُهَا.

وَاجْبُوا هَذِهِ الْبَسَاتِينَ، شُمُومَا شَذَاهَا
وَاسْتَضِيئُوا
بِالْمُقَرَّنِصِ فِيهَا
وَبِأَقْوَاسِهَا الْقَاهِرِيَّةِ.
لَكَ بَابٌ إِلَى السِّرِّ، فَانْهَضْ إِلَيْهِ
لَا قِيَّهَ وَاحْتَضِنُهُ
حَيْثُ لَا تَعْرِفُ الْكَلِمَاتُ سِوَى صَمْتِهَا.

إِمْضِ وَاهْبِطْ إِلَيْهِ - إِلَى كَبِدِ الْأَبْجَدِيَّةِ.

٨ - حيرة

أَنْتِ سَوَيْتِ لَيْلٍ - لَيْلِي، نَابَأَ،
وَجَعَلْتِ النَّهَارَ دَمًا سَائِلًا.
هَلْ خُلِقْتَ عَلَى صُورَةِ الْمَوْتِ،
كَيْ تَنْثِرِيهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟

مَا الَّذِي أَفْعَلُ الْآنَ فِي رَغْبَتِي
أَنْ أُسْرِحَ إِبْلِيسَ مِنْ قَيْدِهِ
وَأُكْنَسَ هَذَا الْمَكَانَ وَتَارِيخَهُ كَقَشٍّ،
وَأُغْسَلَ مِمَّا تَبَقَّى يَدَيَّ؟

آه، نَوْمٌ غَرِيبٌ يُحَوِّمُ فِي مُقْلَتَيَّ!

٩ - مسافات

من وراء التلال، أرى الفجر ينهضُ :
ما أقرب البُعد، ما أوضحه!
التلالُ تَزْتَرِنُ بالأفقِ - يصعدنَ فيه،
وظفولة حُزني
لا تزال على رُكبةِ الفجرِ تَغْفو.

المسافات تنأى، ولكن
من وراء التلالِ أرى كيف تُولَدُ
في وجهي الأجنحة.

أَسْأَلُ الْآتِي مِنْ بَغْدَادَ: هل تحملُ في قلبك ضَوْءًا؟

لَسْتُ تَمَثَالًا، وَلَا رَأْسَ هَلَالٍ
لَسْتُ إِلَّا رِيشَةً يَأْخُذُهَا الْجَبْرُ إِلَى مُخْدَعِهِ،
كُلَّ مَسَاءٍ.

أَسْأَلُ الْآتِي مِنْ بَغْدَادَ: هل تحملُ موتي أو حياتي؟

خنفساء - دَهَبُ الثُّوبِ الَّذِي تَلْبَسُهُ
بِاذْخِ الْمَنْظَرِ. مَرَّتْ
تَحْتَ عَيْنِي. سَأَعْطِي
هَذِهِ اللَّيْلَةَ - مِنْ أَوَّلِهَا
جَسَدِي حَرًّا لَجَبْرِ الْكَلِمَاتِ.

II

فاصلة استباق

جاء العصر إلى المكان ، -

مَرْقُ رُؤُوسٍ مَسْحُوقَةٍ تَتَهَارَشُ حَوْلَهَا
الجيوش واللغة تَتَمَشَّهَد
شِفَاهاً فِي طُورِ الْجَمَادِ .

خيرٌ لهذا الشاعر أن يُكثِرَ الثَّقُوبَ فِي
حَنْجَرَةِ اللُّغَةِ إذن هل الأرضُ محتاجةٌ
إلى الدَّمِ لكي تفهَمَ الماء؟ إذن نشدْ
أَسْمَاعَنَا إِلَى مَحَارَاتِ الإِثْمِ ندخلُ
فِي أَخَوِيَّةِ النَّارِ وَنَسْلُ اللَّهَبِ
وَيَكُونُ لَنَا اللَّعِبُ طَيِّباً كَالْعَمَلِ

والمجدُ لك أَيُّهَا الوُثْنِي التَّحِيلُ الجَسَدُ
المَقْبَلُ فِي مَحِيطِ احْتِمَالَاتِ
فِي عَصْرِ كَمَثَلِ فَاصِلَةٍ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتِ .

- شاعرٌ

ليس من هنا وليس من هناك
كأنه يعيش في رمية الترد.

- يُريد

ألهذا يرى شوكتاً أكثر إلفاً من اليد؟
ألهذا يرى نوافذَ أحدٍ بصرًا من العين،
وطرقاً بعيدةً
أكثرَ قرباً من عتبة بيته؟

أن
يتشبه
بالضوء.

- ليس

للضوء

ماضي.

- ليس

للضوء

غير

المستقبل.

- لست، أيها الشاعر

من هنا ولست من هناك.

يلزمك جنونٌ آخر

لكي تعرف من أنت.

- أ -

سَأُصَدِّقُ أَنَّ الْمَطَرُ
يَتَقَمَّصُ أَحْزَانَ حَوَلَةٍ، أَنَّ الشَّجَرُ
يَتَكَلَّمُ كُلَّ اللُّغَاتِ،
لِكَيْ يَتَأَوَّلَ أَشْجَانَهَا.

سَأُصَدِّقُ أَنَّ الرِّيحَ
الَّتَبَسْنَ بِأَهَاتِهَا
وَتَلَبَّسْنَ أُرْدَانَهَا.

❖ كَرَّرِ الْآنَ قَوْلِي يَا أَيُّهَا الْجَوَادُ،
وَكَرَّرْهُ يَا أَيُّهَا الْحُسَامُ:
أَهْ مَا أَقْتُلَ الرَّحِيلَ،
وَأَقْتُلُ مِنْهُ الْمُقَامَ.

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ.

قِيلَ: إْحْدَى

جَوَارِيهِ^(١)، أُعْطِنَتْهُ

سُمًّا.

بِمَنْدِيلِهَا.

❖

كَانَ قَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ

نَصْرًا عَلَى أَهْلِ

أَوْلِيَاءِ الْخَلِيفَةِ -

جَاؤُوا

بِالرُّؤُوسِ إِلَى دَارِهِ.

نُصِبَتْ فَوْقَ جَسْرِ بَغْدَادِ،

كَانُوا يَقُولُونَ:

مِنْ يَنْطَفِئُ الرَّأْسُ عِنْدَ

الطَّلَبِ

تَنْطَامِنُ أَحْوَالُهُ

وَتُطَوَّقُ أَيَّامُهُ بِالذَّهَبِ.

- ب -

صُورٌ لِلْخَرِيفِ، وَأَيْلُولٌ فِيهَا جِرَارٌ
لَا تَبُوحُ بِأَحْشَائِهَا، وَتَشْرِينُ سَهْمٌ
يَتَرَصَّدُ فِي غَابَةِ الْحَبِّ قَلْبًا.

صُورٌ - خَوْلَةٌ
تَتَمَرَّقُ فِي خِذْرِهَا.
هِيَ ذِي تَخْرُجُ الْآنَ سِرًّا
تَزُورُ الدَّرُوبَ الَّتِي أَلْفَتْنَا.

هَا هِيَ الْآنَ عَادَتْ:
لَا وَسَادَةَ غَيْرُ الْبِكَاءِ.
أَوْ، مَا أَضِيقَ الْفَضَاءِ.

الذاكرة
٢٨٩هـ.

خَذَنُوا عَنْهُ^(١)، كَانَتْ:
صُورَةٌ تَرَاءَى لَهُ
تَتَعَدَّدُ: طَوْرًا
رَاهِبٌ. تَارَةً فَتَى،
وَمِرَارًا،
شَكْلُ شَخْصٍ لَهُ لِحْيَةٌ،
وَحِينًا
تَرَاءَى، وَفِي يَدِهَا
السَّيْفُ،
تَضْرِبُ مَنْ
صَادَقَتْهُ.

* لَا تَقْلُ: أَتَذْكُرُ،

إِلَّا إِذَا كُنْتَ تَمَزُّجُ
مَا تَتَذَكَّرُ فِي مَوْجِ مُسْتَقْبَلٍ.

(١) تأويلاً للصورة التي كانت
تتراءى للمعتضد.

- ج -

سَأْفُولُ: اتَّسَعَ وَاسْتَضْفَنِي يَا أَيُّهَا الشَّتَاتُ،

أَعْطَنِي لِفِرَاغِكَ، خُذْنِي

إِلَى حَيْثُ تَهْوَى

فِي هُبُوبِ رِيَّاحِ دَمَشْقِيَّةٍ،

أَوْ عَلَى غَيْمَةٍ

تَتَبَخَّرُ مِنْ صَدْرِ دِجْلَةٍ،

أَوْ مِنْ زَفِيرِ الْغُرَاتِ.

خَوْلَةُ الْآنَ رُؤْيَا تُسَافِرُ فِي مُقَلَّتِي،

خَوْلَةُ الْآنَ تَهْوِي عَلَى سَاعِدِي.

* لِعُلُويِّ عَمَقٍ لَا يُفَارِقُ أَغْوَارَهُ:

هَذِهِ جَمْرَتِي

تَضْطَفِينِي إِلَيْهَا

وَأَنَا سَاهِرٌ عَلَيْهَا.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

شَطَطُوا فِي الزَّوَايَةِ^(١)،

قالوا: ذَاكَ إِبْلِيسُ،

قالوا: مُؤْمِنُونَ مِنْ

الْجَنِّ جَاؤُوا لَكِي

يُرَدُّعُوهُ عَنِ الْمُتَنَكِّرَاتِ

وَسَقَطَ الدِّمَاءُ،

وقالوا: خَدُمُ

يَعْشَقُونَ الْجَوَارِي،

يَجِيثُونَ فِي جَيْلٍ،

فِي عَقَافِرِ تُخَفِّهِمْ،

وَتَمَوَّهَ أَشْكَالُهُمْ.

(١) الإشارة هنا إلى الخليفة
المكتفي.
وبدر هو غلام أبيه
الخليفة المعتضد.

- د -

أَتَخَيَّلُ نَفْسِي كَأَنِّي فِي غِيَابَةِ جُبٍّ .
تَارَةً أَتَوْهُمْ أَنِّي أَقَاتِلُ :

جَيْشِي نَحْوُ وَصْرَفٍ
وَقَتْلَايَ لَفُظٍّ .

تَارَةً أَتَوْهُمْ أَنِّي

سَفَرٌ دَائِمٌ ، وَمَطَايَايَ تِيَّةٌ :

مَا أَسَافِرُ فِيهِ

يُقَيِّدُ شَمْسِي وَيُطْلِقُ لَيْلِي .

مَا أَرَاهُ

يُلْطَخُ عَيْنِي

بِعَمَافَاتِهِ .

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ .

بعد أن قدّموا

رأس بُدْرِ لَهُ^(١) ،

قال في شَهْقَةٍ :

«أَقْدُرُ الْآنَ

أَن أَتَذُوقَ طَعْمَ

الْحَيَاةِ ، وَلَذَّةَ هَذِي

الْخِلَافَةِ - هَيَّا

إِقْطَعُوا رَأْسَ بُدْرِ

نَظْفُوهُ

ضَعُوهُ هُنَا ،

فِي الْخَزَانَةِ ، قُرْبِي » .

* مَنْ سَأَكُونُ إِذَا عَرَفْتُ بِنَفْسِي ؟

وَأَنَا لَعَنَةُ تَرْفُرُ نَاراً -

نَاراً تَكْتُبُنِي ، فِيمَا تَأْكُلُنِي .

- ه -

(١) أمير دمشق آنذاك، وقد
رفض المتنبي أن يمدحه.

هِيَ ذِي دِمَشْقٍ - أَرَى وَرَاءَ قِبَابِهَا
شَرّاً لِحِمْرِتِهَا الدَّفِينَةِ .
وَيُقَالُ لِي : خَافَ الْأَمِيرُ^(١) ، وَجُنَّ مِنْ
قَلْبِي ، وَيَطْلُبُ أَنْ أُسِيرَ إِلَيْهِ .
أَمْدَحُهُ ؟
مَعَاذَ هَوَايَ ،
وَاسْتَعَرُوا عَلَيَّ ، كَمَا يَشَاءُ
الْمُلْكُ ،
يَا شُرْطَ الْمَدِينَةِ .

الذاكرة

٢٨٩ هـ .

أمر المكتفي
بالغاة ما كان
والده يتفنن فيه ،
من أساليب
أو أدوات
ليقتل أعداءه .

* آه بغداد! رأس عيي ،
لغة مومأه

من يُزَيِّن هذا الفراغ لبغداد؟ من أنشأه؟

«صاحبُ الثَّاقَةِ،

الْقَرْمَطِيُّ، يُغَيِّرُ

على السَّامِ. حَرْبُ

بين طُغَيْجٍ^(١) وَأَنْصَارِهِ.

عند بابِ دِمَشْقٍ،

يَتَدَحْرَجُ يَحْيَى قَتِيلًا.

المدينةُ في بُهْجَةٍ،

وأخوه الحُسَيْنُ

يُصِيرُ وَرِثًا لَهُ.

تُرَانِي هُنَا الْآنَ غَيْرِي؟ وَمَاذَا سَمِعْتُ

وَأَسْمَعُ؟ هَذَا الْعَرِيشُ^(٢)، دَمٌ

الَّتَخَلَّ سَقَاؤُهَا،

وَاللَّيَالِي جِرَارًا.

في العَرِيشِ، الْحَدَائِقُ تَحْلُمُ: قُمْصَانُهَا

مُلِئَتْ أَنْجَمًا.

* أَيُّهَا الشَّعْرُ خُذْنِي،

مِثْلَمَا تُؤَخِّدُ الشَّهَوَاتُ،

وَكُنْ لِي لَيْلًا.

(١) طُغَيْجُ بْنُ جُفَى، هُوَ

الْقَائِدُ الَّذِي انْتَدَبَهُ هَارُونُ بْنُ

خَمَارُوَيْهَ، لِمُحَارَبَةِ «صَاحِبِ

الثَّاقَةِ» وَكَانَ اسْمُهُ يَحْيَى بْنُ

زُكْرُوَيْهَ الْقَرْمَطِيِّ.

(٢) الْعَرِيشُ، الْمَدِينَةُ

الْمَصْرِيَّةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَكَانَتْ

فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ مَشْهُورَةً

بِحَدَائِقِهَا.

مِثْدَنَةٌ -

أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ الصَّلَوَاتُ

كَمَا شَاءَهَا

لَا لِسَيْفٍ وَلَا سَيْدٍ،

حَرَّةً كَالْمَطَرِ.

مِثْدَنَةٌ -

أَذِنَ الشَّعْرُ أَنْ يَسْكُنَ الْحُبُّ حَزْأً

فِي قُلُوبِ الْبَشَرِ.

هَكَذَا تُعْلَنُ الْبُرُوقُ الَّتِي أَضْمَرَتْهَا الْحَيَاةُ،

وَتَهْدُرُ فِي مُهْجَتِي

لِكِي أُعْلِنَهُ.

قِيلَ: يُحْيَى

كَانَ يَلْبَسُ ثَوْباً

وَاسِعاً، يَتَلَثَّمُ،

يَعْتَمُ. قَالُوا:

كَانَ أَعْدَاؤُهُ

يُهْزِمُونَ

إِنْ أَشَارَ إِلَى

حَيْثُ يَأْتُونَ،

أَوْ يَكْمُنُونَ.

* عَاشِقُ ذَلِكَ الرَّبِّ فِي مِصْرَ،

يَحْيَا أَلِفًا،

وَيُؤَثِّرُ أَنْ يَتَغَرَّبَ فِي وَجْهِ طَيْرٍ.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

لا جنون، ولكنني

سأقتل ضحبي،

وسأقتل حجاب

عرشي،

وكثابه،

وسأقتل كل نسائي.

- ح -

وَجْهَهَا مَوْجَةً، ويداها شِراعًا -

أَهْيَ الرَّمْلَةُ^(١)؟ المَدِينَةُ قَيْثَارَةٌ

وَالْمَآذِنُ أَوْتَارُهَا.

وَالْأَمِيرُ الْحَسَنُ

ضَمَّهَا، يَتَمَاهَى بِهَا

وَيَقْطُرُ فِيهَا رَحِيقَ الزَّمَنِ.

(١) كان كافر يقول

لأصحابه: «أترؤنه يبلغ

الرَّمْلَةَ، ولا يأتيها؟» وقد

كتب إلى أميرها آنذاك

الحسن بن طُغْج، بطلب منه

أن يرسل إليه المتنبي

* سَأَجْسُ الرِّيحَ، سَأُعْوِي قَلْقِي

أَنْ يَتَحَوَّلَ رِيحًا أُخْرَى

تَكْسُو طُرُقِي.

لا جنونٌ، ولكنني

سوف أقتل حتى

بناتي، وأقتل

أبي - كلاً

لا جنونٌ، ولكن

إخوتي - سوف أرميهم

واحداً واحداً

في جحيم الهلاك

لا جنونٌ - أنا

المملك المُستَجار،

ولي هيئة الملائكة^(١).

هل أقولُ لها مَنْ تكونُ؟ الجِراحُ

المُغْدَّةُ فيَّ ارتباكٌ،

ونُطْقِي لا يُسَعِفُ الآنَ. نَفْسي

تَجِيءُ وتَذْهَبُ شَوْقاً لِمِراتِها،

وَلَا طَيافِها.

هَاتِها، أَيُّها البحرُ مِنْ فَضْلِ ذاتِكَ،

مِنْ مُهْجَةِ الغَيْبِ،

مِنْ شَمْسِهِ، هَاتِها.

* بعضهم

ينظرونَ إليَّ كأنِّي

كاهِنٌ في جحيم

يُشْعِلُ الماءَ في حَلْقِهِ.

(١) الكلام بلسان إبراهيم بن الأغلب، من أمراء الأغلبية في أفريقيا، مات سنة ٢٨٩هـ. قيل إنه أصيب بالمليخوليا، فقتل كثيراً من أصحابه وكتّابه وحجّابه وسائمه.

وقتل اثنين من أبنائه، وثمانية إخوة له، وسائر بناته.

(١) المدينة المصرية
المعروفة، وقد مرّ فيها
المتنبي.

(٢) الحسين بن زكرويه الذي
حلّ محلّ أخيه يحيى، وقد
سبقت الإشارة إلى ذلك.

- ي -

رَمْلُ ظَنٍّ، وَقَامَتِي الْآنَ تَسْبِحُ فِيهِ.
رَفَحَ^(١) -

وَحَدَّةُ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي جَرَّةٍ،
وَحَدَّةُ اللَّيْلِ يَقْطَانُ،
وَالشَّمْسُ، مَقْرُونَةٌ بِثِيرَانِهَا.

آه، يَا عَطَشًا فِي دَمِي!

وَزَدَّةٌ فِي الطَّرِيقِ
تُمْزِقُ أَرْدَانَهَا.

* أَثْرَانِي أَحْيَا كَمْ يَعْمُرُ الْأَرْضَ

بِاسْمِ السَّمَاءِ؟

يَخْزُنُ الْمَاءَ فِي مُنْخَلٍ
وَيَخِيطُ الْهَوَاءَ.

الذّكرة

٢٨٩هـ.

الحسين^(٢) تكاثر
أنصاره:

تَمَلَّكَ جُمْصًا،
وَدَمَشَقَ تَصَالِخَهُ،
وَتُوذِي الْخَرَجِ إِلَيْهِ.

*

- إبي!

- أمي! أخبري،

وقولي: ما ديتك

الآن؟

- لماذا السؤال؟ أنت

عارف.

- أريد أن أقول: ما

عرفته من قبل. كان

باطلاً.

- والآن؟

- قمرطي.

الفكر في اعتناق،

والذين دين حق.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

زعموا أنه^(٢)

قَتَلَ النَّاسَ - أَطْفَالَهُمْ

والتساء

في حماة،

في المعركة، في بعلبك،

وفي السلمية: لَمْ يَبْقَ

شخصاً حولها في القرى،

كان يقتل يحرقُ يسي

عابثاً مثلما يشاء.

- ك -

فَرَمَا^(١) - مَنْ رَمَى

في يَدَيَّ ثِمَارَ الْمُحَالِ لِنَتَضَجَّ؟ هذا

كَفَنٌ يَتَطَاوَلُ فِي قَدَمَيَّ، وهذا -

ما الذي قلته؟

فَرَمَا - جِسْرُ حُبِّي وَرَائِي،

أَتُرَانِي مِنْ أَوَّلٍ،

سَأَمُرَّ عَلَى جِسْرِ حُبِّي، إِلَّا كَمَا

عِنْدَمَا

مِثْلَمَا... ..

* قَمَرٌ

يَفْتَحُ كُلَّ مَسَاءٍ جُرْحاً

في جِسْمِ امْرَأَةٍ.

(١) من القرى المصرية التي

رأها المتنبي في طريقه إلى

القاهرة.

(٢) الإشارة إلى الحسين بن

زكرويه. وقيل إنه أظهر شامة

في وجهه، زاعماً أنها آيته،

ومن هنا سُمِّي «صاحب

الشامة».

الذاكرة

٢٨٩ هـ.

- وضعت طفلها.

- من تراها؟

- امرأة هاشمية.

صرخت:

- «أخذوني

بعد أن ذبحوا والدي

وأهلي جميعاً،

وأقسمت لديه^(٢)، فترة، ثم

قال:

ادهبي إليهم، مُشيراً إلى
صحبته^(٣).

امكثي عندهم، وكوني

لهم.

من تراه أبو الطفل؟

من ابن أذري؟

- ل -

تلك بلبيس^(١) لاحت.

جسدي مُتعب، ولبيس فيها

ما يُذكر. لكن

كيف لي أن أعود؟ أعود إلى

أين؟ كلاً

سوف أسكن في ذلك القيد -

ذاك الذي كنت سميتَه الرجاء

وأقول لشعري:

أنت الرحيل،

وأنت البقاء.

* الموجُ يشيخُ، ولكن

قال العشق، وقال العاشقُ: يَبْقَى

في رَحِمِ الْبَحْرِ جَنِيناً.

(١) القرية المصرية

المعروفة

(٢) الإشارة إلى القائد

الفرمطي، الحسن بن

ركرويه. وكان قد خطب له

على المنابر في حمص.

وسمى نفسه «المهدي، أمير

المؤمنين»، ورووا أنه بدأ في

السلمية، القرية القريبة إلى

حمص، بقتل بني هاشم.

فقتل على الضبيان واليهانم،

«وخرج منها، وليس بها عينٌ

تطرف».

(٣) أربعة من قواده.

- م -

(١) وصل المتنبي إلى
الفسطاط (القاهرة) في
السنة ٣٤٦هـ. (آب، ٩٥٧
ميلادية).

(٢) الإشارة إلى شخص
يُدعى عروس المؤذن. قتله
موسى بن أحمد، صاحب
القيروان، آنذاك.

تِلْكَ فُسْطَاطُ^(١) تَارِيخِنَا.

مَسْجِدٌ - بَشَرٌ حَوْلُهُ

يَمَزْجُونَ خُطَاهُمْ بِأَكْفَانِهِمْ.

وَالنَّوَاذِلُ - أَتَى نَظَرَتِ،

سَرَاوِيلُ مَنْشُورَةٌ.

وَتَخَيَّلْتُ نُورَ قَرِيشٍ،

وَتَخَيَّلْتُ قُوَادَهَا وَأَجْنَادَهَا.

لَنْ أَحَاكِيَ مَوْتِي.

* أَتَرَاهُ التَّشِيدُ النَّبِيَّ

قَادِرٌ وَحْدَهُ

أَنْ يَغَيِّرَ هَذَا الْوُجُودَ الشَّقِيَّ؟

الذَّاكِرَةُ

٢٨٩هـ.

سَلْ لِسَانَهُ^(٢)،

قَطَعُوهُ. ذُلِّي بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ،
وَقَالُوا:

فَلْيُرَبِّطْ فَوْقَ حِمَارٍ.

رَبَطُوهُ، طَافُوا فِي الْأَسْوَاقِ،
رَأَى النَّاسُ:

مُؤَذِّنُنَا؟

مَاتَ، وَلَكِنْ

إِمْعَانًا فِي تَأْدِيبِ

الْمَوْتِ،

صَلَبُوهُ مَيْتًا.

حُمِلَ القِرْمَطِيُّ^(١)

لِبَغْدَادَ، حَتَّى

عَلَى ظَهْرِ فِيلٍ.

- ن -

فِي الْأَزْقَةِ، بَيْنَ الْحَوَانِيبِ، فِي الطُّرُقَاتِ،

أَمَامَ الْجَوَامِعِ، أُصْغِيَ -

أَتَوْهُمْ رَأْسِي

طَائِرًا بَابِلِيًّا

يَجْرُ جَنَاحِيهِ فِي غَابَةِ مِنْ حَجَرٍ

وَيُخْطُ أُسَاطِيرُهُ

بِغَبَارِ الْبَشَرِ.

خَلَفَ هَذِي الصَّوَامِعِ، مِلءَ الْفَضَاءِ، صَرَخَ

الْمَدَائِنُ مَأْسُورَةً -

جَرَحَهَا نَارِفٌ، قَنَادِيلُهَا مُطْفَأَةٌ

وَالطُّفُولَةُ أَنْشُودَةٌ مُرْجَاةٌ.

* لُغَةٌ - جَسَدٌ حَيٌّ، -

الْأَرْضُ تَنَامُ عَلَى كَتِفَيْهَا،

وَالْغَيْبُ كِتَابٌ بَيْنَ يَدَيْهَا.

(١) الإشارة إلى «صاحب
الشّاعمة»، الحسين بن زكرويه،
وقد تغلب عليه وأسرّه بدر
الحنامي، قائد ابن طولون.

- س -

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة». كان يقول عنها: «هذه آيتي!».

أَتَمْشَىٰ مَعَ النَّيْلِ، أَخْذُ حِينَآ يَدِيهِ،
نَتَحَدَّثُ، أَفْتَحُ صَدْرِي لِأَشْجَانِيهِ.

فَوْقَنَا سَاعِدَانِ، أَصَابِعُ
تَضْفَرُ شَعْرَ الْفَضَاءِ
الَّذِي يَتَمَدَّدُ حُبًّا
عَلَى صَدْرٍ خَوْفٍ.

هَرَمَ الْغَيْبِ يَجْثُو عَلَى
حُفْنَةٍ مِنْ عُبَارٍ.
وَأَرَى لَا أَرَى
أَثْرًا لِنَبِيِّ.

* أَصْغَيْتُ إِلَى دِفْلَى صَلَّتُ:
كَانَ النَّيْلُ إِمَامًا،
وَالشَّمْسُ أَذَانًا.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

مِثْنًا سَوْطٍ

لِلشَّامَةِ.

قُطِعَتْ رِجْلَاهُ^(١)،

يَدَاهُ،

كُوُوءُهُ،

قُطِعَ الرَّأْسُ،

وَكَبَّرَ كُلُّ النَّاسِ،

سُرُورًا.

*

لَا يَعْرِفُ الْكَلَامُ أَنَّ

يَقُولُ كَيْفَ مَاتَ

كَأَنَّمَا تَمْزِيْقُهُ

صَلَاةً!

(١) يُقال إنَّ هؤلاء كانوا
أربعة وثلاثين شخصاً.

- ع -

صَمْتُ حَوْلِ ضِفَافِ النَّيْلِ - الْبَرْدِيُّ يَهْيِي

حَفْلًا.

إيزيس سَتَحْضَرُ والأَهْرَامُ،

وقيل: النَّيْلُ سِيلْقِي شعراً.

نَجْمٌ يَنْزِلُ عَنْ كُرْسِيِّ اللَّيْلِ -

يُعَانِقُ خُوفُو.

الذَّكْرَةُ

٢٨٩هـ.

أَسْرُوا كُلَّ مَنْ

قِيلَ عَنْهُ

إِنَّهُ قِزْمَطِي.

قَدَمُوا الْكُبَرَاءُ^(١)

لَكِي يَقْتُلُوهُمْ:

قَطَّعُوا كُلَّ أَطْرَافِهِمْ،

وَأَعْنَقَهُمْ ضَرْبُهَا.

* أَلُنَّجُومُ؟ سَتُصْبِحُ عَمَّا قَرِيبٍ،

مُدْنًا وَأَسِيرَةً حُبِّ.

يَأْتِي فَجْراً فِي زِيِّ امْرَأَةٍ ،
وَيَعُودُ مَسَاءً فِي زِيِّ عَشِيقٍ ،
قَصَّ عَلَيْنَا :
عَرَضَ الشَّيْطَانُ عَلَيَّ كِتَاباً
أَمْسِ ، وَرَاءَ الْجَامِعِ ، كَيْ أَقْرَأَهُ
فِي شَهْرِ الصَّوْمِ .

إِنطَحوه على وجهه^(١) .
وابتدأوا أولاً بِمِمْيَ
يديه - افطعوها ،
واقطعوا بعدها
رجلَهُ ،
ثُمَّ يُسْرِى يديه وَيُسْرِى

قدميه -

اضربوا عُتْقَهُ ، وإلى أَسْفَلِ
نُكْسُوهُ .

قال رَأَهُ فوق سَرِيرِ امْرَأَةٍ
لا وَقْتَ لَدِيهَا
إِلَّا لِلنَّوْمِ .

* هذه لحظةُ الظنِّ والتَّوَرِيَةِ

أَتْرَاهَا

لحظةُ الرُّوحِ مهجورة؟

قُلْ لِقَيْثَارِ هَذَا الزَّمانِ : ابْدَأِ الأُغْنِيَةَ .

- ص -

دَارٌ - «دَارُ الْفِيلِ»،

تتذكر، حين تراها، عام الفيل
وتذكر بالعدوى سجيل.

أمشي حول الدار، وأسمع حولي
أصواتاً

لكن،

لا ألمح أفواهاً تخرج منها.

هل أصوات الناس هنا
تتصاعد من أحشاء النبل؟

* أَلَرَّمَانُ دَمٌ سَائِلٌ وَالْمَدِينَةُ مُسْتَنْقَعٌ،
فلماذا نُنكس هاماتنا
للخلافة، أو نخضع؟

الذاكرة

٢٩٢هـ - ٢٩٣هـ.

كانوا بضعة أشخاص،
قُتلوا في بغداد،
وكانت تلك
نهاية عهد^(١).

*

مات القاسم^(٢) ابن عبيد
الله، السفاح. ابتهج
الناس. يقول الشاعر فيه:
«شربنا عشيّة مات الوزير،
ونشرب، يا قوم، في
ثاليته
فلا قدس الله تلك العظام،
ولا بارك الله في واريته».

(١) الإشارة إلى آل طولون،
ولاة مصر، وكانوا بضعة عشر
رجلاً، نُقلوا مقيدين إلى
بغداد، حيث قُتلوا جميعاً.
(٢) هو وزير الخليفة
المكتفي. كان سقاًكاً للدماء،
وهو الذي قتل بالسّم الشاعر
ابن الزّومي.
ولم أعثر على اسم
الشاعر، قاتل هذين البيتين.

- ق -

أَلْخِيَالُ وَبُرْهَانُهُ

الذَّكْرَةُ

٢٩٤هـ.

الْمَقَابِرُ، ظِلُّ النَّخِيلِ، النَّخِيلُ،

الْيَمَامُ، الْحَدِيثُ مَعَ التَّيْلِ،

إِيزِيسُ،

لَيْلُ التَّوَعُّلِ فِي كَوَكِبِ الْقَصِيدَةِ.

بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنَيْهِ^(١)، يُشْعَلُ
حَزْبًا.

قَتَلُوهُ، وَشَقُّوهُ،

كَمَا قِيلَ،

أَحْشَاءُهُ.

أُتْرَى هَذِهِ كُلُّهَا

لُغَةً فِي الرُّجُوعِ الْقَرِيبِ إِلَى حَوْلَةِ الْبَعِيدَةِ؟

* إِنَّ أَخَذْتُ الزَّمَنَ

وَهَجَرْتُ نَفْسِي مِنْهُ،

أَتُرَانِي إِذَاكَ أَعْرَفُ أَنِّي، وَكَيْفَ،

وَمَاذَا يَكُونُ الْوَطَنُ؟

(١) الإشارة إلى زكرويه،
وإلى ابنه يحيى والحسين.

ويُقال إنه قُتِلَ مِنْ
الْحُجَّاجِ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى
مَكَّةَ، عَشْرِينَ أَلْفًا.

(١) كان عمره ثلاث عشرة سنة .

وقد زوي أن الفاضلي
المثنى أحمد بن يعقوب، قال
في هذا الصدد: «لن أبايع
صبيّاً» .

(٢) هو ابن المعتز، الشاعر .

ألفضاء الذي يلبسُ النِيلَ نِيلٌ آخَرُ
أَفْتَقِيهِ،
أَتَهَجِّي تقاسيمَهُ .

كانتِ السَّمْسُ تُملي عليه شُعَاعَاتِهَا
عندما كان وجهي يَشْطَحُ في وجهه .

كلَّ لَيْلٍ،
يقودُ التَّجَومَ إلى داره :
هكذا وَشَوَّسَتْنِي بَرْدِيَّةٌ .

* أَتَذْكُرُ أَنِّي التَّقِيْتُ على النِيلِ،
مَوْتِي مِرَاراً :
دائماً،
كان يبدو بهيئةَ طِفْلِ .

الذاكرة

٢٩٥هـ .

قُبض المُنْكَفِي :

قَاذَةُ وَقُضَاءُ

يُجْمَعُونَ على خَلْعِ وارثه
المقْتَبِرُ^(١)،

وعلى أن يكون الخليفةُ
شخصاً جديراً .

سألوهُ^(٢)،

استجاب، ولكن

بشرط : لا دم

لا قتال .

- ش -

أَلْخُلُودُ حَبِيبٍ إِلَى النَّاسِ، لَكِنْ
أَتَسَاءَلُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْمَرِيرَةِ،
فِي ذَاتِ نَفْسِي، لِمَاذَا
لَا أُحِبُّ سِوَى الزَّمَنِ الْعَابِرِ؟
وَلِمَاذَا
لَا أُنْصَبُ ضَوْءاً يَسْوَدُ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَّا
قَلَقَ الشَّاعِرِ؟

الذاكرة

٢٩٥هـ .

بايعوه،

وأعطوه اسماً

جديداً^(١) .

لم يدم أمره،

خلعوه،

قتلوا كل من

بايعوه،

وأعدوا إلى

عرشه، المقتدر .

* كيف تاهت غزاله عينيه عن دربها؟
هُودًا حاضِنُ نخلةٍ
تتمايلُ سكرانَةً
وتُحدّث عن حبّها .

- ت -

رُبَّمَا التَّيْلُ جُرْحٌ

مِنْ هَيَامٍ وَتِيهِ

حَقَرْتُهُ عَلَى جَسَدِ الْأَرْضِ،

رَيْشُهُ خَلَّاقِهَا،

رَبَّمَا التَّيْلُ وَعَدُّ لِمَثَلِي -

لِمَلَأْتُكَ يَأْتُونَ لَيْلًا إِلَيْهِ،

يَسْهَرُونَ، يَجُوسُونَ أَحْشَاءَهُ

وَيَنَامُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

الذَّاكِرَةُ

٢٩٥هـ.

يسأل الناس: مَنْ

منهما تُبَايِعُ،

أَوْ يَسْأَلُونَ: لِمَنْ

نَنْتَصِرُ؟

حَبْسُهُ (١)،

أَخْرَجُوهُ مِنَ الْحَبْسِ،

مَيْتًا.

* مَا أَقُولُ وَمَا لَا أَقُولُ

وَحَشَّةٌ فِي طَرِيقِي إِلَى عَتَبَاتِ الْأُصُولِ،

وَمَا يَتَخَطَّى الْأُصُولُ.

الذاكرة

٢٩٥ هـ.

عندما بايعوه^(١)،

سألوا الطبري^(٢) عن

الأمر، ما رأيه؟

قال:

- كلاً، لن يتم له

الأمر؟

- كيف؟ لماذا؟

- أتيتهم،

برجالٍ كبارٍ

كلهم يتقدم في زمنٍ

يُذيرُ

كلهم خاسرٌ

وهو أولُ من يخسرُ.

- ث -

تهتُ في التَّيْلِ - في ضوئه وفي ظِلِّهِ .

تهتُ، أبحرْتُ في سُفُنِ جَارِيَاتٍ

بأسرارِهِ

في سرِّيرِ أساطيرِهِ .

كَأَنَّ نَحْلِي يُعْنِي

هذه السُّفُنُ الجَارِيَاتِ، وكان عَرَارِي

شاعراً آخرّاً يَتَبَطَّنُ الآءَهَا

ويُعْنِي مجاذيقَهَا،

وحيازيمَهَا،

ويُعْنِي الصَّوَارِي .

❖ قُلْ لَشَعْرَكَ - هذا الصَّدِيقِ الْأَمِينُ :

جِسْمِي الْآنَ نَفْيٌ لَجِسْمِي ، -

وَلَهُ يُلْهِمُ الْعَشْقَ ، يَلْتَهُمُ الْعَاشِقِينَ .

(١) الإشارة إلى ابن المعتز .

(٢) هو المؤرخ والفقيه المشهور محمد بن جرير الطبري .

قُتِلَ ابْنُ الرُّضَا:

قُطِعُوا رَأْسُهُ،

نُصِبُوهُ عَلَى الْجَنْسَرِ

أَمْثُولَةً

لِلَّذِينَ يَقُولُونَ

أَفْوَالَهُ

أَوْ يَقُولُونَ عَنْهُ:

بِهَجْجِهِ نَهَجْنَا.

- خ -

سَأَشْبَهُ نَفْسِي بِالْثِيلِ:

تَرْحَالُ فَيُضِ

وَمَسْرَاهُ مَسْرَايَ،

وَالْأَرْضُ فِينَا

«وَزِدَّةٌ كَالِدَّهَانِ».

غَيْرَ أَنَّ حَيَاتِي قَلَقَ وَمَجَازُ

وَشِعْرِي كَالشَّمْسِ: مِنْ لَا مَكَانَ.

* بَلَدٌ - لَمْ يَقْلَ مَرَّةً:

أُحِبُّ. اتْرَكُوهُ، إِذْنُ،

لِلْوَحُوشِ الَّتِي تَسْتَبْدُ

بِأَحْسَائِهِ.

- ذ -

(١) الإشارة إلى شخص اسمه خالد الشعراوي . وكان عاملاً على كرمان وسجستان، وقد تمرّد وسمّى نفسه أميراً.

مَا أَقُولُ لِيَوْمِي، هُنَا،

مَا أَقُولُ لِأَمْسِي؟

أَتَرَاهُ الزَّمَانُ سَيُصْغِي؟

فِي شَخْصَانِ: شَخْصٍ

لِلْمَكَانِ، وَشَخْصٍ

لِتَقَالِيدِهِ،

وَأَنَا ثَالِثٌ.

لَا أُجَادِلُ شَخْصِي، أَتْرُكُ لِلشَّعْرِ أَمْرِيهِمَا،

وَأُجَادِلُ نَفْسِي.

الذّكرة

٣٠٤هـ.

قيل: «رَدُّ» الكلام

إلى أصله،

ولهذا

قطعوا رأسه،

صلبوه على ناقّة!». .

* الْمَكَانُ يَغْتَيِّرُ أَهْدَابُهُ

وَتَقَاطِيعُهُ:

سَوْفَ يُصْبِحُ، بَدْءاً مِنْ الْيَوْمِ، أَنتَى.

(١) الإشارة إلى الناصر العلوي المعروف بـ «الأطروش».

- ض -

سَأَقُولُ لِذَاتِي: تَجَلَّيْ
فِي قَمِيصِ الظَّلَامِ لَكِي أَنْقَضَى مَدَاهُ،
وَأُحْسِنَ قَبْضِي عَلَى الثُّورِ -

يَا ظُلْمَةُ الْيَوْمِ. فِي كُلِّ وَجْهِ
أَثَرٌ مِنْ شُعَاعِكَ، وَالنَّيْلُ فَيُضْ
بَيْنَ تَدْيِيكَ. إِيْزِيسُ تُفَاحَةٌ
فِي سَرِيرِكَ أَمَّارَةٌ -
أُمَّةٌ أَنْتِ، حَقًّا.

الذَّاكِرَةُ

٣٠٤ هـ.

كَانَ إِمَامًا^(١)
فِي الْفَقْهِ، وَكَانَ
يُحِبُّ الشَّعْرَ،
وَيَعْلَنُ أَنَّ الْحَقَّ إِمَامٌ
وَالْعَدْلُ إِمَامٌ.
لَكِنْ، مَعَ ذَلِكَ،
مَاتَ قَتِيلًا.

* أَنَا وَالتُّورُ فِي هِجْرَةٍ:
جَسَدَانَا وَأَحْلَامُنَا دَارُنَا
يَتَحَرَّرُ فِينَا الْمَكَانُ،
وَمَا يَتَرَمَدُ تَوْقِظُهُ نَارُنَا.

- ظ -

أَتَوْهُمْ؟ كَلَّا

لَمْ أَشَاهِدْ بَعِيْنِيْ كَافُوْرَ،

شَاهَدْتُهُ

بِالصَّدَاقَةِ مَخْنُوْقَةٍ

بِالْحَيَاةِ - انْكَسَاراً وَهَوَلاً.

هَكَذَا سَاجَاهِرُ: كَافُوْرُ دُنْيَا

وَكَافُوْرُ أَرْضٍ.

هَكَذَا سَوَفَ

أَرْتِي لِعَضْرِيْ.

الذَّكْرَةُ

٣٠٤هـ.

الرَّؤُوسُ تُقَطَّعُ، تُهْدَى

لِبَغْدَادَ: مِنْ كُلِّ

صَوْبٍ،

وَاحِداً وَاحِداً

فَوْقَ صَخْنٍ،

أَوْ مُدْلًى عَلَى رَأْسٍ

زُمَجٍ.

لَمْ يَعِدْ فِي الْخِلَافَةِ إِلَّا

اسْمُهَا.

* أَتْرَاهُ وَقْتِي

فِي هَذَا الْفَلَكِ السَّاحِرِ - مِصْرَ، فَرَاغٌ

لَا يَمْلَأُهُ شَيْءٌ؟

- غ -

هَيَّأْتُ حُبْرَهَا . إِنَّهُ النَّيْلُ يَوْمِي . ماذا؟

كَتَبْتُ وَجْهَهَا

فوق وجه الرغيف .

جَبْرُهَا؟ أَخَذْتُه

مِنْ هُبُوبِ الشَّتَاءِ ، وَمِنْ خَمْرَةِ الصَّيْفِ

مَسْكُوبَةً فِي دِنَانِ الْخَرِيفِ .

الطَّرِيقُ إِلَيْهَا وَإِلَى حُبْرَهَا ،

رَبِيعٌ .

آيها الراحلون، تُرانا

لا نزال بعيدين

عن قُصْدِنَا؟

هل أمد إليكم

يدي، وأفتح

صدري؟ قولوا

لم أعد أتذكرُ

من أين جننا،

إلى أين نمضي؟

* نَوْرَسٌ يَتَمَوَّجُ ،

وَالنَّيْلُ يُسَلِّمُ أَعْضَاءَهُ لَأَعْضَائِهِ .

سُرَّةُ الْمَاءِ لِلْحَالِمِينَ سَرِيرٌ .

**هوامش
(يوميات المتنبي)**



II. ديجور

١ - رغبة

أَتَخَيَّلُ بَغْدَادَ، لَكِنِّي أُحْيِي
حَلَباً وَأُحْيِي
كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - أَهْدِي، ذِكْرِيَّاتِي،
وَاجْلِسِي. رَكْبَتَايَ سَرِيرَانِ.
هَذِي عُرُوقِي
عَطَشٌ جَارِفٌ. وَهَذَا
كَبْدُ الْوَقْتِ: مِنْ جَمْرِهِ
تَتَدَفَّقُ هَذِي الْوُجُوهُ الَّتِي تَتَشَرَّدُ.
مَاذَا؟ إِهْدِيَّ وَاجْلِسِي.
أَفَلَا تَرْغِبِينَ هُنَا، الْآنَ، أَنْ تَسْمَعِيهِ
يَتَكَلَّمُ: ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَحْيَا
أَبْداً صَامِتاً، بَيْنَنَا؟

٢ - حلم

حلمٌ نَسِيتُ سريرهُ

يأتي إليّ، يَجِرُّ قافلةَ الظُنُونِ.

عَسَلْتُ وَجْهِي

برحيقه، -

أتذكر الآن: انحنيتُ لوجهه

فمضَى. لماذا.

ولِمَن يَعُودُ، ولم أعد ما كُنْتُه؟

كُنَّا وَفَرَّقَنَا الطَّرِيقُ

هو جَدُولٌ وأنا حريقٌ.

٣ - مناجاة

قلت لي: ناديم؟

أيها الجسم - جسيمي. هل صرت غيري، إذن؟

بيننا ألف حَرْبٍ وحَرْبٍ

وكثيراً جرينا معاً

لملذاتنا

وسهرنا نقطر الآءها،

ونمت، ولكنتي لم أنم

بيننا ألف حَرْبٍ وحَرْبٍ

بيننا ظلمات

بيننا ما أخاف التبسط فيه،

وأجبن عن ذكره:

هكذا،

لا أكرّر ما قلته. لا أطيق الندم.

٤ - نواح

المساء. كأنني أراه
أتياً من سَمَرْقَنْدَ في موكبٍ
مِن مَّاذَن. يَمْشِي
وعلى وجهه وَهْمُ شَمْسٍ.
يَسْلُقُ خَصْرِي، يَكْبُو على كَتْفِي. سِهَامُ
تَرَاءَى على دَرْبِ غَزْلَانِهِ - المساء كشيخ
تَوَحَّدَ في غرفة الكونِ منتظراً ضَيْفَهُ - الموت. أَصْغِي
لحقيقٍ غريبٍ: تُراه
طائر الموت؟ لكنَّ هذا النُّواحُ
ليس قَبْراً، ولم تَنْبَأْ بقيثاره الرِّيح.

٥ - تأويل

رجلٌ يَجرحُ جذعَ النَّخلةِ قُرْبَ الجامعِ . يزوي
أَنَّ الرُّطْبَ السَّاقِطَ مِنْهَا سُمًّا .
هل يتوهَّم؟ هل يتنشَّقُ سِحْرًا؟
أعطيتُ النَّخلةَ زندي .

قلتُ لِغُصْنٍ :
كَيْفَ الشَّمْسُ تحنُّ إليك . وقلتُ لآخر : أنتَ سريرُ
وسيرقدُ فيه ، يوماً
طائرُ حبٍّ .

رجلٌ آخرُ جاء ليحرقَ جذعَ النَّخلةِ . يزوي
أَنَّ الرُّطْبَ السَّاقِطَ مِنْهَا
ليس جَنِينًا .

٦ - التباس

لم أعد أتعجب، إن كنت سُويّت من طينة
أو من التمر - نُصباً
يتعبّد آلاءه شقي
وإذا جاع وافقد الخبز راح إليه
يتذوق أشلاءه لقمة لقمة.

لم أعد أتعجب إن كنت سُويّت سيفاً
ليقطع بي كل رأس يقول: الخليفة لا رأس له!
أخليفة - آه الخليفة! آه الجنود الحروب السجون المجاعات
آلهة من عبيد،
وآلهة سادة،
والخليفة - آه الخليفة! من أين يا لغة الضاد،
تبدأ هذي الفجيعة،
أو هذه المهزلة؟

٧ - رحلة متخيَّلة

(أ)

أَلْعَنَّاكَ يَنْسُجْنَ قُمْصَانَهُنَّ . السَّمَاءُ

رَمَتْ صَدْرَهَا

فِي ذِرَاعَيْ صَبَاحٍ لَهُ وَجْهُ طِفْلِ .

وَأَرَى حَوْلَهُ

أُمُومَةً أَرْضِ

تَأْسِرُ الطُّيْرَ فِي عُشِّهِ .

ضَجَّةٌ . لَا الشَّجَرُ

لَا الْجَدَاوِلُ . لَا الرِّيحُ . لَا الرَّعْدُ . لَا خُطَوَاتُ .

ضَجَّةٌ فِي فِضَاءِ النَّظَرِ .

٨ - رحلة مُتَخَيِّلة

(ب)

الطَّرِيقُ وَأَنْيَابُهَا، -

رَبِّمَا تَأْخُذُ الرِّيحُ هَذَا الطُّلُولَ . نَبْوَآتُ رُغْبٍ
تَتَفْتَحُ فِي قَدَمِيَّ وَفِي الْعُشْبِ . حُذْنِي
أَيُّهَا الضُّوْءُ فِي سَاعِدِيكَ ، وَفِي خَطَوَاتِكَ . عَيْنَا
هَذِهِ الصَّخْرَةُ التَّبَاسُ
فِي طَرِيقِي . نَسِيَانُ هَذَا الطَّرِيقِ؟ أَيْنَسِي
قَدَرُ نَاطِرِيهِ؟

أَتُرَاهُ الْقَدَرُ

لَعْنَةُ الْيَأْسِ فِي شَهَوَاتِ الْبَشَرِ؟

٩- رحلة متخيَّلة

(ج)

هُودًا يَقْتَرِبُ الذَّبُّ، وَلَكِنْ
لَيْسَ فِي عَيْنِهِ نَارٌ.

أَيْنَ غَابَتْ هَذِهِ الْأَسْطُورَةُ الْحَيَّةُ؟ عُرِّي
فِي فِضَاءِ الْوَرَقِ السَّاقِطِ. أَضْغَاثُ رِيَّاحٍ
وَالْخَرِيفُ انْكَسَرَتْ أَجْرَاسُهُ.

يَضَعُ الذَّبُّ عَلَى أَهْدَابِهِ
شَبْحًا يَتَّبِعُهُ
مَا الَّذِي يَكْتُبُ هَذَا الْوَرَقَ الْمِثْتُ، بِمَاذَا يَعِدُّ؟

١٠ - رحلة متخيَّلة

(د)

الرَّمْلُ يغمُر وجهَ دجلةَ . هذه

صَرَخَاتُ حَيِّي :

وَجْهَ الألوهةِ وردةٌ دَبُلَتْ . بلادُ

صَدَأُ صديدُ ،

والعابرونَ يعانقون غوايةَ الجُرحِ القديمِ .

بغدادُ فتنةَ شاعرٍ . هذي عكاظُ؟ أمِنْ جديدِ

تَصْحُو وتسكُرُ تحت قوسِ جراحِها؟

أهُوَ المكانُ ، يُشَقُّ صدرُ نبيِّه ،

أهو السَّديمُ؟

III

فاصلة استباق

إنه النَّيلُ -

«فاضّ المال، وكثرت الفتن،
وظهر دجالون كلُّهم يزعم أنّه الحقّ»،

إنها القاهرةُ،

القرن العاشر جسدي كنتُ فيه الجنونُ
واستأثرَ بيّ العقل كنت المحو (وربّما
سيقول التاريخ إنني الذاكرة)

النَّيلُ، - أشير إلى الضوء لكنهم لا يعرفون
في سريرهِ أن يحدّثوا إلاّ في ثيابي «أفي
تكتشف السَّماء كلّ يوم تحت ضُبْنِي شُويعِر؟»
لذّة النّوم. في خطواته
تكتشف لذّة اليقظة.

أنظروا - الفضاء أنا،

يرسل النَّيلُ تحياتِهِ وشِعري غيومه الممطرة.
مكتوبةً إنه الوقتُ ليأخذ كلُّ شيءٍ اسمه
على جسدِ الشَّمس. ولكي ترسمَ الطّريق.

هكذا أقول لمصر وأشياؤها:

وُلِدْتُ فِي نَسَقِ الشَّمْسِ،

وَأَنْتِ مَغَامِرَةُ الْبَدْءِ.

ها هي

جدائلُ الشمس

تَتَبَلَّلُ بِمَاءِ النَّيْلِ.

إِنَّهُ النَّيْلُ، -

يَنْبَجِسُ إِلَيَّ مِنْ أَغْوَارِ الْعُنَاصِرِ،

وَدَوْرِي الْآنَ أَنْ أَتَشَبَّهَ بِهِ -

مَاذَا أَفْعَلُ يَا سَيِّدَ الْأَسَاطِيرِ؟

رَمَنْ -

فَقَاعَاتُ تَعُوم

عَلَى وَجْهِ النَّيْلِ.

الْلَهْبُ يَزْفِرُ فِي اللَّغَةِ، -

قَلْبِكَ، أَيُّهَا الْعَالَمُ، الْوَحْشُ؟ إِذَنْ

سَيَكُونُ شَعْرِي الْفَتَكُ.

النَّيْلُ هَادِيٌّ؟ عَنِيتُ: هَا هُوَ الطَّوْفَانُ.

مَاءُ الْمَوْتِ لِلنَّيْلِ

هُوَ نَفْسُهُ

مَاءُ الْحَيَاةِ.

أَسْمَعُ النَّيْلَ:

لَا يَسْقُطُ الْحَبُّ مِنَ السَّمَاءِ

إِلَّا لِأَنَّهُ يَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ.

«بِمَائِهِ اغْتَسَلَتْ

النَّبُوَّةُ الْأُولَى»:

قَالَتْ الْأَرْضُ مَرَّةً

تَصِفُ النَّيْلَ،

وَلَا تَزَالُ السَّمَاءُ تَكَرَّرُ

مَا قَالَتْ الْأَرْضُ.

أَلَنْ تَطْرَحُ عَنْكَ آخِرًا، يَا صَدِيقِي النَّيْلُ،

عِبْءَ تِلْكَ السَّمَاءِ الَّتِي تَجْتَمِعُ عَلَى كَتِفِكَ؟

وَأَرْجُوكَ

أَنْ تَفْهَمَ فَيْضَانِي فِي اتِّجَاهِ أَحِبَابِي.

من خيوط مائه
ينسج النّيل
ثوباً واحداً
لفرحه وحزنه،
هو ثوبه الوحيد.

أنا ضراوة الانشقاق
رفضاً للنخاسين «مَحْفَلِ القروء»
«المرتزقين القابضين على الزّمام»
«دولة الخدم» .

كلّ يوم
يلقي النّيلُ
من أعلى قِمّةٍ
في جبل الحكمة،
موعظة الماء.

أنا السُّبُهاتُ وأنا الحقُّ
يا لهذا العالم - الخديعة:
«بكلّ أرضٍ وطئتها أُمَمٌ
تُرعى بعبدٍ كأنّها غَنَمٌ
إِنِّي وإن لُمتُ حاسِديّ، فما
أُنكر أنّي عقوبةٌ لَهُم» .

يحضن النّيلُ
السّفن والقوارب
كأنّها بيوتٌ
وأسرّةٌ
لأطفاله.

وأسألك، أيّها النّيل:
من أين تجيء هذه اللّانهاية
التي ترفرف على وجهك؟
أنا الواحد،
وكلّ شيءٍ فيّ متنافِرٌ
و«اسمي في السّماء: لا» .

أعرف الآن

لماذا أثر أبو الهول الصمت:

أرتج عليه،

وهو يحاور النيل .

لك شكل

أيها السيد النيل

لا ينتهي من التشكل:

علمني الشعر يا صديقي .

للنيل بشرّة

يتصاعد من

مسامها ضوء

ليس الجسد

وليس الجنس،

وليس شيئاً آخر

غيرهما.

إذن، سأعترف:

خلقت بجسمين - واحدٍ يعذبني،

وآخر أعذبه .

هكذا أمسح أعضائي

وأبتكر للشعر خطايا .

سلامٌ للعصاة في الشعر،

سلام لمن يهوس

ويُضلّل .

هل يمكن

أن يُقال:

وداعاً، للنيل؟

(١) في الرواية أن أم
المقتدر، واسمها شغب أمرت
قهرمانه لها اسمها مثل وفي
رواية ثمل أن تجلس بالزصافة
للمظالم، وتنظر في كتب
الناس.

انتفع بذلك المظلومون،
وأنكر ذلك الكثيرون
واستبشعوه.

(٢) قال الإمام السيوطي:
«صار الأمر والنهي لحرم
الخليفة ولنسانه، لركاكته.
وآل الأمر إلى أن أمرت أم
المقتدر بمثل القهرمانه أن
تجلس للمظالم وتنظر في
رقاع الناس كل جمعة.
فكانت تجلس وتُحضر القضاة
والأعيان وتبرز النواقيع وعليها
خطها».

الذاكرة

٣٠٦ هـ.

إجلسي^(١)

وانظري في شكواهم،

وحذيتهم بزفق

الكلام، وصدق النظر.

غضب الفقهاء^(٢) من الأمر

واستنكروه:

كيف لامرأة أن تؤلى شؤون

البشر؟

إنها القاهرة، -

أدخل الآن في طقسها، وأعني لها

ويغني معي

قصب النيل - (يوماً، كيوسف، لكن

في منامي، أتيت إلى القاهرة

زرت آمون في بيته.

وكتبت وغيثت مستسلماً

لهوى امرأة راودتني عن نفسها،

ولكنها لا تحب سواه).

قل لي الآن، يا نيل، من أين تأتي

إلى أين تمضي خيول تباريحك الثائرة؟

* لِمَ، هذا المساء،

يحجب الليل عني

نجمة، كنت هيات نفسي

كي أسامر في ضوئها

فلك الأصدقاء؟

الذاكرة

٣٠٩ هـ.

قال عُرَيْبٌ^(١):

«كان الحلاج غويّاً يَنْتَقِلُ في
البلدان،

يموّه

بين السُّتّة سِتّي،

بين الشَّيعة شيعي،

مُعْتزلي، إنَّ قابلَ شخصاً
معتزلياً».

- ب -

لَمْ تَعُدْ لَدَّتِي

مِثْلَ نَبْعٍ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ.

لَمْ تَعُدْ قَامَهُ الرِّيحُ مَسْكُونَةً

بِجَدَائِلِ أَحْلَامِي الطَّوِيلَةِ.

رَافِعُ غَضْبِي رَايَةً

وَأَقُولُ الْكَلَامَ الَّذِي يَتَفَتَّقُ رَفْضاً وَهَدْماً.

وَلِهَذَا أَغْتِي، أَنْصَبُ نَفْسِي

عَاشِقَ الطُّرُقِ الْمُسْتَحِيلَةِ.

* جَسَدِي يَتَمَرَّقُ مُسْتَرْفَاً

بَيْنَ مَا قُلْتُهُ،

وَمَا لَمْ أَقُلْ.

(١) عُرَيْبُ بْنُ سَعْدِ الْقُرْطُبِيِّ،
فِي «الْصَّلَةِ» الَّتِي كَتَبَهَا تَكْمِلَةً
لِتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ.

- ج -

أَخَذْتَنِي إِلَى بَيْتِهَا نَفَرْتَنِي
وَسَقَتْنِي إِكْسِيرَهَا .

(وَحْدَهُ الشُّعْرُ كَانَ الْمَقَامَ

الَّذِي نَتَسَاكُنُ فِيهِ) .

وَأَرَى التَّيْلَ يَلْبَسُ أَهْدَابَهَا

(لَا تَقُولِي لِي الْآنَ مَا لَمْ تَقُولِيهِ

مِنْ قَبْلُ) لِلتَّيْلِ رَوْحٌ تُرْفَرُ،

وَالْكُونُ وَجْهٌ لَهَا .

أَرْضُهُ نَشْوَةٌ،

وَالنُّجُومُ عَرَائِسُ يَخْرُجْنَ مِنْ ضِلْعِهِ .

قال عَرَبِيٌّ :

«كان الحلاجُ خفيفاً

في الحركاتِ -

يُسْعَوِدُ: مَحْرَقٌ

حَتَّى اسْتَهْوَى

مَنْ لَا يَفْهَمُ شَيْئاً» .

* رُبُّمَا يَنْبَغِي

أَنْ أُخِيطَ الرِّيحَ وَأَنْ أُتَنَزَّهَ فِي إِبْرَةٍ .

هَلْ أَلَابِسُ نَارَ الظُّنُونِ،

وَأَمْكُرُ؟ أَشْيَاؤُهَا

مَكَرْتُ وَمَكَرْتُ: المَدَائِنُ قَلْبُهَا

صفحة، صفحة -

قَدَمِي تَتَقَدَّمُ، رَأْسِي فِي خَلْوَةٍ:

أَعْلُو، أَمْهَوِي

أَمْ جَنُونَ أَقَاصِي؟

شَغَفْتُ لَاعِجٌ، شَغَفْتُ جَارِفٌ، -

نَسْوَةٌ أَنْ تُهْدَمَ أَسْوَارَ

هَذِي المَدَائِنِ،

وَالشَّعْرَ مِعْرَاجَكَ العَاصِفُ.

قال عُرَيْبٌ:

«كَانَ الحَلَاحُ يُجَاهِرُ

«إِنِّي الرَّبُّ».

و «ما في الجبة غيرُ

اللّه»، وشاعتُ

كتبُ أملاها

مُلِثَتْ

بحماقاتُ،

وكلامٍ مقلوبٍ،

وبكُفْرِ».

* لَا أُسَافِرُ

إِلَّا لِصِيدِ الكَوَاكِبِ،

وَالْأَفُقُ لِي جُعْبَةٌ.

رُبَّمَا يَنْبَغِي

أَنْ أَسْلَسَيْلَ جِنْسَ النَّطَائِرِ، جِنْسَ الْمَجَازَاتِ،
جِنْسَ الْفُرُوقِ، وَأَصْرَخَ: أَهْلًا
بِالسَّطُوعِ، - النَّسَاءُ يُرْتَلَنَ
أَحْزَانَهُنَّ،
السُّهُولُ هَوَادِجُ مَحْمُولَةٍ
فِي قَوَافِلَ مِنْ كُلِّ زَهْرٍ.
رُبَّمَا، رُبَّمَا. وَظَنِّي،
أَتْنِي سَأَقُولُ لِدَرْبِي خُذِينِي
خُطُواتِي رِيَا حَ لَوَاقِحُ يَصْرُخُنَّ حُبًّا.

قال غريب:

«كان الحلاج يقول

لِبَعْضِ مَنْ تَبِعُوهُ:

أنت محمد،

موسى أنت،

ونوح أنت.

أنا من قال

لأزواحهم

أن تهبط

فيكم».

* وَرَدَّةُ - (لن أجاهر أُنِّي وكيف) ولكنني
أَتَغَطِّي هُنَا الْآنَ فَوْقَ فِرَاشِي
بِأَهْدَابِهَا.

آه منه، وآه عليه
ذلك الشاعر المتشرد في وجهه،
وفي أصغريه.

هوذا عصره المر
يستجمع الكلمات،
ويُسْلِمُ لِلضَّرْبِ أعناقها.

لنسور تطايرن من قلبه
ويَمْنَنَ جَوْاً بعيداً،
يَنحني ويقول: وداعاً.

أترى عنده موعد آخر؟

✽ الليالي نساء
والنوافذ من حولهن طيوف.

قال الزاوي:

«قال غريب،

هذا اليوم،

كلاماً

كادت لغتي

أن تهرب منه».

- ز -

مُثْقَلًا بِعَجَائِبِ هَذَا الزَّمَانِ :

أَتَمَرَّدُ فِي مَحْبَسٍ

وَأُغْنِي وَعُنُقِي

يَتَوَسَّدُ سَيْفًا .

وَبِشْعَرِي أُدِينُ ، بِشْعَرِي أُبْرئُ : شِعْرِي

شَهَوَاتِي وَجِيشِي

وَحَرْبِي - لَا تَنْتَهِي ،

وَالرَّهَانُ .

قال غزيب :

«كان الخلاج يقول :

أنا أهلكك ثموداً» .

و«يغيب عن

الأتباع ، وينزل

من طبقات الجو

عليهم» .

* رَبِّمَا خَبَأَ اللَّيْلُ سَكِينَهُ

فِي يَدَيِ نَجْمَةٍ .

(١) محمد بن يحيى
الضولي.

- ح -

خَطُّتُ صَدْرِي بِصَدْرِكَ يَا شَمْسُ. أَمْشِي،

أَتَرْنَحُ وَالْيَأْسُ رَقْصِي:

قَدَمِي لِلْغُبَارِ،

وَأَيْقَاعُهَا لِلشَّقَاءِ.

آيَةٌ آيَةٌ

يَتَنَزَّلُ وَقْتِي هُنَا فِي كِتَابٍ

لَا يَرَى كَيْفَ أَحْيَا

وَيَشَاءُ الَّذِي لَا أَشَاءُ.

قال الضولي^(١):

«الحلاج جهول،

لكن يتعلل،

وهو عبي، لكن

يتفصح،

وهو الفاجر لكن

يلبس كي يتنسك -

ضوفاً».

* حملته إلى أرض أحلامه النَّائِيَةِ
شهوةً عاليه.

- ط -

مِصْرُ، هذا هو الخيطُ بين أثنين وبينك:

طاليسُ بَرْدِيَّةُ سَاهِرٌ

وعلى شُرْفَةِ النَّيلِ

بِيزْنُطِيَا

تَتأملُ أَسْرَارَهَا

في تقاطيعِ أَيْقُونَةٍ.

مِصْرُ: لَا عَرَبَ لَا شَرْقَ، بل وَحْدَةُ الْبَدْءِ

في الْقَلَمِ الْفَاطِرِ

تَتَجَدَّدُ في لُغَةِ الشَّاعِرِ.

قالوا:

«نُوَظِرُ يَوْمًا:

لا نعرف شيئاً من

أخبار الناس،

ويجهلُ أهلُ الفكرِ،

لا نعرفُ حتَّى القرآنَ،

وحَتَّى الْفِقْهَ،

ويجهلُ حتَّى الشَّعْرَ».

* منذُ أَنْ كُنْتُ طِفْلاً

كُنْتُ أَسْبَحُ في لُجَّةِ الْبَدْءِ،

في ماءِ شَيْخُوختي.

- ي -

مِنْ مُعَاوِيَةِ وَالرَّشِيدِ وَمَرْوَانَ، لَمْ يَبْقَ
غَيْرُ الْحُرُوفِ الَّتِي عَرَفْتُنَا
بِأَسْمَائِهِمْ .

غَيْرَ أَنِّي أَرَى الشُّعْرَاءَ وَأُضْغِي
كَيْفَ يُسْتَنْفَرُ الزَّمَانُ لِكَيْ يَتِمَّاهِي
بِتَارِيخِهِمْ وَمِيرَاثِهِمْ، وَكُلُّ
عِنْدَ أَصْحَابِهِ نَبِيٍّ .

قالوا:

«بُخِّي الخَلَاَجُ

الموتى،

والجِنُّ لَهُ خَدَامٌ» .

* كَبِدُ الْوَقْتِ مَقْرُوحَةٌ، -

هل أسأِّلُ شُحْرُورَ هَذَا الصَّبَاحِ:
لِمَاذَا تَغْنِي؟

- ك -

أُصْغِي -

في هذا الشارع أصواتٌ
أسمعُ فيها
همساً من يونان، وجرساً فينيقيّاً.

وَأُحْسُ بِفِتْنَةِ بَابِلَ: حَقّاً
مصرُ صحيفةُ بدءٍ
فيها رَسَمَت رِيشَةُ آدَمَ
وَجَهَ الْعَالَمِ.

قالوا:

«كانت بغدادُ
تُسَائِلُ كُلَّ مَكَانٍ
فيها: هل أنتَ
شريكٌ حَقّاً
في نيرانِ الحلاجِ،
وماذا تعرفُ عنه؟».

* كم تَخَيَّلْتُ فينيقيا:
وَطَنُ مَرْكَبٍ،
وَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ
كَتِفًا مَوْجَةٍ.

- ل -

مِنْ أَيْنَ يَخْفُقُ هَذَا النَّجْمُ فِي كَبْدِي؟

خَزَمْتُ صَدْرِي بِأَوْجَاعِي وَطَفْتُ عَلَى
أَطْلَالِ حَبِّي - أَرَاهَا كَيْفَ تَنْسُجُنِي
بِرِيحِهَا،

وَتَبْقِيَنِي وَتَرْجِلُنِي.

يَا لِلْفُجَاءَةِ: ثَوْبُ الرِّيحِ مُنْخَرِقٌ
مُعَقَّرٌ

وَرَمَادُ الْأَرْضِ يَسْتَعِلُّ.

قالوا:

«كانت كلُّ دفاتره

من ورقٍ صينيٍّ.

بحريرٍ وبديبايحٍ

بطنها.

وبماءٍ من ذهبٍ

خطَّ رؤاهُ».

* هل أقولُ: سَريري

قَاتِلِي وَأَمِيرِي؟

- م -

فِي السَّوَارِعِ، بَيْنَ الْمَآذِنِ، فِي كُلِّ حَيٍّ

وَفِي كُلِّ أَرْضٍ،

أَصْغِرُ لِلضُّوءِ، لِلوَقْتِ، لَا تَلْتَفِتْ

إِلَى الْعَابِرِينَ.

وَأَغْتَرِبَ وَاضْطَرَبَ

حَائِراً

يَسْتَضِيءُ بِقَافِلَةِ الْحَائِرِينَ.

قالوا:

«كَانَ الْحَلَاخُ كَثِيرَ

الْأَشْفَارِ، وَزَارَ الْهِنْدَ،

وَفِيهَا

زَارَ امْرَأَةً

خَرَجَتْ مَعَهُ نَحْوَ الْبَحْرِ،

وَكَانَتْ

تَحْمِلُ غَزْلاً مَلْفُوفاً

فِيهِ عُقْدٌ

تُشَبِّهُ أَدْرَاجَ السُّلَمِ

قَالَتْ بَضْعاً مِنْ

كَلِمَاتٍ.

صَمَتَتْ، جَلَسَتْ،

قَامَتْ،

صَعَدَتْ فِي خَيْطِ

الْغَزْلِ، وَغَابَتْ.»

* عَابِرُ الرَّمْلِ بَقَعَ مَاءَ كَوَاكِبِ الْآفِلَةِ

بَدَمَ الْقَافِلَةَ.

- ن -

عَصَّةُ الشَّمْسِ فِي كَتَفِ النَّيْلِ،
زَرْقَاءُ،

وَالضَّفَّتَانِ تَمْدَانِ مَهْدَأُ

لِلْحَقُولِ - النَّبَاتُ

تُولَمُ أَثْدَاءُهَا لِغُشَايِهَا.

أَهُوَ الْحَبُّ يَنْزِلُ فِي شَكْلِ دَمْعٍ

عَلَى وَجْتِي،

أَمْ هُوَ النَّيْلُ يَخْرُجُ مِنْ صَمْتِهِ

وَيَقْصُ تَبَارِيحُهُ عَلَيَّ؟

قالوا:

«كُنَّا نَنْظُرُ».

كَانَ الطَّائِرُ مَيْتًا.

غَطَّاهُ بِكُمِّهِ،

هَمَسَتْ شَفَتَاهُ

كَلِمَاتٍ لَمْ نَسْمَعْهَا.

عَادَ الطَّائِرُ حَيًّا».

قالوا:

«إِنْ لَمْ نَقْتُلْهُ،

اِفْتَسَنَ النَّاسُ

بِعَلْمِهِ».

* الفراغ الذي يتقدّم نحوي كريم،
أَحْيَيْكَ يَا أَيُّهَا الصَّدِيقُ،
وَأَرْجوكَ: لا تمتلئ.

- س -

خَوْلَةٌ - أَتَخَيَّلُهَا هَا هُنَا،

وَأَقُولُ الْهَلَالُ الَّذِي يَتَسَكَّعُ
فِي مَا وَرَاءَ النُّجُومِ سَيَّاتِي إِلَيْهَا،
وَالطُّيُورُ الَّتِي يَرَسُمُ النَّيْلُ أَعْنَاقَهَا
سَوْفَ تَأْتِي،
وَسَيَّاتِي إِلَيْهَا
لَا زَوْرُدُ الْمَكَانِ - تُرَانِي أَهْذِي، وَلَكِنْ
هَآ هُوَ اللَّيْلُ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهَا.

قالوا:

«ضربوه أسواطاً

لم يُحصوها.

فقطعوا رجله، يديه،

خزوا الرأس،

وقالوا: نصبوه فوق

الجسر، وقالوا:

حُمِلَ الرَّأْسُ إِلَى

بلدانٍ أخرى

كي يُنْصَبَ فِيهَا».

✽ غَيْرَةٌ،

سَأَقُولُ لِعَاشِقِ إِيزيسَ: دَعْنِي أَلَامِسَ
بِأَحْشَائِي الْخَافِقَةِ
نَارَكَ الْعَاشِقَةَ.

- ع -

كوكبٌ يتسكّع حيرانَ في كلِّ حيٍّ،

والنوافذُ صفراءُ . ليلٌ

يزفر الآن أحزانهُ

ويقولُ النهارُ مريضٌ .

ومن ذلك الذي يغررُ السَّهامُ

في صدور أحبائنا؟

ربما ليس للضوء، في ظلِّ كافور،

متسعٌ للمقام .

قالوا:

«أحرقِ جسمَ الحلاج

وذُرْ رماداً

في دجلة . قالوا:

فاضت دجلةُ

حباً» .

* أسمعُ في الطِّرقاتِ كلاماً - يندو حيناً،

سِرْبَ خِرافٍ،

وقطيعَ جمالٍ، حيناً.

- ف -

شَبَّحْ - كيف جاء، ومن أين جاء؟
له وَجْهٌ رَبِّ.

أَلَزَّمانُ يوسِّده ساعديهِ،
والغبارُ على وجههِ صَلَاةٌ.
شَبَّحْ شامِخُ
ذراعاه ممدودتانُ
تحت رأسِ المكانِ.

قالوا:

«دُعِيَ الزَّاقُونَ
لِيُقَسِّمَ كُلُّ مِنْهُمْ
أَلَا يَقْنِي أَيُّ كِتَابٍ
لِلْحُلَّاجِ،
شِراءُ،
أَوْ بَيْعاً».

* - أُسْكُتْ، أَفْسَدَتْ هَوَاءُ الدِّينِ،
- أَيْفُسُدُ دِينٌ
مِنْ نَفْحَةِ هَمٍّ؟

- ص -

في هذا الشَّارِعِ كان الماءُ سَجِيناً.
وهُنَا في هذا الشَّارِعِ شَمْسٌ
يَسْتَوِطِنُ فيها عَصِيَانٌ.

وهُنَا، في هذا الشَّارِعِ، شَاعَ كلامُ
أَنَّ الضَّوْءَ سيأتي سَحَرًا
وعلى كتفيه
وَوَطْنٌ يَقْطُ، وفضاءٌ حَيٌّ.

قالوا:

سمعوه يهمسُ

فيما يُحتَضِرُ:

«ناسٌ بَقَرُ

لستُ المقتولُ،

كما يَهْذُونُ. ولمثلي

سِرُّ هواهُ

لا يدركُهُ إِلَّا اللّهُ».

* تاريخ: ثوبٌ مفتوقٌ،

هل يقدرُ شِعْرُ

أَنْ يرتَقَهُ؟

- ق -

لَا تَقُلْ: نَعَشَقُ الْإِمَارَةَ مَذْهُونَةً

بِإِهَارِ تَوَارِيخِنَا، وَلَكِنْ

قُلْ: سَنَسْكُنُ أَكْوَاحَ قَشْرٍ

لِنُخْدِمَ عُشَّاقَهَا.

رَبَّمَا سَوْفَ يُوَلَّدُ مِنْ أَوَّلِ

كِتَابِ نَبَوَاتِنَا

فِي جَحِيمِ غَوَايَاتِنَا الْمُنْكَرَةِ

رَبَّمَا رَغْبَةً فِي اخْتِنَاقِ طَوِيلِ

سَوْفَ تَلْتَهُمُ الشَّفِثَيْنِ،

وَتَلْتَهُمُ الْأَصْغَرَيْنِ،

وَتَلْتَهُمُ الْحَنْجَرَةَ.

أَلْحَاجُّ فِضَاءٍ

هُيَامِ،

وَالْوَقْتُ كِتَابٌ

بَيْتٌ يَدِيهِ.

* - لَا نَقْدِرُ أَنْ نَتَكَلَّمَ فَوْقَ الْأَرْضِ،

- أَتَقْصِدُ أَنْ نَتَكَلَّمَ تَحْتَ الْأَرْضِ؟

- وَدَاعاً.

- مَنْ أَنْتَ؟ كَأَنَّكَ تُشَبِّهُ مَيِّتاً.

أَنْتَ الْغَارِقُ فِي التَّحْرِيمِ،
وَفِي التَّحْلِيلِ،

خَيْرٌ أَنْ تَكْتُبَ،

أَوْ أَنْ تَقْرَأَ شِعْراً

عَنْ عِشْقٍ

أَوْ عَنْ سِرٍّ

بَيْنَ الْبَرْدِيِّ وَنَهْرِ النَّيْلِ.

أَلْحَاجُ أَمَامَ السِّرِّ،

وَبَعْدَ الْكُتُبِ

أَلْحَاجُ بِفَوْضِ أَمْرِ

الْمَعْنَى لِيَدِ اللَّهَبِ.

* رَقْصُ ضَوْءٍ يَأْخُذُ الْوَقْتَ إِلَى شَهْوَتِهِ،

وَالضَّفَافُ اسْتَسَلَمَتْ

لِهَوَى أَغْشَابِهَا.

- ش -

ساحراً مِنْ إِمَامَةِ هَذَا الزَّمانِ،
ومِمَّا تَراهُ العُقُولُ،
ومِمَّا تقولُ العلُومُ،
سأقولُ لكافورَ: أنتَ الإمامُ على الأرضِ،
خُذْها كما شئتَ،
واكتبْ
لرعاياكَ أَقدارَهُمْ -

ما تقولُ النُّجومُ وما يُعجزُ النُّجومُ.

صوتُ الحلاجِ كنايةٍ
في طبقاتِ الكونِ،
دمٌ كونيٌّ،
ويعيشُ وحيداً
بين الأوَّلِ والأخِرِ

لا يعرفُ أن يثبته
بالنبوعِ الدافقِ
منه، غيرُ الشاعِرِ.

❖ إن تجيئَ مرَّةً، وسريُّ اللَّهَبِ
في انتظارِكَ، لا تَبْتَئِسْ.
الأساطيرُ في بدئِها بعدُ،
والشَّعرُ يبتكرُ المنقلبَ.

- ت -

- هل رأيتَ إلى بابِه؟

- فِضَّةٌ .

- وإلى عرشِه؟

- ذَهَبٌ خَالِصٌ .

- والتَّقْوَشَ وما حَوْلَها؟

- حَجَرٌ أَسْوَدٌ كَرِيمٌ .

كيف لا تُوغِلُ المدائن في سُخْطِها؟

كيف لا تتناقلُ أفواهُها

ما تقولُ سيوفُ صعالِكِها

لِلطُّغَاةِ وما لا تقولُ؟

* نُظِفَ من هَبَاءِ

تتقطرُ من ثدي

هذي السَّماءِ .

تركَ الحلائِجُ فضاءَ

آخرَ، غُئِي:

ما أبهى

أن أولم ليلى

لنجوم المعنى

حيث الأرضُ سريرُ

والعائِقُ كؤُ.

- ث -

أتمدد فوق فراشي، أو أسيرُ أَرَى النَّاسَ،

لكن، لا تواصل - ماذا

لو أكرّر ما قلته مرّة:

«ليس في حاضر الناس أيّ غريبٍ عليّ؟»

وأين هو الأمل كي أتأمل في ما مضى؟

الصباح صديقٌ أبداً غائب

في فراغٍ يُسمّى غداً.

أترى وحده الشعرُ يكفي؟

قالوا،

سمعوا الحلاج يغني:

ما أبهى أن يتحدث

عني لهب،

ويطوف عليّ جنون.

ما أبهى أن أحقق

أنّ الصورة كون

تشرّد فيه

عنقاء المعنى.

* مُسْرِجاً لِلرَّحِيلِ حِصَانِ الْأَلَمِ،

قلتُ مستدرَكاً:

لو أطعتُ التوهُمَ، أسرجتُ هذا الهرمَ.

- خ -

لا يُكْتَبُ الشَّعْرُ إِلَّا فِي مُشَافَهَةٍ

مع الغيوب، -

سأحيا في مخيلتي،

أُعلو، وأُسْتدرجُ المعنى، وأَنْتَظِرُ

لي منزلي خَلَفَ أسوارِ أكابِدها

ولي جناحان: وَجْهُ الغَيْبِ والحَجَرُ.

نزل الحلائج خفيفاً

في بُرْكانِ الشَّوْقِ

من أعلى سرِّ

في درجاتِ الذَّوْقِ.

❖ أَيُّهَا المَعْطَفُ،

أَنْتَ يَا ذلِكَ الغَيْمِ، كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ

تلبسُ جِسْمَ السَّمَاءِ، ولا تعرفُ؟

- ذ -

مُقْعَدٌ، أَتْرَاهُ

جاءَ مِنْ بِلَدٍ آخِرٍ؟

يَتَرَاءَى كَمَنْ يَمَضُغُ الرِّيحَ،

أَوْ مَنْ يَجُرُّ حَدِيداً.

آه، مَنْ أَيْنَ لِلشَّعْرِ أَنْ يَتَدَبَّرَ هَذَا الشَّقَاءُ؟

هل أقول لَه: كَيْفَ حَالُكَ؟ لكن

رَبِّمَا كَانَ يَرَفُضُ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي أَمْرِهِ

غَرِيبٌ،

رَبِّمَا كَانَ يُؤْثِرُ أَلَّا يَكَلِّمَ إِلَّا الْفَضَاءَ.

قالوا:

عرج الحلاج إلى

ذرواب الله

بلا معراج

من أعلى نوء

في بحر الحب،

وَأَلْقَى

عظة الأمواج.

* عندما تخرج الشَّمْسُ مِنْ بَيْتِهَا، شَتَاءً،

يَأْخُذُ الْفَجْرُ مَنَدِيلَهَا

وَيَغْطِي بِهِ كَتِفَيْهِ.

- ض -

واهِنُ في قرارة نَفْسي
(أَوْ يُخَيَّلُ لي أَنني واهِنُ)، وَأَسْكُنُ
بيتاً جميلاً - هديةً كافورَ، لكن
هو، في ما يَرى الشَّعرُ،
أَوْهِنُ بَيْتَ.

أَلْبِوْتُ هنا وهناك البيوتَ
لغةً في كتابٍ
كَتَبْتُهُ يدا عنكبوتَ.

* كيف أَرَوِي حَرَجِي لِلَّيْلِ، هل أَبْقَى،
إلى أين أقومُ؟
وَأَنَا الشَّارِدُ، لا أعرفُ من أينَ إلى أينَ
التخومُ؟

قال الحلاج: «اللَّيْلُ
لشَّمْسِي وَطَنُ
وَحْيِي:
مَنْ أينَ، وأينَ،
وكيف تغيب؟».

- ظ -

أَنْتِ، وَجْهًا لَوَجْهِ
مَعَ تَبَارِيحِ هَذَا الزَّمَانِ وَأَشْرَاكِه.
مَعَ غَيُومٍ تَحْجَرُنَ:
مَاذَا يَقْلَنُ لِهَذَا الْفُضَاءِ،
وَمَاذَا تَقُولُ؟ الْفُضَاءُ وَأَنْتِ
اتِّحَادُ صَدِيقَيْنِ فِي وَرْدَةٍ:

وَرْدَةٌ - لَفْتَةٌ.
وَرْدَةٌ تَقْرَأُ الشَّمْسُ لِلْحَبْرِ أَفْلَامَهَا
وَتَلَاوِينَهَا،

وَرْدَةٌ تَتَهَجَّى تَابِينَهَا.

* أَلَمْ لَيْسَ فِكْرًا وَلَا صُورَةً،
إِنَّهُ جَسَدٌ يَتَقَطَّعُ: هَلْ ضَرْبَةٌ قَاضِيَةٌ
أَتَرْتَحِ فِيهَا - فِي ثَمَالَاتِي الْبَاقِيَةِ؟

قالوا:

سمعوا الحلاج

يقول - «لَفَطْتُ

اليوم كلاماً

كادت لغتي

أن تهرب

منه».

- غ -

حَيَّةٌ؟ قَلْتُ يَوْمًا

أَحَبُّ الْغَوَايَةِ فِيهَا،

وَأَحَبُّتُ حَوَاءَ مِنْ أَجْلِهَا.

وَأَنَا مِثْلُهَا -

سَأَغْتَرِ جُلْدِي،

كَلَّمَا شَاءَ حَدْسِي:

مَا أَضَيَعَ الْقَصِيدَةَ

عِنْدَمَا لَا تَكُونُ الطَّرَادَ وَمَيْدَانَهُ وَالطَّرِيدَةَ.

قالوا:

«صلبوا أصحاب

الحلاج جميعاً»^(١).

(١) بينهم «حيدرة،

والشعراني، وابن منصور.

طولبوا بالزجوع عن مذهبه،

فأبوا. ضربت أعناقهم، ثم

صلبوا»

* سوف أولم هذا القمر

لكواكب شعري،

وإذا جاء ليل غريب عليه،

سألودُ بشيطاني المنتظر.

هوامش
(يوميات المتنبي)



III. رَضْد

١ - وداع

أتخيّلُ بغدادَ، لكنني أُحيّي
حلباً، وأُحيّي كوفّةَ الثّائرين - تجرّأ
قلّ وداعاً لأرضك، للعشب فيها، ولأشجارها وأنهارها.
قلّ وداعاً لسجّانها، لخليفة أنقاضها
وهو يُملّي عليها تعاليمه،
وقصائد غلمانهِ.
وتوسّل إلى غيمة تتغيّأ في ظلّها.

قلّ وداعاً لهذا التمزّق، هذا الألم
وازفر الآن ما خطّه
في يديك وفي ناظريك وفي خطواتك وأصرخ:
لكم كل شيء
وأنا مثلما تقولون: شخص غريب
ليس لي غير هذي الدّواة وهذا القلم.

٢ - عجز

الرَّمالُ التي غمرت وجهَ تلك البلاد التي جئتُ منها،
ها هي الآن تَغمرُ وَجْهي،
وأنا عاجِزٌ أن أُخَمِّنَ:
هل يُكَنَسُ الرَّمْلُ،
أم سوف نُظْمَسُ؟ لا وَمَأَةً
مِن نُبوءاتِ حَبِّي.

سَأقولُ لتلك البلاد التي حملتني: لا شيء
يَنأى بقلبي عن المَوْتِ، إلا هواها
وأقول لتلك البلاد التي حملتني: لا خَيْطٌ
يربطُ بيني وبين المدائنِ
إلاَّ اسْمُها.

٣ - اطمئننا

قُلْ كما شئتَ عني:

أحمق،

وأعني لآية جنينة،

وأفوض نفسي لأهوائها.

قُلْ كما شئتَ عني:

يدي من غبارٍ

وروحٍ تبابٍ.

غير أنك لن تعرفَ الوزدَ إن كنتَ تجهلُ عطري،

ولن تعرفَ اللانهاية،

إلا إذا كان شعري

بين الدروبِ إليها.

٤ - غراب

كيف أخرجُ من بيتي الميت؟ لكن
أين أخرجُ؟ موتٌ
حيثما دارَ وجهي .

ألقناديلُ تُطبقُ أجفانها
والدقائقُ هولٌ وفَتْكٌ .

أيُّ هذا الغرابُ الجميلُ النَّقيُّ
لِمَ لا تُسرِعُ الأُفقَ باباً إليك ، وتُعطي
للمكانِ وللخطواتِ وللريحِ ميراثك الكوكبيّ؟

٥ - كآبة

لم أكن مرّة
مثلي، اليوم. هذا القرنفل شوك.
ودفلى
هذه الياسمينّة. والأرض تبدو كجبانة.

جبلٌ من هباءٍ
جائئٌ فوق صدري.
لا رفيفٍ لأيّ جناح
في الحقولِ التي حَرَّتْهَا توارِيخُنا
ولا ريحٍ في الأشرعهِ.
والفروقاتُ مَظْمُوسَةٌ:
مَنْ تُرى يعرف الآن،
أين الوجوه، وأين هي
الأفئعة؟
سألودُ بشعري، -
أَتَشَمُّ أعضاءهُ
وأنام على رُندِهِ.

٦ - رحلة متخيَّلة

هذه الخيلُ التي تُقبلُ . أمضي . إنها تبحث عني ،

أين أمضي ؟

أُعطيني عُشبٌ ؟

أيؤاويني بيتٌ ؟

أصديقٌ يظهر الآن ويعطيني يديه ؟

ليس لي إلّاكَ يا هذا الضياءُ

أتقرّى غدّكَ الضاربَ في صحرائه ،

وأرى شمسي فيه ، -

هوذا أعطيتُ جسمي

لتقاليدك واستعصمتُ بالخيطِ

الذي يغزلُه وجهُ الفضاء .

٧ - احتفاء مُتخيّل

لن أقولَ لهذي الحشودَ التي تتجمّع حَولي
وتهتفُ بِاسمي: أنا رأسُها،
والأمينُ عليها.

لن أقولَ لكم أن تكونوا لرأسي
تاجَ قولٍ، ولا تاجَ غارٍ.

لن أقولَ لكم إنني نشيدُ لأبي
مِن فتوحاتكم
أو بطولاتكم.

سأقولُ لكم إنني خائنٌ - خائنٌ
لمعاييركم وتعاليمكم.

٨ - تحرّر

أَتَحْرُزُ مِنْ سَجَنِ جَسْمِي، وَأَسْأَلُ حَرِّيَّتِي:
أَنَا الْآنَ نَفْسِي، أَمْ غَيْرُهَا؟
أَنَا قَبْلُ أَمْ بَعْدُ، أَمْ بَيْنَ بَيْنٍ؟ الثَّيَابُ تُدَاهِنُ،
وَالشَّكْلُ طَيِّفٌ.

لا طَرِيقَ سِوَى الْقَلْبِ نَحْوِ الْأُلُوهَةِ وَالْحَبِّ،
نَحْوِ التَّحَرُّرِ،
فِي مَا وَرَاءَ الْجُسُومِ، وَفِي مَا وَرَاءَ الْعُقُولِ.

حَرِّرُوا فِي الْقُلُوبِ يَنَابِيعَهَا
وَاثْرُكُوهَا تَفِضْ
كِي يَفِضَ الْمَكَانُ بِآلَائِهَا،
وَتَفِضَ الْفُصُولُ.

٩ - رحلة متخيَّلة

هل أُصدِّقُ؟ بغدادُ تغفو وتنهضُ في خاتَمٍ .
زُرْتُهَا أَمْسٍ مِنْ حَلَبٍ، في منامي . كأنَّ
ناقةً ضخمةً
تموتُ على صدرِ طفُلٍ .

رُحْتُ في كلِّ حيٍّ أُجسُّ غُبارَ الدُّروبِ،
وأُصغي إلى الليلِ، أُصغي
لما يتحدَّثُ عنه جدارٌ
وتكتُمُ أسرارَهُ مِثْدَنَهُ .

هكذا في منامي
كنتُ أسْتفسِرُ الماءَ عن مَوْتِ بغدادَ، أَمْشي
وأخبطُ، أقتصُّ آثارَ حُبِّي
وأحتضنُ النَّاسَ والأمكنةَ .

أَمْشِي، أَسْأَلُ دِجْلَةً:

مَنْ ذَلِكَ الرَّسَامُ يَغْرُزُ فِي جَبِينِكَ

رِيشَةً لَا لَوْنَ فِيهَا؟

فَمَتَى الْمَلِيءُ بِحَشْوِهِ، فَقَدْ الْكَلَامَ،

فَمَنْ يُعِيدُ لَكَ الْكَلَامَ

الرَّيْحُ فِيكَ عَلِيلَةٌ

وَالْمَوْجُ أَشْبَهُ بِالْحُطَامِ.

مَنْ ذَا يُضِلُّ فِيكَ حَتَّى الْمَاءِ؟ مُبْتَهَجًا،

أَمْدُ يَدِي

إِلَيْكَ. يَدِي سَوَالٌ، وَيدَاكَ مِنْ عَلَيِّ وَطِينُ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ دُرُوءُ الدُّنْيَا وَأَسْفَلُ سَافِلِينَ.

IV

فاصلة استباق

فجأة،

ضجيجٌ من جهة الغيب

هل نستجيبُ؟ ندخلُ تحت قبة هذا

المكان مرفوعةً كسقفٍ عائليّ منقوشةً بأعناقٍ

كأنها التخاريم

خيوطاً في هذا البساط المتآلف من اللحم

خطوطاً على الحجارة

بقايا أطلال.

كلاً لم تكن ترسم أيُّها الشاعر كنتَ ماحياً يقول

صديقك الذي لا تعرف اسمه والذي ينتظر شكلاً

القوس وانحناءة الواو فيما يرى ملاكاً يرفع يديه

ليبارك العساكر ويقدم لها بقُلّ الروح في

إيقاعات حُوزٍ وأنصال لها هيئة الوحي

وتجلس حول الموائد

خشوعاً خشوعاً

السَّماء تنزل وتجلس هي كذلك تتأمل كيف يتوحَّشُ
النبات الإنسي كيف تخرج الحيوانات الجاثمة في أرحام
الكلمات كيف وجد القتلُ طريقه إلى مكانٍ رأى الله
صورته فيه وقال حسنٌ هذا

وها هي تُصغي إلى شفاهِ بهيئة الأرجل تصدح بخطبة
الأزمة تستطيع أن تواكبها أينما توليت أن ترى
إليها تعرجُ وتحدودب ترقص وتغني لا تقلُ إنها
تتصنع قل إنها تمومي طربَ العصر

عند ذلك المنعطف

رأسٌ نزل عن كتفها
وأخذ يتنبأ

من أحشائه تخرجُ طفولةُ الرصاص .

الدمُ ساعة رملية

والرياحُ جنائزُ عائمة .

الذاكرة

٣١١هـ.

كن وزيراً^(١)

لِتَسْقِي سُمّاً

أو لِتَشْرِبَ

سُمّاً:

قِسْمَةٌ شَاءَهَا

مَنْ يَقْسِمُ

رِزْقَ الْعِبَادِ

بِاسْمِ هَذِي

الْبِلَادِ.

- أ -

رَجُلٌ مُوْتَقٌّ بِجِرَاحِ تَوَارِيخِهِ .

رَجُلٌ يَتَرَسَّبُ فِي قَاعِ أَوْهَامِهِ ، رَجُلٌ عَائِمٌ

رَجُلٌ هَائِمٌ

يَتَحَيَّلُ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى أَرْضِهِ وَإِلَى بَيْتِهِ

حُفْرَةٌ يَتَنَاقَرُ فِيهَا شَطَايَا .

رَجُلٌ مِنْ صَحَارَى ، رَجُلٌ مِنْ نَخِيلٍ

هُوَذَا الْمَاءُ يَدْخُلُ فِي قَبْضَةِ النَّارِ ،

وَالْأَرْضُ تَرْتَجِلُ الْمُسْتَحِيلُ .

* فَرَحُ الشُّعْرِ أَوْجٌ

لِتَبَارِيحِهِ .

(١) الإشارة إلى حامد بن عباس، وزير المقتدر، وقد قتله هذا الأخير بالسم في بيض مشوي. وحامد هو الذي دبر مقتل الحلاج.

ما نقولُ لمن

مرّ في

فلوات التفكر

في الدين والكون،

أو من تشكك

أو من مرّق؟

ورق عاشق،

رماذ

ذهب سائل

في رماد الورق:

إنها المحرقة،

تقلب فيها

كتب الزندقة^(١).

- ب -

أعرفُ الآنَ عُرِيَ الطريدِ الذي يتدثرُ بالكلماتِ،

أعرفُ الآنَ ليلَ الدروبِ

التي تتمزّق في ريحها حياتي، -

واضعُ في كثافةِ هذا الظلامِ

كبدي شمعةً

واضعُ كلماتي طريقاً -

جسدي مثلُ عَصْفٍ

والزّمانُ الرّكامُ.

* كلما راح فكري يُسافر في جرحي الأولِ،

يتمزّق، يصرخُ بِاسْمِي: واهاً عليّ،

وويلي من جرحي المقبلِ.

(١) يُروى أنّه في هذه السنة، «أُحرق بالنار على باب العامة في بغداد، مئتان وأربعة أعدل (أكياس) من كتب الزنادقة، سقط منها ذهبٌ كثيرٌ كانت مُحلاةً به». والوزير حامد بن عباس هو الذي أمر بإحراقها.

- ١ -

يا أبا طاهر^(١)،

أترى يمكن الذين أن

يتقدّم كالنار؟ ماذا

تقول لماء الجوارح، للحب،

للكلمات التي يتفتح فيها

الجنس؟

ما ستترك للضوء في

بصرة الظلمات،

وأية أنشودة

ستعنى غداً

لطفولة هذا البلد؟

- ج -

لم أقل مرة: كتبت وأكتب،

حتى يزول الشقاء من الأرض.

أكتب كي أتواصل مع ذلك الذي يتأصل

فيّ، مع الريح - أمّا له، تتقلب غريانه،

في سرير الهباء،

ولها اللانهاية دُرْب.

لم أقل مرة:

إنني أتناسل في رجم الأبدية

إلا لغير الغناء، وإلا لوجه الغناء.

* أتراني أسير هبوطاً إلى آخر الجحيم؟

أتراني رجيم

وأخط للآخرين المسار الرجيم؟

(١) «دخل أبو طاهر الجنباني أمير القرامطة البصرة في ألف وسبعمئة فارس. هرب أكثر الناس. ألحقوا أنفسهم في الماء. مكث فيها سبعة عشر يوماً، يقتل الرجال، ويأسر النساء، ويأخذ ما يختار من أموالها».

أَنْتَمِي؟ لَا لشيءٍ سِوَى الشَّعْرِ. لَا شيءٍ
يُؤْوِيكَ. سَكُنِي أَنْ تَكُونَ ضِياعاً. وبدء
أَنْ تَكُونَ الخِتَامَ وَمَزمارَهُ وَنَشِيدَهُ.

آه مَا أَبْعَدَ اليَوْمَ دَرْبَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ
أَنْ يَسْكُنُوا فِي القَصِيدَةِ.

- ٢ -

هَرَبَ البَصْرِيُّونَ
وَأَلْقَوْا، مِنْ خَوْفٍ،
أَنْفُسَهُمْ فِي المَاءِ
كَيْ يَنْأَخُوا
مَعَ لَيْلِ الْأَشْيَاءِ.

* غَابَةٌ ذَبَحَتْ طَيْرَهَا
كَيْ تَرَى فِي دَمِ المَذْبَحَةِ
كَيْفَ يَجْتَرُّ رَأْسُ الطَّبِيعَةِ ذَاكِرَةَ الْأَجْنَحَةِ.

- ٣ -

يا أبا طاهر،

أنت من قال للناس:

عندي

زمن آخر كي نعيش على

الأرض،

أو نسكن السماء،

فلماذا، إذن،

يفعل القرمطي كما

يفعل الخليفة:

يستعبد الرجال،

ويسبي النساء؟

- ه -

سأعنيك، أيتها الصاعقة

وأحبك، إن جئتني اليوم في هذه

الظلمات - هنا، الآن، واشتدَّ

عصفك في خطواتي، وعلمتها

كيف تخرج منك، تُردُّ إليك،

وتُخلَق في نارك الخالقة.

سأعلم جسمي

كيف يجتاح زنديك، أيتها الصاعقة.

* نهضَ الفجرُ قبلي، ولكنْ

عندما راحت الشمس تُولم أضواءها

لموائد بين يديه،

أخذتني في عُريها إليه.

فوق صَحْنٍ من الضَّوءِ، قبل الشُّروقِ،
ارتَمَيْتُ، وأَقْسَمْتُ أَنِّي
سَأُزُورُ البلادَ التي لَمْ تُزَرْ.
قلتُ للشمسِ: ما زِلْتُ أُبْجِرُ في حوضِكَ
التَّيْرَكِي،
(كان قلبي غاراً ورأسِي مِن حدسه،
في جحيم).

هكذا رَحْتُ أَهْذِي
فوق صَحْنٍ من الضَّوءِ، قبل الشُّروقِ، وأصْغِي
لنداءٍ من الغيب يَأْتِي ويذهبُ منها إِلَيَّ.

* قَدَمُ الشَّمْسِ تلمس قَنْطَرَةَ الياسمين على
البابِ، أسمع بين الزَّهورِ هَسيساً،
وأَرَى مُخْدَعاً
يتغَطَّى
بأواخرِ أحلامِهِ.

- ٤ -

جيشُكَ آخِرُ بَيْنِ

جِيوشِ

لا تعرفُ غيرَ القَتْلِ

وغيرِ التَّهَبِ:

الرَّأْسُ خَلِيَّةُ فَتْكِ والأفكارُ
بِقَوْلِ.

- ٥ -

يا أبا طاهر^(١)،

هل أَسْرَتِ الحَجِيجَ،

نساءَ الحَجِيجِ وأبناءهم،

هل تملكُ أموالهم،

وملكتهم للضِّياعِ،

كي تُعَمَّرَ فقراً،

أو لكي تُطْعَمَ الجِياعُ؟

- ز -

أَتَخَيَّلُ أَنِّي صَنَعْتُ مِنَ الصَّوءِ مُهْرًا،

وَيَمَمْتُ وَجْهِي شَطْرَ المَدِينَةِ -

تلك التي لا نراها،

(قُلِ السِّرُّ تَارِيخُهَا وَالْهَيَامُ).

أَتَخَيَّلُ أَنِّي سِرْتُ إِلَيْهَا

وليس أمامي طريقٌ.

أَتَخَيَّلُ: أَصْهَرُ مَا كَانَ فِي مَا يَكُونُ،

وقلْ مَعْدَنِي حُرُوفٌ

وقلْ أَرْضِي الْكَلَامُ.

* بَلَدٌ مُقْفَلٌ

جَسْمُهُ ذَابِلٌ مَقِيمٌ

وشرائيبُهُ تَرْحَلُ.

(١) في هذه السِّتة «قتل أبو طاهر القرمطي خَلْفًا كَثِيرًا من الحَجِيجِ، وأسر من نساءهم وأبنائهم من اختاره، واصطفى من أموالهم ما أراد، وتركهم في الفياض بلا ماء ولا زاد ولا مخمل».

- ح -

أفحصُ وجهي في مرآتي

(مرآتي ماءً)

وأرى كيف يسيل العمرُ، وكيف يذوبُ،

ويُمرَّجُ في موج الأيام

وأقول لجفْرِ تجاعيدي:

فُل لي -

أهناكَ مكانٌ في عيني

لغير سراي؟

أهناكَ مكانٌ للأحلام؟

- قي قياقوا!

أه من زُنْدَقَاتٍ^(١)

الذين ينامون مثل

الذئاب،

ويستيقظون كمثلي

النعاج،

يقرأون الكتاب الكريم

بخزف الدجاج!

(١) في هذه السنة، ضربت
كما يُروى «رقابُ ثلاثة من
أصحاب الحلاج، وُضِلُّوا».

وكان يُقال عنهم: «قي
قياقوا! قي قياقين! زنادقة
يقرأون القرآن بحرف
الدجاج!».

* لا أحبُّ الوصولَ إلى قاع يَأْسِي،

لا هروباً، ولكن

لا أعودُ أرى في الوجود المحيط،

وما يتبطَّنُ

أحواله،

غيرَ نفسي.

(١) في هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي «إلى الكوفة. أقام فيها شهراً، يأخذ من نسايتها وأموالها ما يختار».

- ط -

وَطَنٌ؟ هل أَسْمِيه؟ يَأْتِي الشَّعَاعُ
إِلَيْهِ.

وفي عُقْبِهِ صَخْرَةٌ.
وتجيء القصائد مَخْنُوقَةٌ.

قَطَعَ من حياتي
تَتَنَاقَرُ في كُلِّ دَرْبٍ،
أُتْرَاهَا تَمَثِّلُ حَالِ الْوِطْنِ؟

أُتْرَاهَا سَتَغْدُو ثَقُوباً
في رداء الزَّمَنِ؟

* ذَابِلُ لَيْلٍ هَذَا الْخَرِيفِ عَلَى الثَّيْلِ،
وَالرُّوحُ صَفْرَاءُ لَا تَتَحَرَّكُ، لَا تَنْبَسُ.
أَهْ مِنْ أَيْنَ صَبْرُكَ، يَا أَيُّهَا اللُّوْتُسُ؟

الذَّائِرَةُ
٣١٣هـ.

يا أبا طاهر^(١)،
هل تَنَوَّزْتَ في
الكوفة، اليوم، أحزائها؟
ولماذا إذن عَثْتُ فيها -
اعتَقَلْتُ خُطَايَا
ومَزَّقْتُ أَرْدَانَهَا؟

- ي -

لا تُلْمُهُ، إِذَا كَانَ جَدْفَ، -

صَلَّى لِأَهْوَائِهِ،

حَاضِناً فِي تَجَادِيفِهِ

حَلِماً أَوْ رَجَاءً.

لا يُجَدِّفُ إِلَّا

مَنْ يُحِبُّ السَّمَاءَ.

* لا طَرِيقَ

إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْيُهَا

طَرِيقاً إِلَى غَيْرِهَا.

الذَّاكِرَةُ

٣١٥ هـ.

يَا أَبَا طَاهِرٍ،

أَسْرُكَ الْخُنْدُ^(١) شَيْءٌ

وَقَتْلُكَ إِيَّاهُمْ، آخِرُ.

أَنْتَ مِنْ طَبِئَةِ الْخَلِيفَةِ

سَارِقٌ بَيْتُهُ فِي خَفَاءٍ

أَكَلٌ فِي خَفَاءٍ رَغِيقُهُ.

كَلَّ مَا قُلْتَهُ صَحِيحٌ

أَوْ يَكَاذُ. وَلَكِنْ

مَا عِلَاقَةُ مَا قُلْتَهُ

بِمَا تَفْعَلُ؟

أَنْتَ، مِثْلَ الْخَلِيفَةِ:

مَاضٍ كَغَيْرِكَ،

وَالضَّوُّ وَالْحَقُّ

مُسْتَقْبَلُ.

(١) فِي هَذِهِ السَّنَةِ، «أَسَرَ
الْقَرَامِطَةُ يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ
أَمِيرَ الْجَيْشِ، ثُمَّ قَتَلُوهُ،
وَقَتَلُوا خَلْفًا كَثِيرًا مِنْ جُنْدِهِ».

الذاكرة

٣١٦هـ.

- ١ -

خَرَّبَ الْمُوصِلَ^(١)

والمدائن من حولها

ناهباً سالباً قاتلاً.

- ٢ -

راح يدعو لمهديه:

إنه الشرق يدعو إلى

غزبه،

البشائر خضراء،

والناس يأتون

فوجاً ففوجاً إلى

جزبه.

- ك -

إنها المائدة، -

(الكلامُ حرائقُ، والروحُ عصفاءُ،

والرأسُ في غَيْهٍ).

حولها يجلسُ الغابرُ

حولها يجلسُ الحاضرُ،

ونرى جذرنا والفروعَ وأغصانها،

ونرى الشيخَ والطفلَ في صورةٍ واجدة، -

إنها المائدة.

* عقله مُخطئُ

وكرسيه مُصيبُ:

البلادُ انحناءٌ له،

ولدولابه.

(١) في هذه السنة، «عاث أبو طاهر القرمطي فساداً في الأرض. حاصر الرحبة. دخلها قهراً وقتل من أهلها خلقاً. خرب الموصل وسنجا. قتل و سلب ونهب. دعا إلى المهدي في المهديّة ببلاد المغرب. تفاقم أمره وكثر أتباعه».

مؤنس الخادم^(١)

عائِد، رافعاً نصْرَه

بيرقاً عالياً،

ويُصَقُّ للنَّصْر

جاهِلُ بغدادَ والعالمِ.

يتقدَّم - أسْرَاهُ

كُنْزُ

نكسوا كلَّ أعلامهم،

كاتبين عليها:

«ونريد أن نمُنَّ على الذين

استضعفوا في الأرض».

- ل -

نَخْلَةٌ حَضَّتْنِي، كان المغيبُ

يُنْحِنِي فوقَ سُلَمٍ إيقاعه.

وجَلَسْتُ أَسَامِرُ أَعْصَانِهَا

في ضياءِ هلالٍ

وَسَحَّتْهُ غيومٌ لم تُفَارِقَ تَقَاسِيمُهُ.

وأخَذْتُ أَقْصَصَ عَلَيْهَا

بلداً ليس فيه

مَنْ يُسَأَلُ أَوْ مَنْ يُجِيبُ.

هَلْ كَلَامِي عَصِيٌّ عَلَى الْفَهْمِ،

هَلْ مِنْ سَوَالٍ

أُيْهِدُ الْهَلَالَ الْغَرِيبَ؟

* مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ فِيَّ؟ تُرَانِي

لَمْ أَعِدْ أَعْشَقُ الشَّيْءَ، بَلْ وَهْمُهُ؟

نَاشِراً هَكَذَا شِرَاعَ رَحِيلِي

فِي مَحِيطَاتِ ظَنِّي.

(١) في هذه السنة «انكسر القرامطة. هزمهم مؤنس الخادم. أسر طائفة كبيرة من أشرافهم. دخل بهم مدينة السلام وأعلامهم منكسة كتب عليها: ونريد أن نمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض».

الذّاكِرة

٣١٧هـ.

- أَلْمُرَادُ: الجَلُوسُ عَلَى
الْعَرْشِ^(١).

- كَلَاءٌ، الْمُرَادُ الشُّفَاعَةُ.

حَرْبُ

بَيْنَ رَأْيَيْنِ - فَقْهَيْنِ.

قَتْلَى.

إِنَّهَا آفَةُ الْفَقْهِ:

يَجْعَلُ مِنْ كُلِّ خُرَافٍ

فِي الشَّرِيعَةِ

سَيْفًا

وَسِجْنًا.

- م -

عَلِّمِينَا هَوَاكَ، حُذِينَا لِأَحْضَانِكَ الْحَانِيَةِ
أَنْتِ، يَا هَذِهِ الْهَائُوِيَّةَ.

يَنْبَغِي أَنْ نَسْأَلَ مَعْنَاكَ

عَنْ طِينَةٍ ثَانِيَةٍ،

كِي نَرُدَّ إِلَى الْأَرْضِ أَزْهَارَهَا

وَأَشْجَارَهَا

وَيُنَابِيَعَهَا،

وَنَرُدَّ إِلَى النَّاسِ أَشْكَالَهُمْ.

* الْإِنْسَانُ كَلَامٌ

خَيْرٌ أَنْ يَتَنَاثَرَ تَبِيهَاً

فِي دَفْتَرِ حَبٍّ.

(١) الإشارة إلى فتنية وقعت
في بغداد بين طائفة من
العامة، وأصحاب أبي بكر
المروذي الحنبلية، لاختلافهم
في تفسير الآية. «عسى يبعثك
ربك مقاماً محموداً».

وقيل: «مات في هذه
الفتنة خلق كثير».

- ن -

(١) الكلام للقرمطي
الجنابي، مشيراً إلى الحُجَّاج.
والبيت الأخير يُنسب إليه.

إِنْ أَتَى، يَا يَنَابِيعَ حَبِّي
مَنْ يُسَائِلُ عَنِّي، قُولِي:

مَرَّ مِنْ هَا هُنَا
لَمْ يَبْحِ بِاسْمِهِ،
وَلَمْ يَتَوَقَّفْ.

عَالَمِي؟
إِنَّهُ خُطَوَاتِي
نَحْوَ مَا لَا أَرَى كَيْفَ يَأْتِي،
وَلَا أَيْنَ يَمْضِي.

* ليس في العقل سرٌّ
إذا لم يكن نشوة.

الذَّكْرَة
٣١٧هـ.

- «اقتلوا»^(١) ذلك المسمَّى
أميراً،
حرّروا مَكَّةَ
من خُرَافَاتِهِ.
اقتلوا أَهْلَهُ،
واقتلوا جَنْدَهُ -
اهدموا الكعبةَ:
الطَّيُورُ الْأَبَابِيلُ
أَوْتَ لأَعْشَاشِهَا،
وحجارةُ سَجِيلٍ
رَمَلٌ.
«أَنَا إِلَهُ، وَبِاللَّهِ أَنَا
يَخْلُقُ الْخَلْقَ
وَأَفْنِيهِمْ أَنَا».

(١) الإشارة إلى الخطأط
المشهور علي بن مقله، وكان
وزيراً للمقتدر. مات ابن مقله
سنة ٣٢٨هـ في السجن، بعد
أن قطعت يده اليمى، وقُطع
لسانه.

- س -

لِتَجِيَّ كُلُّ تِلْكَ الْبَرَائِكِ، مِنْ أَوَّلِ الْأَرْضِ،
مِنْ آخِرِ الْأَرْضِ، وَلِتَنْفَجِرْ
فَوْقَنَا،

فَوْقَ سُلْطَانِنَا وَالْعُرُوشِ الَّتِي
تَتَنَاسَلُ فِيهِ،
تَتَنَاسَلُ مِنْهُ.

مَا الَّذِي تَخَسَّرُ الْأَرْضُ
إِنْ لَفَظْتَ قَيْحَهَا؟

الذّاكِرة

٣١٨هـ.

- ١ -

بعد أن عَزَلُوهُ^(١)

أَحْرَقُوا دَارَهُ:

تَكْتَبُ النَّارُ مَا يَعْجِزُ

الْجَبْرُ عَنْهُ،

فَلَهَا جَبْرُهَا

وَلَهَا حَطُّهَا

وَلَهَا وَرَقٌ تَتَقَلَّبُ

فِيهِ الْبِلَادُ

بَيْنَ عَرْفِ الرِّيَّاحِ

وَأَنْشُوءِ الرَّمَاذِ.

* قَدُمُ الضَّوءِ تَسْخَرُ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ،
وَمِنْ كُلِّ حَدٍّ.

- ٢ -

فقطعوا يده واللسان^(١):

لماذا الكتابة، ما

شأنها؟ ولم الخط

والثطو؟ يهرب

في زني مكيد

أو بزني امرأة -

والى أين؟

يُطْرَحُ في السَّجْنِ .

للموت . لا نطق :

ألفاظه تمتأت

وإعرايه مومأه .

- ع -

أَتَقَدَّمُ فِي ظُلُمَاتِ الْمَعْنَى

فِي عِيدِ الْمَوْجِ ، وَأَرْسُمُ دُونَ حُدُودِ

شُطَّانَ الْمَعْنَى .

أَتَطَوَّحُ فِي هَاوِيَةِ الْمَعْنَى

طِفْلاً يَلْهُو

وَيُدْحَرْجُ مِلْءَ هَوَاهُ

كُرَّةَ الْمَعْنَى .

(١) الإشارة إلى ابن مقلة

وقد سبيل عبد الله بن

الزبيجي الكاتب .

- ما تقول في خط ابن

مقلة؟

قال :

- «ذاك سبي فبه . أفرغ

الخط في يده ، كما أوحى إلى

الثحل في تسديد بيوته» .

* لا اكتشاف ولا ذروا

دون رَفْضٍ وَهَدْمٍ .

- ١ -

مُؤْنِسٌ^(١) يتولَّى

شُؤُونَ الحَجِيجِ،

يَسِيرُ إِلَى مَكَّةَ

فِي كَثِيفٍ مِنَ الْجَيْشِ .

خَوْفًا أَنْ يَصِيدَهُمُ

الْقِرْمَاطِيُّ

نَهَجُوا فِي الْمَسِيرَةِ

نَهَجًا خَفِيًّا

فِي شِعَابٍ وَأَوْدِيَةٍ

لَمْ يَزِرْهَا

أَحَدٌ قَبْلَهُمْ .

- ف -

لَمْ لَمْ يَفْهَمُونِي؟

لَا أُطَالِبُ بِالْمُلْكِ . مُلْكِي

أَنْ أَرُدَّ إِلَى الْأَرْضِ فُطْرَةً إِبْدَاعِهَا -

الْأَرْضُ بَيْتٌ

لَيْسَ فِيهِ عَبِيدٌ وَلَا سَادَةٌ،

وَمُلْكِي

أَنْ أُسَائِلَ نَفْسِي :

مَنْ أَنَا؟ وَلِمَاذَا؟

سُمِّيَ الْمَتَنَبِيُّ شَبَّاحٌ فِي؟ شَمْسُ

لَا تُصَدِّقْ حَتَّى قَنَادِيلِهَا .

لَمْ لَمْ يَفْهَمُونِي؟

* زَهْرَةٌ

تَشْرَبُ الْخَمْرَ مِنْ جَوْفِ نَجْمٍ .

- ٢ -

فاجأت مؤنساً

عجائب، قالوا

لم يروا مثلاً:

عظام ضخمة لذكور

وإناث، جميعاً

مُسَخَوا في حجارة

لا تُطيق العبارة

وضفاً لأحوالهم،

ولا تصدق العبارة.

- ص -

وردة تنهّد، كفاي طلّ

يتقطر منها.

تنهّد: آهاتها

أرج صاعداً.

تنهّد - فيها

يتكثف صيف الحياة الخريف الشتاء

الرّبيع، ويجنح كل إلى حلمه،

وإلى بيته.

وردة تنهّد، ليت السماء

تنحني كي تلامس هذا البهاء.

* آه، لو شعلة من شواظ التمرد.

لو شعلة واحدة

توهج في هذه الأبدية، في أرضنا الباردة.

إِنِّهَا وَخَدْتِي -

لا لَأَنِّي شَيَّخْتُ تَزْدَادُ عَمَقًا.
لا لَخَسْرَانِ مَا كُنْتُ رَاهِنْتُ أَنِّي
سَأَرْفَعُ رَايَاتِهِ.

- ٣ -

حملوا ما استطاعوا
وجاؤوا به للخليفة
كي لا يكذب ما
شاهدوه،
وقالوا:
إنهم قوم عادٍ
أو شعيب،
وقالوا:
ربما من ثمود.

لا لِحَلْمِي - أَسِيرًا
لَوْقَائِعَ مِنْ كُلِّ طِينٍ.

وَخَدْتِي أَنَّنِي الْمَبْعُثُ فِي هَذِهِ الْفَلَاةِ
الَّتِي سُمِّيَتْ حَيَاءً.

* أَلْغِيَوْمُ

تَقْصُ

عَلَى مَاءِ عَيْنِي صَحْرَاءَهَا.

رُبَّمَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ
لِأَقْدَمِ قُرْبَانَ تَقْوَى

لِسُلْطَانِنَا، وَلَكِنْ

أَتَرَاهُ سَيَرْضَى وَيَعْفُو،

إِنْ ضَعُفْتُ، وَثُبْتُ، وَأَعْطَيْتُهُ طَاعَتِي

وَذَبَحْتُ خُرُوفًا لَهُ؟

سَأَقُولُ لِرُفْضِي

أَنْ يُفَكِّرَ فِي أَمْرِهِ.

- ١ -

جاءه^(١) مُؤَيَّسٌ

وَبَقِيَّةُ غِلْمَانِهِ.

أَخْرَجُوهُ، أَخْرَجُوا أُمَّهُ

وَأَوْلَادَهُ،

وَقَالُوا: سُبَّايْعٌ

مِنْ بَعْدِهِ أَخَاهُ.

فَسَلُّوا،

جَاءَ أَعْوَانُهُ

وَأَعَاذُوا لَهُ عَرْشَهُ.

* أَخَذَ اللَّيْلُ آخَرَ مَا يَعْرِفُ الْفَجْرُ

عَنِّي،

مَنْ أَنَا الْآنَ؟

لَا الْفَجْرُ بَيْتِي، وَلَا اللَّيْلُ مِثْلِي.

- ش -

قُلْتُ، فِيمَا أَسْأَلُ نَفْسِي، تُرَى
هَلْ تَكُونُ لِي الْقَاهِرَةَ
أُفْقًا آخَرًا، وَهَوًى آخَرًا -

وَنَسِيتَ الرِّيَاحَ.

رَبِّمَا يَنْبَغِي الْآنَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْمَاكِزَةِ
كِي أُجِيبَ،
وَكِي أَسْتَجِيبَ لِظَنِّي، أَنْ أَسْأَلَ الْجِرَاحَ.

* لَا أَرَى الثُّورَ بَيْتًا،
أَرَاهُ رَحِيلًا.

الذَّاكِرَةُ

٣٢٠هـ.

- ٢ -

فَقَهَاءُ يَرْفَعُونَ الْمَصَاحِفَ

وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ.

قَالَ: مَنْ جَاءَنِي بِرَأْسِ

فُلَةٍ خَمْسَةٌ^(١).

وَمَنْ جَاءَنِي بِأَسِيرٍ،

فُلُهُ عَشْرَةٌ.

(١) خمسة دنانير، والكلام
للخليفة المقتدر، يخاطب
أنصاره مشجعاً إياهم على قتل
خصومه، وقطع رؤوسهم،
ووضعها بين يديه.

- ٣ -

حشدُ جنْدٍ يَقودُهُم
مؤنِسٌ.

هجموا، طَوْقَوْهُ:

- أأنا، ويلكم؟

- أنتَ إبليسُ،

فاسجدُ.

دَبَّحَوْهُ،

قطعوا رأسَهُ،

رفعوه فوق الرؤوسِ،
ابتهاجاً.

- ت -

أَقْرَأُ التَّيْلَ، فيما يَنَامُ

على ساعدِ السَّمَاءِ، وأَسْأَلُ:

ما أَنْتَ يا هذه السَّمَاءُ

وماذا يُؤَالِفُ ما بَيْنَنَا؟

ولماذا،

عندما أَتَنَوَّرُ مَسْرَاكِ

يَسُودُ وَجْهُ الفِضَاءِ؟

* زَمَنْ يَأْخُذُ الْأَرْضَ مِنْ عُنُقِهَا

يَتَقَدَّمُ فِي جُثَّةٍ

وَيُحِبُّ التَّنَكُّرَ فِي شَكْلِ جَنْ.

- ث -

(١) الإشارة إلى ابن
المكتفي.

(٢) علي بن بليق.

(٣) بليق. وكان الفاهر بالله
هو الخليفة آنذاك، أبطل
الخمر والغناء، «ونفى
المخانيث وكسر آلات اللهو.
وكان مع ذلك لا يصحو من
السُّكر، ولا يفتر عن سماع
الغناء».

منذ أن سَكَنَ الحبُّ قلبي،

لم يُنْزِلِ اللَّيْلُ

عن كتفي

حقائبَ أسفاره.

ألهذا،

نهَضَ النَّبْلُ كي يَشْرَبَ، اليومَ،

عندي شاي الصُّباحِ،

بلا مَوْعدٍ؟

الذاكرة

٣٢١هـ.

- ١ -

- «طَيَّبُوا الحائِظِينَ عليه»^(١)،

وهو حَيٌّ، ولكن

أَكْثَرُوا الكَلْسَ.

هَيَّا، واذبحوا ابْنَ

بَليقٍ»^(٢).

ذبحوه،

وضعوا رأسه

فوق طُسْتٍ

أمام أبيه^(٣).

* إنه الضوء يجهلُ أسرارَ ليلى،

وأنا عاشقٌ جهلُهُ.

(١) الإشارة إلى تليق.

- خ -

عَتَبَاتُ الْأَزْقَةِ فِي حِينَا

حَجَرٌ مِنْ حَنِينٍ

حَجَرٌ مِنْ بُكَاءٍ،

وَالنَّوَافِدُ مَنْقُوشَةٌ بِالْغَضَبِ.

آه، مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَوْجَهِي

إِلَى أَيْنَ تَمْضِي بِقَلْبِي،

يَا رَسُولَ التَّعَبِ؟

الذاكرة

٣٢١هـ.

- ٢ -

حِينَ قَبَّلَ رَأْسَ

ابْنِهِ،

بَاكِئاً،

دَبْحَوْه^(١).

- ٣ -

أَخَذُوا مُؤْنِساً

وَضَمُّوا لِرَأْسَيْهِمَا

رَأْسَهُ.

* زَمَنْ عَنكِبُوتْ

يَلُمُّ الْخِيوطَ مِنَ الشُّعْرَاءِ،

وَيَنْسِجُ لِلْأَرْضِ قُمْصَانَهَا.

الذاكرة

٣٢١هـ.

- ٤ -

طُوفُوا بِالرُّؤُوسِ

الثَّلَاثَةِ،

مُسْتَبْشِرِينَ:

«الصَّلَاةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ

وَأَصْحَابِهِمْ،

وَالسَّلَامُ

إِنَّ هَذَا جَزَاءُ

لِمَنْ يَنْقُضُ الْعَهْدَ،

أَوْ مَنْ يَخُونُ الْإِمَامَ».

- ذ -

عِنْدَ خَوْفُو، قُبِيلَ التَّقَاءِ النُّجُومِ

بِأَحْبَابِهَا، أَمْسِ،

أَحْسَسْتُ أَنَّ السَّمَاءَ سَتُوقِعُ

فِيَّ،

وَحُيِّلَ أَنَّ النُّجُومَ كَمَثَلِ الشُّبَّانِكِ.

صِرْتُ أَرْنُو إِلَى النُّورِ يَلْتَفُّ

حَوْلِي خَيْطًا فَخَيْطًا،

وَأَمْسُ فِي كُلِّ خَيْطٍ مَلَأُكَ.

❖ إِنَّهُ الْحُبُّ يَمِشُّ رَأْسَ الْفَضَاءِ،

وَيُجْلِسُ تَارِيخَ يَأْسِي فِي حُضْنِهِ.

ها هو الحَجْرُ

الأسود - اقتلَعوه^(١)،

وساروا إلى دار

هَجَرْتهم في هَجَرٍ.

أربعونَ بعيداً

في الطريق تنوءُ

وتهلك من ثقله.

بعد عشرين عاماً،

عندما أرجعوه،

سَمُنَتْ ناقةٌ

حملته،

وتغير شكلُ القَمَرِ!

- ض -

لا أواجهُ دَهْرِي إلاَّ

هازِئاً مِنْ بقاءِ

كمثل الرِّحِيلِ، وأعني

هازِئاً من رحيلِ

كمثل البقاءِ.

مازجا صَخْرَتِي بالهواءِ

وقَهَقْتِهِي بالبُكاءِ.

* لِلسَّماءِ التي أَتَحَرَّكَ في ظِلِّها

كَتِفَا نَاقَةٍ.

(١) في الأخبار أنَّ القرمطي
«لَمَّا أَخَذَ الحَجَرَ الأسودَ،
هَلَكَ نَحْنُ أربعونَ جَملاً، من
مَكَّةَ إلى هَجَرَ.

ولَمَّا أُعِيدَ، بعد عشرين
سنةً، حُجِّلَ على قَعُودِ هَزِيلٍ،
فَسَمُنَ!».

فَرَّ قَلْبِي مَنِّي

- ظ -

لِيَخْفَقَ فِي غَيْرِ جَسَمِي، لَمَّا

هَبَطْتُ إِلَيْهَا،

وَأَوْغَلْتُ فِيهَا،

وَأَوْغَلْتُ فِي كَبِدِي سِرُّهَا.

- ١ -

إِنَّ بُؤْيُوهُ^(١) بِأَخْذُ

فَارَسَ، هَذَا بَدْءُ

لِسَيَادَةِ آلِ بُؤْيُوهِ.

صُعْلُوكٌ يَعْرِفُ كَيْفَ

يَسُوسُ الدُّنْيَا.

- ٢ -

كَانَ بُؤْيُوهُ^(٢) صُعْلُوكًا،

فَرَأَى فِي النَّوْمِ كَأَنَّ

عَمُودًا مِنْ نَارٍ

يَخْرُجُ مِنْهُ.

وَرَأَاهُ تَشْعَبُ حَتَّى

مَلَأَ الدُّنْيَا.

(١) عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهٍ.

(٢) قَالَ الْإِمَامُ السِّيُوطِيُّ

«تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ»:

١ - «كَانَ بُؤْيُوهُ فَقِيرًا صُعْلُوكًا

يَصِيدُ الشَّمَكَ رَأَى كَأَنَّهُ نَارٌ،

فَخَرَجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَمُودُ نَارٍ ثُمَّ

تَشَعَّبَ الْعَمُودُ حَتَّى مَلَأَ

الدُّنْيَا. فَفُسِّرَتِ الرُّؤْيَا أَنَّ

أَوْلَادَهُ يَمْلِكُونَ الدُّنْيَا».

٢ - وَقَالَ الْإِمَامُ

السِّيُوطِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهٍ:

«قَلَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ،

فَنَامَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَخَرَجَتْ

حَيَّةٌ مِنْ سَقْفِ الْمَجْلِسِ، فَأَمَرَ

بِنَقْضِهِ فَخَرَجَتْ صَنَادِيقُ مَلَأَى

ذَهَبًا».

آه، مَاذَا أَسَمِّي بِلَادًا

لَمْ تَعُدْ تَنْتَمِي إِلَيَّ،

وَلَا أَرْضَ لِي غَيْرُهَا.

* لَيْسَ هَذَا الضَّجِيجُ هَدِيرًا

لِعَوَاصِفَ، أَوْ ثَوْرَةً لِمَوْجٍ.

إِنَّ هَذَا الضَّجِيجَ خَفِيفٌ لِحُمَائِلِ أَفْكَارِهِ.

- ٣ -

قالوا في تفسير الرؤيا:

«سيكون لآلِ بُوَيْه

سُلْطَانٌ

وسيملاً هذا السُلْطَانُ

الدُّنْيَا».

- ٤ -

بين السَّيْفِ وفقه الرؤيا،

يتدفق ماءُ العرشِ،

وطريقك: إمّا هذا الكرسيُّ،

وإمّا هذا الثُّعْشُ!

- غ -

كلَّ ليلٍ، أحاولُ أن أتقرَّي

طُرقاتٍ، منائرٍ، دُوراً،

زوايا

لأرى كي تُولِّدُ أشواقها

ونيرانها.

لا أشيرُ إلى فتنةٍ

أو إلى ثورةٍ

أو إلى شهوةٍ عابرةٍ،

بل أُشيرُ إلى القاهرةِ.

* أيُّها الطَّيِّبُ الجدولُ،

لا طريقي طريقك، والماءُ - هيهاتِ -

أن يرويَ الرَّمْلَ، والعاثرونَ

هوَى آكلٌ وهوَى يُؤْكَلُ.

٣ - وقال الإمام السيوطي:
«ركب يوماً فسادت قوائم
فرسه، فحفروا فوجدوا
كنزاً».

استولى على بلاد
فارس، وخرجت خراسان
وفارس عن حكم الخلافة.

هوامش
(يوميات المتنبي)



IV. فلك

١ - إمكان

أَتَخَيَّلُ بَغْدَادَ، لَكُنِّي أُحْيِي
حَلَبًا، وَأُحْيِي
كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - الْأَرْقَةَ مَحْشُوءَةً
بِالْبُكَاءِ وَبِالْمَوْتِ، رَأْسُ

يَتَدَحْرَجُ. صَدْرُ
تَقْبَتُهُ الرَّمَاخُ. دِمَاءُ
تَتَحَوَّلُ غَزْلًا، وَتُنْسَجُ لِلْأَفْقِ مِنْهَا ثِيَابٌ.

هَلْ سَتُصْبِحُ، يَا أَيُّهَا الْأَفْقُ، بُوْقًا
أَمْ سَتُصْبِحُ مَرْتِيَّةً؟

يُمْكِنُ الْفِكْرُ أَنْ يُطْفِئَ الْآنَ مِصْبَاحَهُ
كَيْ يَسِيرَ عَلَى هَدْيِ تَارِيخِهِ.

يُمْكِنُ الْآنَ أَنْ تَتَحَوَّلَ شَمْسُ الْغُرُوبِ إِلَى بُومَةٍ.

٢ - عَزُو

كُنْتُ أَصْغِيْتُ يَوْمًا لِصَمْتِ الْفَلَكَ
مُوحِشًا، فَاتِنًا.
قُلْتُ لِلْجِسْمِ: أِنَّ الْأَوَانَ لَتَعْلَوُ كَالطَّيْرِ،
تُصْغِي لِإِلهِ الْمَلَائِكِ فِي خَدْرِهَا.

فَجَاءَتْ، يَخْرِقُ الصَّمْتُ صَوْتُ
يُوشُوشُ: لَبَّيْكَ،
هَا أَنْتَ فِي مُخَدَّعِي، هَيْتَ لَكَ.

هَكَذَا رُحَّتْ تَعْزُو الْفَلَكَ!

٣ - أسئلة

هي ذي تعبسُ، تَسْتَلْقِي، وفي أَهْدَابِهَا
شَرَزُ أَعْمَى . لماذا
كيف تُغْوِيكَ، وَتَسْتَنْفِرُ أَحْشَاءَكَ هَذَا الْأَنْجَمُ؟
ولماذا
تَنْفِرُ الْخَاصِرَةُ الْبَيْضَاءُ فِي جِسِّكَ؟ وَالشَّعْرُ - لماذا
شَعْرُهَا يَحْجُبُ عَيْنَيْكَ، وَيَسْتَرْسِلُ زَهْوًا؟

ربما في ذلك المصباح، في مُشْكَاثِهِ
بين أَوْرَاقِكَ، في دَفْتَرِكَ الطَّائِرِ مِنْ جِبْرِ لِحْبِرِ
أُفُقٍ آخِرٍ - فيه
يكشِفُ الْمَجْهُولُ عَنْ أَبْعَادِهِ
وَيُضِيءُ الْمَظْلِمَ .

٤ - دعوة

نثرت بغداد في كل مكانٍ

وبنت تاريخها

كلماتٍ ودماءٍ -

أفلن تفصلَ بغدادُ هواها

عن تقاليد خطاها؟

أفلن يعلو صوتُ الله في ثورة مسروقٍ

على سارقهِ،

بدلاً من مُثبِّتِه؟

أُضْمِرُ الآنَ هوىً حرّاً وأدعو

ذلك الشاعرَ في عزلته،

أن يُعلِنَه.

٥ - الغصن

فَقَرَاءٌ: رَمْلٌ هَذِي الْأَرْضِ مَسْكُوبٌ عَلَى أَهْدَابِهِمْ،
وَمَجْرَاتٌ مِنَ الْقَشِّ تَوَاسِي زَرْعُهُمْ.

كُلُّهُمْ يَمْضِي وَيَأْتِي
حَامِلًا تَابَوْتُهُ،
مَوْغَلًا فِي غَابَةِ الْيَأْسِ .
يَعِيشُونَ حَيَارَى
بَيْنَ سُلْطَانٍ يُعَمِّيهِمْ، وَدِينٍ
يَقْتُلُ الرِّغْبَةَ فِي أَجْسَادِهِمْ .
غُضُنُ الْحُلُمِ عَلَى أَهْدَابِهِمْ مُنْكَسِرٌ .

لَا تَقُلْ لِلنُّجُومِ
أَنْتَ نَوْرٌ. ضِيَاءُ الْمَجَرَّاتِ مِنْ أَدَمَعَ الشَّمْسِ -
هَٰذِي الَّتِي
تَغْسِلُ الْآنَ فِي جُرْنِهَا
رَاحَتِهَا
مِنْ دَمَاءِ الَّذِينَ يُسَاقُونَ لِلذَّبْحِ فِي ضَوْئِهَا.

قُلْ لَتَلِكِ النُّجُومُ
لَسَتْ إِلَّا تَرَاباً
لَسَتْ إِلَّا صَدَى.

وَاصْطَحِبْ فِي مَسِيرِكَ نَحْوَ الْمَجَاهِيلِ
عَرَافَةَ الْغُيُومِ.

٧ - عجباً!

عجباً! الخليفةُ يُصبحُ في ليلِ بغدادَ في شمسِ بغدادَ،
هَرّاً.

عجباً! شعراءُ
يَسْهَرُونَ عليه، سُكَارَى بِهِ.
عجباً! كُلُّ رَأْسٍ وِسَادُ لَهُ.
عجباً! في الأَرْقَةِ، في كُلِّ بَيْتِ مُوَاءٍ
لِلتَّعَاطُفِ مع ذَيْلِهِ.

عجباً! رَأْسُهُ
يَتَحَوَّلُ في كُلِّ رَأْسٍ كِتَاباً
لِلْأَسَاطِيرِ من كُلِّ إِفْكٍ.

عجباً! لا مَكَانَ
لِغَيْرِ اسْمِهِ،
وَلِغَيْرِ تَعَالِيْمِهِ.

٨ - قراءة

للمكان، كما رسمته أساطيرُ هذا الزمان، نيوٲ.

ولهُ آلهٌ تُقرأُ الطينَ . هذي

يرقاتٌ من الشَّحمِ والرَّمْلِ يَنْثُرْنَ

الآءَهْنَ على خَصْرِه .

أَضَعُ الآنَ صَخْنًا،

أَضَعُ الآنَ في الصَّخَنِ رَأْسًا، وأَسْأَلُ:

أَيْنَ المَلَكُ الذي يَنْجِرُ

أن يقرأَ اللهَ في طينهِ؟

٩ - حُلْم

أَسْأَلُ الْمَاءَ مَتَى يَطْفُو عَلَيْهِ
وَجْهَ تَارِيخِي، وَأَسْتَرْسِلُ فِي اسْتِفْسَارِهِ
عَنْ هَوَى آدَمَ: هَلْ يَهْفُو لَطُوفَانٍ جَدِيدٍ؟

وَعَنِ الْفُلْكِ الَّذِي يَصْنَعُهُ الشُّعْرُ،
لِيَنْجُو مِثْلَ نُوحٍ.

شُرْطِي زَاخِفٌ خَلْفِي. أَغْتِي
زَاخِفًا خَلْفَ صَبَابَاتِي،
عَلَى الضَّفَقَةِ، مِثْلَهُ.

كُنْتُ سَكْرَانًا عَلَى ضِفَّةِ دِجْلَه.

١٠ - أسطورة

الجميلة تُسْتَقِظُ الآن في دجلة .

الجميلة عرشُ على الماءِ يَمْضِي إلى سِرِّهِ .

الجميلة تُسْتَوْدِعُ الحُبَّ أَشْلاءَها

وأَسْرَارَها .

الجميلة مَالَتْ على حَصْرِها

كي تودَّعَ في الماءِ مِرَاتَها .

الجميلة تُولَدُ من أَوَّلِ

في طفولةٍ أَيْامِها

في هَوَى الرَّاغِبِينَ

في الهَوَاءِ وما بَيْنَ بَيْنٍ !

الجميلة - آهًا ،

أَتُرَانِي أُحَدِّثُ نَفْسِي عن خَوْلَةٍ؟

v

فاصلة استباق

أمسِ جَدَّتْكَ الأَبْجَدِيَّةُ الرَّمْلُ جَدُّكَ الْآنَ
ولكَ حَيْضُ الصَّحْرَاءِ
لماذا تَنْكَرُ أحوالك وتولول بِاسْمِ اللَّهِ كمن يَتَسَلَّقُ
جذَعُ نارٍ أو يَسْبِغُ تحت ذيلِ الحَبَّارِ لا أَثَرَ
الأَثَرُ كُلُّهُ لَوْ قَتَّ يَجْرِي جَرِيانٌ سائِلٌ كَأَنَّهُ مَنِيٌّ أَتَانِ
جُبَلِي

أين جسر الجحيم لِيَتَكَيَّ ونعبر؟

جيم:

ما أفسى،
لكن ما أكبر أن تحبَّ الكلَّ،
وَأَلَّا يُحِبَّكَ أَحَدٌ.

عين :

جرثومة فضائية تبتكر حُمى الشعر .

ألف :

محيط يلتهم شواطئه .

ميم :

فراشة تحاول عبثاً أن تحمل وردة ذابلة .

عصركَ دونَ خطواتهم ضوئ لکنه حُباب

ذهبي لکنه ذباب

لا بُدَّ

لا بُدَّ

تأخذ الفراغ بيتاً وتستكمل السقوط

تَرى حشراتٍ لها أنوفُ الكواكب

تَرى الترابَ يترُضُضُ ويتبجّس دماً

تَرى جدراناً تلتهم البشرَ

تَرى إلى الكلام يتدفّق جُثّاً من الحناجر .

(١) الإشارة إلى الخليفة
القاهر .

- أ -

هُوَذَا النَّيْلُ : تَارِيخُهُ وَمِعْرَاجُهُ

شَعَفٌ وَاحِدٌ

وَحْدَةُ الْجَفْنِ وَالْجَفْنِ فِي مُقْلَةٍ .

هُوَذَا النَّيْلُ ، هَذَا سَرِيرُ الْفَتْوحَاتِ

هَذِي صَبَابَاتُهُ .

وَأُظُنُّ : الزَّهْوُورُ الَّتِي تَتَخَاصَرُ فِي الظِّلِّ ،

تَقْرَأُ لِلتُّرْبَةِ الْمُثَقَّلَةِ

بِقُصُولِ مَوَاعِيدِهِ ،

مَوْسِمَ النَّشْوَةِ الْمُقْبِلَةِ .

الذَّاكِرَةُ

٣٢٢هـ .

سُئِلَتْ عَيْنَاهُ^(١) . وَقَالُوا :

سَالَتْ عَيْنَاهُ

عَلَى خَدَّيْهِ !

مَا أَصْغَرَهَا - بَغْدَادُ

الْيَوْمَ ،

تَرَوْحُ وَتَأْتِي

مِثْلَ الدَّمِيَةِ فَوْقَ يَدَيْهِ !

* مَرْكَبُ عَاشِقٍ

رَسَمَ الْحُلُمِ شَطَائِنَهُ :

حَبُّهُ ، فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِهِ ، خَانَهُ .

- ب -

كَبِدُ النَّيْلِ فِي خَلْوَةٍ

مَعَ دِفَاتِرِ بَرْدِيَّةٍ.

- ١ -

ضُرِبَ الشَّلْمَغَانِي^(١)

ثَمَانِينَ سَوْطاً،

بعد هذا

ضُرِبَتْ عُقْقُهُ.

- ٢ -

أَيُّهَا الثَّائِرُ

يَسْأَلُ الْفَكْرَ فَيْكُ،

وَيَسْتَنْقِصُ الشَّاعِرَ:

خَلَقْتَ شَعْرَهَا السَّمَاءَ

مَا الَّذِي سَتَقُولُ لَهَا

الْأَرْضُ، هَذَا الْمَسَاءُ؟

(١) ذُكِرَ سَابِقاً فِي «الْكِتَابِ».

وهو محمد بن علي، أبو
جعفر الشلمغاني. ادّعى أن
اللاهوت حلّ فيه، ويقول:
«إن الله يحلّ في كل إنسان
على قدره».

أفتى علماء بغداد بإباحة
دمه. فقتله الخليفة الرّاضي
بالله، وأحرق جثته.

يُعرف بابن أبي العزّافر،
والجّه تُنسب الفرقة
«العزّافرية».

أَتَأْمَلُ فِي زَهْرَةِ لُوتَسٍ

تَسْتَجِمُ،

وَهَا هِيَ، فِي خَفِيَّةٍ،

تُجَفِّفُ مَنَدِيلَهَا.

عُقُقْهَا مَائِلٌ إِلَيَّ، تَرَاهَا

تَتَسَاءَلُ: مَنْ ذَلِكَ الْغَرِيبُ

الَّذِي لَا يَزَالُ الرَّحِيلُ فَرَاشاً لَهُ؟

* سَوْفَ يَأْتِي زَمَانٌ، يَقُولُ لِي النَّيْلُ،

يَأْتِي زَمَانٌ

يَتَحَوَّلُ فِيهِ الْمَكَانُ إِلَى دَرَجَاتٍ

لِصُّعُودِ الْمُحِبِّينَ صَوْبَ أَقَاصِيهِمْ.

- ١ -

قُتِلَ الدِّيلَمِيُّ^(١)

الذي كان يزعم:

روح سليمان فيه،

وسليمان نُوبٌ لَهُ.

- ٢ -

تخرج الرُّوحُ من جسمها،

وتدخل في آخر:

لِمَ هذا التَّنْقُلُ، هذا السَّقَرُ

أَيُّهَا الرُّوحُ، في ما

تَدْمِينُهُ وَتُهْنِينُهُ

وتقولين عنه

إِنَّهُ موطنٌ لِظِلَامِ البَشَرِ؟

- ج -

تهبط الشَّمْسُ، هذا الصَّبَاحُ، على النَّيلِ
فَلَا حَةَ،

يتغنَّى بِأَهْدَابِهَا وبِأَرْدَافِهَا

زَهْرٌ أَحْمَرٌ أبيضٌ،

لا يُجْمَعُ، لا يكتُم.

وَتَمِيلُ لَهُ الضَّفَّتَانِ، وَيَسْرِي

في جوانحِ بَرْدِيهَا ارتعاشٌ.

المسافاتُ سَكَرَانَةٌ

وتضاريسُها تحلُم.

* كُلَّ يَوْمٍ أَرَى النَّيْلَ فِي حُلَّةٍ

غيرِ تِلْكَ التي كنتُ شَاهِدْتُهَا،-

أَهْ مَا أَعْجَبَ الطَّرَازَ الذي يَتَخَيَّرُ خِيطَانَهَا

وَأَلْوَانَهَا.

(١) هو مَزْدَاوِيَج، وكان

يزعم أن روح سليمان بن

داود حَلَّتْ فيه. وقبل كان

يجلس على سرير من ذهب.

قتله بِجُكَمٍ أَخْصَصَ مَمَالِيكَه.

وبجكم هو الذي استنقذ

الحجر الأسود من القرامطة.

اشتراه بخمسين ألف

دينار.

- د -

أَوْماً التَّيْلُ، قَالَ اثْرُكُونِي
فِي فُلْكِ حَبِّي،
وَأَنَا لَا أَعْلَمُ، لَكُنِّي أُلْهِمُ.

- ١ -

جُثُّ الْمَوْتَى
تَنْتَابُ فِي الطَّرَافِ
وَالنَّاسُ شَتَاتٌ.

- ٢ -

عَلَّمْنَا تَجَارِبُنَا:
كُلُّ رَثٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ
سَلْطَةً أَوْ رَغِيفًا،
لَيْسَ إِلَّا تُرَابًا.

غَيْرَ أَنَّ زَمَانِي غَرِيبٌ
كَتَفَاهُ سَمَاءٌ
وَحُطَّاهُ دَمٌ.

* أَسَرَّتْنِي خَفَايَاكَ يَا نَيْلُ،
وَالْوَقْتُ يُولِمُ أَشْجَارَهُ
لِأَعَاصِيرِهِ،
وَالْمَدَائِنُ فِيَّ انْشِقَاقٌ.

طِينُ أَجْدَادِنَا الْبَابِلِيِّ عَلَى النَّيْلِ:
فِي الْقَلْبِ غَيْمٌ، وَفِي الْغَيْمِ نَارٌ.

أَعْرَبُوا أَعْرَبُوا، فَأَنَا الْمُعْجَمُ.

مَا أَقُولُ لِقَوْمِي
وَأَنَا فِيهِمْ بِهِمْ مِنْهُمْ؟

يَا لِقَلْبِي مِنْ طَائِشٍ:
الْحَقِيقَةُ فِي نَبْضِهِ
وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

* إِنَّ لَّيْلٍ كَالنَّيْلِ شُطَّانَهُ
وَلَهُ سَفْنٌ جَارِيَاتٌ،
وَلَهُ لُغَةٌ فِي الْحَنِينِ وَأَمْوَاجِهِ السَّاهِرَةِ،
نَهَرٌ آخَرٌ هُوَ اللَّيْلُ فِي الْقَاهِرَةِ.

الذَّكْرَةُ

٣٢٦هـ.

يَا أَبَا طَاهِرٍ^(١)،
فُرْقَةٌ فِي جَنُودِكَ،
بَعْضُ يُهَارِشُ بَعْضًا.
وَتَمَّةٌ قَتَلَى.
أَتَرَى كَيْفَ يَلْتَهُمُ
الثَّائِرِينَ الْخِلَافَ؟
عَلَى الْمُلُوكِ وَالْمَالِ؟
وَانْظُرْ: هَا هُوَ
الْفَقْرُ مَا زَالَ
يَشْحَذُ أَعْضَاءَهُ
كَيْ يَنَامَ عَلَى جَرْحِهِ،
حَاضِنًا مَا تَفَتَّتْ
مِنْ خُبْرٍ أَخْلَامِهِ.

- و -

صورة للطفولة - محضونة

بعذاباتها

في الأزقة، قلبي كليم لها.

وحنوت عليها كأتي أب

ومشينا معاً، وهمسنا للزمان بأوجاعنا

تارة وجهرنا بها تارة

ومزجنا بأهاتنا شمسنا ومزامير أضوائها،

والبلاد وهول الظلام.

آه، كم يُوجع الكلام.

الذاكرة

٣٢٩هـ.

- ١ -

قتلوا بجكمأ،

والغلام^(١) الذي كان

يحمل أسراؤه.

- ٢ -

آه من ليل تاريخنا:

ليس في أرضنا

غير شخصين - إمّا

قاتل أو قتيل.

* ما أطيب أن نستلقي

شعري وأنا، عند النبل،

ونشرب صفو دموع

عتقناها.

الذاكرة

٣٣٠هـ.

- ١ -

منجنيقات بغداد

منصوبة:

الخلافة أضحوكة

والقرى والمدائن

نهب وقتل.

- ٢ -

كيف لم يفهم الذين

يسرون في موكب

الخلافة.

أنها مرض في الحياة

وفي العقل، أو أنها

لم تكن، غالباً، تحت

فيء الحقيقة،

بل تحت فيء الخرافة؟

- ز -

مسجد، ساحة - طيور

تتناثر فيها.

عاشقان يطيران في زهو ريشهما

في عناق طويل

بين أحضان هذا الزمان البخيل.

كيف، من أين جاءت إلى التيل

هذي الثلوج التي تتساقط

من كل صوب؟

* أتخفى (أحلم أن أتخفى)

في أحضان التيل، وأعرف

كيف يكون الماء رسائل حب.

- ح -

أَسْأَلُ النَّيْلُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي
بهذا البهاء،

وَهُوَ مُحْتَبَسُ الضَّفَّتَيْنِ،

أَسِيرُ جِدَارَيْهِمَا؟

فَأَرَى صَوْتَهُ - لَا كَلَاماً

بَلْ هَسِيساً غريباً

يَسِيلُ عَلَى الْأَفْقِ جَبِراً،

يُذَوِّبُ فِيهِ اللِّغَاتِ،

وَيَرْسُمُ لِي صُورَةً فِي الْهَوَاءِ.

- ١ -

كَثُرَ الزَّافُصُونَ

بِغَدَادَ، فِي كُلِّ حَيٍّ

أَثَرُ مِنْهُمْ:

يُولِمُونَ لَأَيَّامِهِمْ

وَلَأَثَرِهَا

شَهَوَاتِ الْجَسَدِ،

وَيُضَيِّتُونَ لَيْلَ الْأَبَدِ.

* هَيَّا النَّيْلُ إِبْرِيْقَهُ

لِيَقْدِمَ شَايَ الصَّبَاحِ إِلَى أَخْتِهِ،

أَخْتَهُ الشَّمْسُ، فِي كُلِّ فَجْرِ،

تَقْصُّ عَلَيْهِ رَوَاها.

كوكبٌ يَشْهَى

أن ينامَ على زُنْدِ فَلَاحَةٍ،

رسمت وجهها بحبرٍ

كان خوفو يُخَبِّئُهُ تحت بَرْدِيَّةٍ،

في خزانة أوراقه.

ما الذي يستطيعُ ابنُ حِزَابِيَّةٍ (*) ضِدَّهَا؟

- ٢ -

أنظرُ الآنَ في

كبدِ الأفقي، في وجهه

بغداد: للرَّفَضِ قُزْنان

والأرضُ حُبْلَى

بأساطيره -

بطيورٍ من النار

تجهل من أين جاءتْ،

إلى أين تَمْضِي.

* يحفر الحبُّ كالشَّعرِ ثَقْباً

في جدارِ الزَّمنِ،

كي يجددَ ميلادَهُ،

ويمزقَ عنه الكَفَنَ.

- ط -

(*) كان ابن حِزَابِيَّةٍ وريراً

لكافور، وعدواً للمتنبّي.

وكان له «مجلسٌ يتلافى فيه

الشعراء والعلماء،

والمحدثون».

وكان ابن حِزَابِيَّةٍ يحاول،

كما جاء في الصّبح المنيّ،

أن يتحدث دائماً عن سرقات

المتنبّي. اسمه جعفر بن

الفرات، ومن أصلٍ عراقي.

الذاكرة
٣٣١هـ.

- ٣ -

يسأل الزافضون
الخليفة، في خيرة:

قل لنا كيف تأتي
إلينا
أبآيات علمك،
أم بالهبوط علينا
من عل؟
ولماذا،
يا خليفة أيامنا
وأموالنا، لماذا

ت تمرأى بنا

- ي -

من جديد، تعود السماء لكي تسكن اللحم

والعظم: هذا مقال

قد يسر العقيلي(*) لكن،

كيف يدخل في الجسم ضوء الحبيبة؟

من أين تأتي

خميرة هذا الهبوط الصعود

في مجرة أعضائها؟

هل أسائل فسطاط هذا التخيل عند

العقيلي، أم أسأل الوجود؟

* إبتدئ إبتدئ

وجهك الآن كالتار -

توشك أن تنطفئ.

(*) هو الشريف علي بن
الحسين بن حيدرة العقيلي
(توفي في أواخر القرن الرابع
الهجري). من الشعراء في
زمن كافور. له ديوان مطبوع.
ومن شعره في حبيبته:
«ضافت علي نواحيها، فما
قدرت
على الإناخة في ساحتها
القل».

- ك -

رجُلٌ في طريقي (ربّما كان كافورَ أو ابنَ حِزَابِيَّة)،
رجُلٌ هالِني،

رأسُهُ فرَّ عن كتفيه، وها هو يمشي
تاركاً جسمه خلفه،
ويطوفُ وحيداً
وها هو يمشي ورائي
لاعقاً خطواتي .

عندما راحتِ الشمسُ تسكبُ تِزيّاقَها،
أخذتهُ إلى بيتِها نملّة .

* ظُلْمَةٌ - والأزقةُ تَحْتَضِنُ السَّابِلَةَ
في دماءِ الخريفِ الرّماديّةِ السَّائِلَةِ .

الذاكرة

٣٣١هـ .

في حناجر أبنائنا
وأبائنا -

ساطعاً،
قاطعاً مثل سيفٍ؟

قل لنا كيف يحدث
هذا،

قل لنا كيف تأتي؟

- ٤ -

رافضُ مات موث
الطبيعة، لم يقتلوه،
ولكن

صلبوه، بعد أن
مات، حُزُوا

الذاكرة

٣٣١هـ.

رأسه، نشوة.

آدم

حائز العقل في

دينه،

وفي سرّ تكوينه،

وفي شهوات

بنيه.

- ٥ -

حمرة في السماء،

الوجوه، الحجارة

حمراء. حبل

المجانين يمتدّ -

حبل مسدّ.

- ل -

سأقول لهذا الموسوس، هذا الذي لَقَبُوهُ

سَيِّبُوهُ (*) : القصيدة، يا قارئ، رحيل

خارج النحر والصّرف، سيّر

في جميع الجهات.

نفس صاعد من قرارة أحشائنا

يُلايس أياقنا وأشياءنا

قلقاً، زهرة، حضاة.

سأقول: القصيدة كالشمس، كالماء،

مُسْتَقْبَلٌ للكلام

لا تنام، ولا شيء في ضوئها ينام.

* جَاهِدْ أَنْ أَعْلَمَ خَصْمِي

كيف يحيا بهيّا وحرّاً

ليصير جديراً بعدائي له.

(*) هو محمد بن موسى بن

عبد العزيز الكندي، المؤلف

بالجَبِّي، والموسوس،

وسيبويه المصري. وُلِدَ في

البصرة سنة ٢٨٤هـ. ومات

في مصر، سنة ٣٥٨هـ.

- م -

أَتَخَيَّلُ نَفْسِي تَقْتُلُ نَفْسِي:

رجلاً سائراً أمامي خلفي

طالِعاً مِنْ ثِيَابِي فِي صُورَةٍ - صُورَتِي .

ويواكبني أينما كنتُ أو سرتُ . حربٌ

عليّ . شديدٌ عنيدٌ لا يُقاتلُ غيري .

وأنا واثقٌ:

سيراني أعداءٌ شعري،

ذاتٌ يومٌ، قتيلاً

بين قُمصانه .

* كُنْ كَبِيراً عَلَى الْأَرْضِ،

كُنْ ذَرَّةً مِنْ ضِيَاءِ .

الذّاكِرة

هــ ٣٣١

لا تَسْكَوْا . تريدون أن
توقنوا؟

اسألوا الرّافضين

الذين يُحِبُّونَ

هذا البلدُ .

- ٦ -

ترك الرّافض القتلُ

كتاباً:

«لم أشاهد إلهاً

يتصدّر جمعاً

أو يسيرُ على رأسٍ

حشِدٍ .

فلماذا تُصِرُّ الحشودُ

على أن تقود السّماءَ

خطاها؟» .

الذاكرة

٣٣١ هـ.

- ٧ -

رافض آخر قال:

«أعرف أنني

سأقتل، فليهنأ

الخلفاء على هذه

الأرض، لكن

بعد قتلي

سأولّد في

كل شيء».

- ن -

لا أرى في الفراغ، كما يزعم الهجر، عزياً
بل أراه كساء.

كيف تلمس ثوب الضياء، إذا لم يحرك
جسمه في فراغ؟

ألهذا

كان بستان حزني أشدّ احتفاء

بالطيور التي هاجرت

كي تدفئ بالصمت أعشاشها(*)؟

(*) قلت هذا لمداحهم،
فكاني قلته لجدار.

وهو المداح الأنصاري،
أبو القاسم بن أبي العمير،
صاحب كافور والوزير ابن
حنزابة.

* كل يوم أعود إلى البدء،
أجبل من زفراتي طيناً
وأنقش فيه تقاطيع حبي.

- ٨ -

هُوَذَا رَافِضٌ يُنْشِدُ

كُلَّ شَيْءٍ لَهُ مَعْبُدٌ:

«لَا أُرِيدُ لَهُمْ أَنْ يَمُوتُوا،

كَمَا شَاءَ غَيْرِي أَوْ يُقْتَلُوا

(أَقْصِدِ الْآلِهَةَ)

بَلْ أُرِيدُ لَهُمْ أَنْ يَعِيشُوا

أَنْ يَظَلُّوا أَشْدَاءَ فِي

حَرْبِهِمْ عَلَيْنَا، وَأَنْ

يُغْلَبُوا،

هَكَذَا يَكْبُرُ اللَّاعِبُونَ

وَيَزْدَهَرُ الْمَلْعَبُ.

هَكَذَا تُؤَلَّدُ اللُّغَةُ

الْوَالِهَةُ».

- س -

لَا أَرَى أَنْ جَسْمِي تُزَلْزَلُهُ الْآنَ
أَيُّهُ أُغْوِيَّةٌ.

لَا أَرَى فِي شُعُورِي أَيَّ انفْجَارٍ
تَتَفَتَّقُ عَنْهُ دُرُوبٌ،

أَوْ تَسَافِرُ مِنْهُ الْجِرَاحُ إِلَى نَشْوَةٍ
لَمْ تَكُنْ تَتَرَاءَى لَهَا.

مَا الَّذِي يَحْدُثُ الْآنَ فِيَّ؟ وَأَيْنَ اخْتَفَتْ
رَغْبَاتِي؟

إِنْهَضِي، هَلْ سَمِعْتَ، وَمَاذَا تَقُولِينَ
يَا كَلِمَاتِي؟

* رَبِّمَا كَانَ هَذَا أَوَّلَ الْمُنْحَذَرِ،
وَأَحْسُ كَأَنَّ الدَّقَائِقَ سَيَلُّ
يَجُرُّ الصَّرَاطَ إِلَى رَبِّي،
وَيَجُرُّ الْبَشَرَ.

الذاكرة

٣٣٢ هـ.

ألبريدي^(١) بقتل حتى

أخاه:

كيف تقدر من بعد

هذا الدم المرّ،

أن تلمس خديبه

أو صدره،

يداه؟

- ع -

أتمدّد مستسلماً في سريري إلى حيرتي،

كأني

لم أعد قادراً أن أحسّ ولا أن أرى.

هل هُزِمْتُ؟ هل انكسر الضوء في؟ وكيف

سأعرف نفسي؟ أَسْتَلُّها

من ركائباتها القديمة، أم أَسْتَعِيدُ الظلام

الذي لَفَّها خَفِيَّةٌ، عندما كنتُ أزهو

بِالْأَلْأَيِّها؟ وَأَرَى أين كانت، وكيف،

وماذا؟

هل هُزِمْتُ؟ أم الشَّعر في آخر اللَّيل، يرفعُ

نفسي إلى البَدْءِ - يقرأ أوراذهَا،

ويُجدّد ميلادَهَا؟

* غسل الأفق أسنانه، بالغيوم، -

قلتُ هذا وصدَّقني الشَّعر، لكن

عَبَسْتُ وتولَّت في خُطَايَ النجوم.

(١) قُتل أبو الحسين

البريدي، وُصِّلب، ثم

أُحرق. وكان بعض الفقهاء قد

أفتى بإباحة دمه.

ومعه انقضت أيام

البريدية.

الذاكرة

٣٣٣هـ.

- ١ -

من ترى يستضيفُ

الخليقة: قبقابه

والعباءة، هذا

المساء؟

هوذا يتمزق: لا مُلك،

لا خبز، لا شيء

إلا الشقاء.

- ٢ -

إسمه القاهر -

اسمه ظلمات

جموع تمزق

أحشاءها

- ف -

جسدُ الضوء في مِصرَ، فيَّ، وفي

صَبواتي

جسدُ عاشقٍ

دَهَنَ الوقتُ أطرافه ببهارٍ

وأدارَ على عُنقه

دَهَباً ذائباً في لُجَيْنِ،

يَجْهَدُ اللَّيْلُ كي يَتَحَوَّلَ فِيهِ

إلى مُقْلَتَيْنِ.

* ما لَهُ - ذَلِكَ اللَّيْلُ لا يُهْزَمُ؟

أَهُوَ الغَيْمُ لا يُتَسَلَّقُ،

والجرحُ لا يُلَامُ؟

(١) هو الخليفة القاهر،
ويُروى أنه «افتقر حتى لم يبق
له شيء سوى قطعة عباءة
يلتف بها، وقبقاب من خشب
في رجله».

كَيْدِي - مَا الَّذِي ذَهَابَهَا؟
لَمْ أَعِدْ أَعْرِفُ فِيهَا إِلَى أَيِّ شَخْصٍ،
أَوْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ .
وَأُحْسِنُ كَأَنِّي فِي حَاجَةٍ
كِي أَخَاصِمَ أَهْوَاءَهَا - أُعَانِقُ أَهْوَاءَهَا،
وَأَسَافِرُ فِيهَا إِلَى مُنْتَهَاهَا - إِلَى أَيْنَ؟
أَيْنَ الْمَكَانُ الَّذِي يَقْدُرُ الْآنَ أَنْ يَتَقَبَّلَ
مَا بِي، وَيَفْتَحَ أَحْضَانَهُ لَجِرَاحِي؟
أَهْ يَا نَفْسِي الرَّجِيمَةُ يَا نَفْسِي الْكَرِيمَةُ
مِنْ جَدِيدٍ أَعُودُ لِصَحْرَائِي الْقَدِيمَةِ .

* أَرْسَلْتُ لِلَّيْلِ كِتَابًا
وَنَشَرْتُ حُرُوفَهُ
فِي طُرُقَاتِ هُمُومِي فِي أَنْحَاءِ الْكُوفَةِ .

بِأَطَافِرٍ مِنْ فِضَّةٍ،
وَتَقَادُ إِلَى كُلِّ مَا
لَا تَشَاءُ .
غُرٌّ، كَرَّرُ نَشِيدَكَ
يَا أَتِيهَا الشَّاعِرُ:
مُسْرَحٌ لِلْحَلَاظَةِ،
يُسْتَأْصَلُ الْعَقْلُ
فِيهِ،
وَلَا شَيْءٌ يُؤْخَذُ
غَيْرَ الدَّمَاءِ،
وَعَبِيرُ الْهَبَاءِ .

- ق -

الذاكرة

٣٣٣هـ.

لَوْحَ الرَّاحِلُونَ

بمناديلهم، وأناخوا نياقَ التَّعَبِ.

يسطُ الأفقُ كَفِيهِ، أَصْعُوا:

فَتَنٌ فِي الْأَقَالِيمِ، أَرْضُ

تَمَزَّقُ. هَذَا وَارِثُ الْعَرْشِ، يَجْتَرُّ كَرْسِيَّهُ

وَالْبِطَانَةُ تَسْحُ الذَّهَبَ.

يرقصون ويستمرثون

لَحْمَ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ فِي مَهَبِ الطَّرَبِ

وَعَلَى كُلِّ دَرْبٍ، وَفِي كُلِّ فَجٍّ، بَشَرٌ مِثْلَهُمْ،

بَشَرٌ مِنْ مَعَادِنَ، مِنْ صَلَوَاتِ

وَمِنْ شَهَوَاتِ،

رُكَّعٌ خَاشِعُونَ.

- ١ -

أخذوا رأسه -

ذلك الخارجي^(١)،

دامياً طازجاً،

وزموه إلى القائم

الفاطمي!

- ٢ -

لم يعد دفتراً

السَّماء

في فضاء الخوارج

إلاً

ورقاً لكتابة مراثية.

* تتردد هذي اليمامة

في قولها لِلسَّمَاءِ: اصْدُقِي مَرَّةً.

- «لا مَفْرُ. كتبنا عليكم ذُلُّكُمْ، وكتبنا الخضوع»،

- «لا فضاء»، تقول الأضاحي،

- «لا ملاذ»، تقول الدُمُوع.

- كيف يمكن أن تُفْهَم الشعوب التي ترسمُ

اللَّهَ فوقَ الرؤوسِ على حَدِّ سَيْفٍ،

وتدليه في ساحة،

وتعلم أطفالها

أن يحيوه، كلُّ صباحٍ؟

✽ آه، ما هذه الأرض - تَجْهَدُ أن تَخْنَقَ

الهواء الذي تَنْفَسُهُ رثاها،

في فضاء يَزُقُّ الطُّيُورَ بِكِبْرِيَتِهِ!

الذَّاكِرَة

٣٣٣هـ.

لم تعد هذه الأرض،

في خطوات الخوارج،

إلا

نهرًا

لغيوم البكاء.

- ٣ -

ألتراب يمدُّ يديه

كريمًا إلى الخارجي

وأبنائه

وأصحابه،

حائياً،

مُضْغِيًا

لتباريحهم.

لِعليّ،

- ش -

لَا بِنَ رِشْدَيْنِ، لَا بِنَ أَبِي الْجُوعِ، لِلرُّوْذِبَارِيِّ(*)،

أَصْغَيْتُ، أَصْغِي،

وَأَقُولُ لَا وَجَاعِهِمْ:

حَوْلَكُمْ رَبَّةُ الْعَمَاءِ وَرَايَاتُهَا،

مَعَكُمْ لَيْلُ أَكْفَانِكُمْ،

لَا سَقُوفٌ لَكُمْ،

غَيْرُ مَا يَتَبَخَّرُ مِنْهَا، -

لَا طَرِيقٌ، وَمَا مِنْ بَدِيلٍ.

لَيْسَ إِلَّا الرَّمَادُ،

وَهَذَا الْفَضَاءُ الْقَتِيلُ.

- ٣ -

فجأة، يتغيّر -

يأتي بلا موعدٍ

يزور بيوتاتهم

وأكواخهم،

ويجثّثهم

واحداً واحداً.

- ٤ -

زمنٌ مُنْهَكٌ -

زمنٌ خارجيٌّ:

الفضاء بلا نعمةٍ

وبلا حكمةٍ،

ويذ الماء مبنورةً.

(*) صالح بن رشدين، من
كُتّاب ديوان الرسائل في
العصر الإخشيدي.- عليّ بن صالح
الروذباريّ كان والياً على
دمشق، وكانت له في مصر
حلقة أدبية.- علي بن أحمد
المهلبّي، (عبد الله بن أبي
الجوع)، من اللغويين
النحويين، في أيام كافور.كانوا جميعاً يتدارسون
ديوان المتنبي، تحت إشرافه،
كما جاء في «يتيمة الدهر»
للنعالبي (١: ٣١٤ - ٣١٧).

* الْمُحَبَّوْنَ مَاتُوا، -

لَا بَحَارٌ سَتَكْفِي لِيغْرَقَ فِيهَا حَنِينِي،

لَا سَمَاءٌ سَتَكْفِي لِيَعْلَوْ فِيهَا ضِيَاعِي.

- ت -

الكلامُ إلى فاتك (*) وعليه، حجابٌ.

(*) هو فاتك الإخشيدى .
كان يُعرف بالمجنون . وكان
المتنبي يعدّه بين أقرب
الأصدقاء إليه .

- ه -

هذه ورفاتٌ

حَظَّهَا خارجيٌ،

ولعلّي تأخرتُ

في نشرها،

فَعُذْرًا:

«أَلْمَلِكُ سَيْفُ

هوى،

ورمَحُ فتوى،

وتابوتُ،

وبخُرُ دم.

أَلْمَلِكُ سَاخَةُ

أنيابِ

وفُفَاةٌ.

مَعَهُ أَتَغَيَّرُ، أَصْعَدُ مِنْ أَوَّلِ

دَرَجَاتِ الكلام، أَغَيَّرَ معراجَهُ

وَأَرَجَّ الحُدُوسَ الَّتِي فَيَأْتُهُ

والخيالَ الَّذِي يَتَفَيَّأُ فِيهِ .

وَأُكْاشِفُهُ - بَيْنَ جِبْرِي والكلماتِ هَوَى آخَرٍ.

فاتكُ شاعِرٌ،

ويعرف من أين يُؤْخَذُ شِعْرِي .

* ليس للسَّائرين على الأرضِ إلَّا

أَنْ يَصْبِرُوا غُبَارًا:

حِكْمَةٌ بَالِيَةٌ

تَتَقَلَّبُ فِي نَارِهَا الْعَالِيَةِ .

شَعَفْ عَالٍ

يرسُمُ فِيَّ طَيُوفَهُ :

ما أَطْيَبَ أَنْ أَتَحَوَّلَ مَاءً

وَأَذُوبَ جَسْمِي

فِي جِسْمِ الْكُوفَةِ .

الذَّكْرَةُ

٣٣٣هـ .

أَلْمَلِكُ مِنْ وَرَقٍ ،

أَلْمَلِكُ مِنْ عَلَقٍ .

أَلْمَلِكُ قَدَّرَ جَسَاءَ

رَأْسِ قَافِلَةٍ

مِنْ الذَّنَابِ ، وَبَيَدُ

لَا حَدُودَ لَهَا .

أَلْمَلِكُ بِسْمَلَةٍ

أَلْمَلِكُ مِثْلُهُ

مُخَوِّقَةٌ ، وَحَدِيدُ

دَافِقُ ذَهَابٍ .

أَلْمَلِكُ

مُسْتَنْقَعٌ .

* مِثْلُهُ - ذَلِكَ الْوَفِيُّ لِتَرْحَالِهِ

فِي صَحَارَى عَذَابَاتِهِ :

لَا أَخُونُ الرِّيَّاحَ الَّتِي لَبَسْتَنِي .

أَلْمَلِكُ سَمَى

يَدِيهِ رَايَةً رُفِعَتْ

عَلَى السَّمَاءِ، وَسَمَى

طِينُهُ لِهَبًا.

أَلْمَلِكُ يَحْسِبُ وَجْهَ

الْكُونِ مُتَكَأً

لِلْإِنْسَانِ، وَدَارَ

الْخُلْدِ مُقْلَبًا.

- خ -

إِنْ أَقْلُ مَا أَقُولُ، فَكَيْ أَرْضِي الْأَصْدِقَاءَ،

أُحْيِي بَيُوتَاتِهِمْ وَتَقَالِيدَهَا.

غَيْرَ أَنَّ شُعُورِي أَعْلَى وَأُنْأَى،

وَأَسْأَلُ: مَاذَا سَأَفْعَلُ؟ لَا أَرْضَ تَعْلُو إِلَى

مَا أُحِسُّ، كَأَنِّي

لَمْ أَعِدْ قَادِرًا أَنْ أَكُونَ نَمِيًّا

أَوْ نَجِيًّا لِبَيْتٍ أَوْ دَمٍ أَوْ عَشِيرٍ.

لَمْ أَعِدْ قَادِرًا أَنْ أُحِسَّ بِنَفْسِي إِلَّا إِذَا

رَحْتُ أَفْتَضُّهَا كَالطَّرِيدَةِ،

لَمْ يَعِدْ أَيُّ شَيْءٍ يُوَكِّدُ نَفْسِي لِنَفْسِي، إِلَّا الْقَصِيدَةُ.

* خُطُواتُ الطُفُولَةِ - ماذا

يَتَبَقَّى مِنَ السَّرِّ فِيهَا؟

كَيْفَ لِي أَنْ أَشَمَّ شَذَاهَا

وَأَنْ أُنَحْنِي عَلَيْهَا؟

- ذ -

خَطُّكَ الْأَعْوَجُ - الْمُسْتَقِيمُ
أَيُّهَا الْعَقْلُ، لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ،
وَلَا شَيْءَ فِيهِ،
سِوَى النَّافِلِ الْغُفْلِ:
سَيْرٌ بَلِيدٌ عَلَى دَرَجَاتِ التَّعِيمِ.
وَأَنَا عَاشِقُ الْجَحِيمِ.

الذَّكْرَةُ

٣٣٣هـ.

الْمَلِكُ أَوَّلُ مَنْ
لَبَّى، وَأَوَّلُ مَنْ
صَلَّى، وَأَوَّلُ مَنْ
غَضَى وَمَنْ طَرَبَا.
الْمَلِكُ غَابَةُ غِيْلَانٍ
دَمٌ شَرَقَتْ
بِهِ الْحَيَاةُ، وَلَمْ
تَعْرِفْ لَهُ نَسَبًا.

* أَنْتَ، يَا عَقْلُ نَوْرٌ - يُقَالُ، وَلَكِنْ
كَيْفَ لَا تَتَوَهَّجُ فِيكَ مَسَافَاتُهُ؟
وَلِمَاذَا تَقَدَّمَهُ لِلْمَسَافِرِ نَحْوَ الْمَجَاهِيلِ،
فِي كَأْسِ سُمٍّ؟

نَاقِتي -

- ض -

هل تَيْقَنْتِ أَتِي

تَارِكُ لِلطَّوَافِ الْمَوْرَقِ حَوْلَ الْمَوَائِدِ،

لِلنَّوْمِ فِي شَحْمِهَا سِوَايْ؟

أَتَشْكِينِ؟ جُسِّي عُرُوقِي، وَأَصْغِي لِنَبْضِي،

وَهَا مُهْجَتِي، هَا يَدَايِ:

صَدْرِي الْآنَ أَعْلَى وَأَرْحُبُ مِمَّا ظَنَنْتِ، وَمِنْ كُلِّ أَرْضٍ -

خُذِينِي وَسِيرِي

فِي فَيَافِيهِ، لَكِنْ بِحَقِّ تَبَارِيحِنَا،

حَاوِلِي أَنْ تَمْرِي بِخُشُوعٍ وَصَمْتٍ

فِي مَدَارِ بَرَاكِينِهِ؛

فِي مَدَارِ بَرَاكِينِهِ هَوَايِ.

أَلْمَلِكُ

نِيلْ

فُرَاتْ

دِجْلَةُ

بَرْدَى.

أَلْمَلِكُ آيَةُ

إِعْجَازِ

بِحِكْمَتِهِ

وَحِكْمِهِ

وَبِمَا أُعْطِيَ

وَمَا كَسَبَا.

* الْحَقِيقَةُ وَخِيُ الْجَنُونِ، -

تَقُولُ الْحَيَاةُ لِمَعْرَاجِهَا.

فجأة، صورتني تتجلى في مرارات بغداد، في حلب، في دمشق.
فجأة، حولة.

فجأة، نشوة ودروب وكواكب لا يعرف الجبر أسماءها.

فجأة، نأخذ الزمن الميت، نرميه في قبو آيامنا.

فجأة، يحمل الأفق أثقاله ويسافر فينا.

فجأة، يخرج الليل من بيته ويطوف علينا بأباريقه.

فجأة، قصب الليل، ورد المسافات، خشخاش حزن وصمت:

نتعلم هذا المزيج ونبني سقوفاً لأحلامنا،

فجأة، تتقدم شمس وتكتب في دفتر الضوء أسماءنا.

فجأة، يلبس الفجر وجهي،

فجأة، أتجلى لنفسي.

الذاكرة

٣٣٣هـ.

ألملك

سيد

أسياد

ملائكة

إن شاء

صبر من

أعناقهم

ذرجاً،

* أرضنا جرحنا:

فعلى أي جنب نميل، وماذا

من نسالم، أو من نقاتل؟

ماثل عنق الكون ماثل.

- غ -

النبوات قالت :

اتركوا الشعرَ يا أيُّها المؤمنونُ
قبلَها، قال ذلك تلميذُ سقراطَ : لا شيءَ
في الشعرِ إلَّا الضلالُ وإلَّا الجنونُ .
غيرَ أنَّ الخليقةَ لم تُصعِ ،
والشعراءُ استمرّوا يعيشونَ كالأنبياءِ
مع شياطينهم ، يسألونَ ، ونسألُ :
ماذا ،
ما الذي يتبقّى
خارجَ الشعرِ ، غيرُ العماءِ ؟

الذاكرة

٣٣٣هـ .

أو شاء ، صيّرَ
من أجسادهم
خطبا .
ألملكُ ينزلُ من
أُم الكتابِ ،
ومن
أهلِ الكتابِ ،
ومن . . . » .

* صوتٌ - يخرج منه عطرٌ
وضع التيلُ عليه يدُه ،
كي يبقى حرّاً :
صوتُ زمانٍ آتٍ .

هوامش
(يوميات المتنبي)



٧. غيوم

١ - قِباب

أَتَحْيِلُ بَغْدَادَ، لَكَتْنِي أُحْيِي
حَلَبًا، وَأُحْيِي
كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - الْقِبَابَ،
الشُّيُوخَ يَنَامُونَ فِي ظِلِّهَا،
أَوْ يَقْصُونَ أَيَّامَهُمْ .
أَلَدَقَائِقُ أَوْتَارُ قِيثَارَةٍ
وَالْمُصَلِّونَ: كُلُّ حَاضِرٍ غَائِبٌ، وَكُلُّ
يَتَحَدَّثُ فِي نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:
كُلُّ مَا يَخْلُقُ الضُّوءَ فِينَا،
لُعَّةٌ مُرْجَأَةٌ .
وَطَنٌ - جَبْرُهُ جِرَاحَاتُنَا
وَنَجْهَلُ أَنْ نَقْرَأَهُ .

٢ - صحراء

أَيْنَ سَتَبَحُثُ عَنْ بَيْتٍ؟

هل تَسْكُنُ بَيْنَ خِيوطِ الشَّمْسِ؟ ولكن
خيرٌ أَنْ تَسْكُنَ فِي أَوْرَاقِ العُشْبِ، وَغَيْرِ
تَرْتِيبِ الأحرفِ حَتَّى تَبْقَى
تَشْرَدُ فِي بَيْدَاءِ النَّاسِ كَذَرَةِ رَمْلِ.

هي ذِي صحراءِ المِخْنَةِ

بَشَرٌ مَذْعُورُونَ، وَكُلُّ فِضَاءٍ سُدٌّ.
هَذِي الْأَرْضُ وَصِيَّةُ عَرْشِ، وَالْعَرْشُ قِضَاءٌ، -
يَا لِلْعَنَةِ!

٣ - استغناء

هذي الأرض كمثلي امرأة
لا تعرف كيف تعيش، وماذا تعمل. يوم يمضي
يوم يأتي
ويداها قيد مُحكم
تحت مظلة عرش أبكم.

من قال لشعرك: أنت المعنى،
ولصورته: أنت الصور؟
كلاً،

في هذي الأرض، هنا وهناك،
لا يحتاج إليك البشر.

٤ - سراب

هُوَذَا يُبْتَكَرُ الْآنَ سَرَابٌ :

حَيَوَانٌ أَخْضَرُ الْقَامَةِ ، رَأْسَانِ كَبِيرَانِ

عَلَى حَوْضٍ صَغِيرٍ ،

وَلِلَّيْلِ الرَّدْفَيْنِ

قَمَرٌ يَسْكُنُ تَحْتَ الْكَثِيفَيْنِ .

غَيْرَ أَنَّ الْعُنُقَ اسْتَلْقَى عَلَى شَفْرَةِ حُلْمٍ .

رَبِّمَا لَا تَرْغَبُ الشَّفْرَةَ أَنْ تَسْتَقِظَ الْآنَ . تَعْلَمُ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ أَنْ تُصْغِيَ لَوْفَعِ الْكَلِمَاتِ

فِي سَرَابِ الْخُطُوَاتِ .

٥ - نسيان

أَلَسَّمَاءَ رَمَتْ طِينَهَا

فوق أجفان بغداد. أَلَقْتُ

قدميها وكرسیها على رَأْسِهَا. دُورًا

في شرايين بغداد، تبكي

لم يعد دمعُ بغدادَ طِفْلاً

لم تعد تعرف البكاء.

نَسِيتُ كيف تَفرُّ أو كيف تَشْهَقُ في صدرها كَربلاءَ،

هكذا

نَسِيتُ وَجْهَهَا -

أَتَرَاهَا أُحِيلَت إلى مُومِياة؟

عَرْشُهُ فِي كَنْفِ اللَّهِ مُقِيمٌ .
يَهْدُمُ الْبَيْتَ عَلَى أَطْفَالِهِ
وَالْمَعْرُونَ جِرَابٌ وَسَيُوفٌ .

كَيْفَ لَا أَصْرُخُ بِاسْمِ اللَّهِ ،
فِي الشُّعْبِ الَّذِي يَرْتَجِفُ الْآنَ ، أَطِيعُهُ :
كُنْ حِسَاءً .
كَيْفَ لَا أَسْأَلُ هَذَا الْعَرْشَ : قُلْ لِي
أَنَا مَيِّتٌ . وَلَمْ تَأْذِنْ لِمَوْتِي ،
هَكَذَا أُنبِشُ مِنْ قَبْرِي لَكِي أُدْفِنَ
فِي ظِلِّكَ ، فِي سَجَنٍ وَرَاءَ الْمَقْبَرَةِ ؟
لَمْ أَعُدْ أَعْرِفُ : هَلْ عِنْدِي ، فِي ظِلِّكَ ، رَأْسٌ وَذِرَاعَانِ
وَسَاقَانِ ، وَعِنْدِي
مِثْلَ غَيْرِي ، حُنْجَرَةٌ ؟

٧ - حَبَّاز

حَبَّازُ هُمُومٍ، لَكِنْ
فِي كُلِّ رَغِيفٍ قِثَارَةُ نُورٍ.
تَنُورُ الْحِكْمَةِ نَارُ سَلَامٍ.

يَا حَبَّازَ هَوَانَا
أَلْحِكْمَةُ تَبْكِي، وَالْكُونُ دَمُوعٌ.
أَرِنِي عَيْنِكَ
أَفِي شَفَتَيْكَ هَوَى
وَشِعَاعٌ مِنْ عَيْنَيْهَا؟

يَا حَبَّازَ هَوَانَا
قُلْ لِعَشِيقِ الْحِكْمَةِ: حَاوِلْ
أَنْ تُلْقِيَ، هَذَا اللَّيْلَ، يَدِيكَ عَلَى كَتِفَيْهَا.

٨ - الوردة

تتكلم - في صوتها وخز شوك،
وفي شفتيها ارتعاش.

وحدها، ويكاد البكاء
أن يُعطى بالتطفِ الحمر أوراقها.

إنها وردة الليل، أو هكذا سُميت،
لبست غريها
وانحنّت فوق خصر المساء.

٩ - لوتس

أَمْسِ، فَجْراً، عَلَى ضِيقَةِ النَّيْلِ، غُصْنَانِ مِنْ لُوتْسٍ
يَقْرَأُ عَلَى الْمَاءِ نَهْدِيَهُمَا.
رَحْتُ أَصْغِي، وَكَانَ الْهَوَاءُ
يَتَنَصَّصْتُ. نَهْدَانِ مِنْ لُوتْسٍ.

مَرَّ فَوْقِي سِرْبٌ
مِنْ يَمَامٍ. وَمَرَّتْ
صُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ عَنْ عَهْدِ حُبِّ
كَدْتُ أَنْسَى تَفَاصِيلَهُ.
آه، فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ النَّبِيَّةِ، مَا أَكْرَمَ الْبُكَاءَ.

إِنَّهُ النَّيْلُ يَفْتَحُ شُبَاكَهُ
لِلصَّبَاحِ وَلِلشَّمْسِ، ضَوْءُ
يَسْتَحْمُ. وَضَوْءُ يَتَمَطَّى، يَفْكَ عُرَى ثَوْبِهِ. صِفَافٌ
تَتَلَاؤُ. مَوْجٌ
وَادِعٌ يَتَخَاصَرُ. يَلْهُو
كَأَنَّ الْهَوَاءَ فِرَاشٌ لَهُ.

أَشْتَهِي مَوْجَةً
أَوْشُوشُ أَحْضَانِهَا
وَأَخْيِلُ جَسْمِي لَهَا
وَأَخْيِلُ مِعْرَاجَهُ إِلَيْهَا، وَتَبَارِيحَهُ، وَعِنَادَهُ.

فِي الْمِيَاهِ الْعَمِيقَةِ
أُصْغِي إِلَى زَفَرَةِ الْمَوْتِ فِينَا وَأُصْغِي إِلَى شَهَقَةِ الْوِلَادَةِ!

فاصلة استباق

من أنت أيها المنتظر؟

لن تحظى بالحياة إلاً مصادفةً
بين الموتِ والموت .

من أنت أيها المنتظر؟

الخريفُ يكملك
وجسدك يكمل الغبارَ
في تاريخ يتسلى،
يكتب شعراً عن أرجل العناكب .

من أنت أيها المنتظر؟

لا تقدر ملائكة العلم
أن تبتكر أسطورةً واحدةً
تولد فيها الشقائق من دم عاشقٍ،
أو ينفصل فيها
رأس شاعر عن جسده،
ويجري مغنياً
في ماء الطبيعة .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

غداً

يُبقرون الخرافة

ويستخلصون من جوفها

الحقائق .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

اهتفوا للانهيارات

احتفلوا بالانقراض

استبشروا بالخرائب .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

الغيبُ يؤاخي الجسدَ،

والسرُّ زهرة الكلام .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

على حيوانٍ خرافي

نجلس غداً ونقرأ العالمَ .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

بلى،

الإنسان يسير نحو البِغَاءِ .

بلى،

يولّد جنسٌ آخر من حيوانات الله .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

الحمدُ لكلّ التّباس .

المُعَزَّ يَعَانِقُ بَغْدَادَ،

يَجْمَعُ أَنْصَارُهُ حَوْلَهُ،

مِثْلَ رَاعٍ يَعْدُ خِرَافَهُ،

المُعَزَّ يَسُوقُ الْخَلِيفَةَ،

يَسْمُلُ عَيْنِيهِ، يُلْقِيهِ

فِي السَّجْنِ. مَا هَذِهِ

الْبَطُولَةُ فِي سَمَلٍ

عَيْنَيْنِ؟ مَا هَذِهِ

الْخِلَافَةُ؟

- أ -

أَتَسَاءَلُ حِينًا، وَأَنَا أَتَمَشَّى

فِي الْفَسْطَاطِ، لِمَاذَا، كَيْفَ رَحَلْتُ؟

وَلِمَاذَا لَمْ أَتَحْمَلْ رَهْقِي،

وَأَعِشُ بَيْنَ النَّاسِ كَفَرْدٍ مِنْهُمْ؟

أَغْضَبُ حَقًّا مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكِنْ

أَغْضَبُ حَقًّا مَنِي -

فَأَنَا الْآئِمُّ أَيْنَ ذَهَبْتُ، وَأَنْنَى

صَرْتُ، وَمَهْمَا قَلْتُ.

فَلِمَاذَا - كَيْفَ سَارَحَلْتُ، كَيْفَ رَحَلْتُ؟

(١) «بَيْتُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ مَاثِبًا إِلَى مُعَزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ فِي بَغْدَادَ. سَمِلَ عَيْنِيهِ وَسَجَنَهُ. بُويعَ مَكَانُهُ الْمَطْيُوعُ بِاللَّهِ».

وَكَانَ الْمُعَزَّ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ، «يَحْمِلُ الْحَطْبَ عَلَى رَأْسِهِ، فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ».

وَيُقَالُ لَهُ: «الْأَفْطَحُ»، لِأَنَّ يَدَهُ الْيُسْرَى قُطِعَتْ فِي مَعْرَكَةٍ مَعَ الْأَكْرَادِ. دَامَ مُلْكُهُ فِي الْعِرَاقِ ٢٢ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا، بَدَأَ مِنْ سَنَةِ ٣٣٤ هـ.

* آهِ لِلْكُوفَةِ الْآنَ: هَلْ مَلَمَحْتُ، هَلْ أَثَرُ

لِطُفُولَاتِ حُبِّي؟

أَتُرَى لَمْ تَزَلْ، مِثْلَمَا كُوتْتُ،

ذُبَّةً، وَتُحِبُّ الْقَمَرَ؟

- ب -

سأعودُ إلى الفلواتِ، -

وكيف أعيش أجيراً

عند أمير؟

كيف أمجد عرشاً ميتاً - عرش خضوعٍ

واستخذاء؟

كيف أعلم أن الظلمة نورٌ، واللّه قضيبٌ

أو عُكازٌ عند العرشِ،

وأن العرش يرفرف فوق الماء؟

كلاً، سأعودُ إلى فلوات المعنى

حرّاً، وغريباً

وجهاً آخر للصّحراء.

المُعزّ نجرٌ

دُيول الظفر:

أقطع الجند^(١) أرض

العراق - الخراب

يعمر أرض البشر.

* كيف أقول لهذي الأرضِ، بلادي أنتِ،

وكلّ صباح، تُعلن:

كلاً، لا يتحدثُ باسمي

إلا سجنٌ أو سفاح؟

(١) في أيام المعزّ «أقطع الجند البلاد والأرض. أدى ذلك إلى الخراب».

(١) «أعجب معز الدولة
بالمصارعين والملاكمين،
وغيرهم من أرباب هذه
الصناعات التي لا ينتفع بها
إلا كل قليل العقل، فاسد
المروءة».

- ج -

مَنْ يَخْلُصُ قَيْدًا مِنَ الْقَيْدِ؟ مَنْ يَتَفَهَّمُ
سِرِّي فِي الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ، فِي أَنِّي
دَمٌ وَاحِدٌ:
فَارِسٌ وَطَرِيدٌ.

مَنْ تَرَاهُ سَيُشْرَحُ أُنشُودِي
لِلْحُرُوفِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا؟

الذاكرة
٣٣٥هـ.

أَلْمَعَزُ شَعُوفٌ
بِمَنْ يُتَقَنُونَ فَنُونَ
الصَّرَاعِ^(١) - فَهَيْتَا،
إِنْ تَكُنْ بَارِعًا
فِي مَلَائِكَةٍ أَوْ صِرَاعٍ
تَفْزُ:
أَلْجُمُوعُ تَحْيِيكَ،
وَالْمَالُ يَهْمِي عَلَيْكَ.
كُلُّ شَيْءٍ يَصِيرُ كَمَا
تَتَشَهَّى
طَبْعًا فِي يَدَيْكَ.

* هَلْ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَنِّي
أَعَشَقْتُ مَوْتِي،
لَا شَغْفًا بِالمَوْتِ، وَلَكِنْ
كَيْ أَبْقَى سِرًّا؟

لا مَقَرَّ . الطَّرِيدَةُ تَهْذِي ،
تَمْلِمُ فِيَّ - تُرَانِي وَحْشُ الْمَكَانِ ،
تُرَانِي بِلْبَالُهُ؟

أَخَذَ الْفَجْرُ حَزَنِي
وَعَطَّى بِهِ كُلَّ شَيْءٍ .

وَالدُّرُوبُ شَيْبَاكَ : بَشَرٌ مُتَعَبُونَ
هَارِبُونَ إِلَى مَوْتِهِمْ ،
لَا يَرُونَ وَلَا يَسْأَلُونَ .

* كُلَّ يَوْمٍ ، أَفْتَشُّ عَنْ هَارِبٍ ،
تَحْتَ جِلْدِي .

الذَّاكِرَةُ
٣٣٥ هـ .

أَلْجَنُودُ يَعِيشُونَ
فِي الْعَالَمِينَ فُسَادًا :
كُلُّهُمْ فَاتِكٌ
وَقُصَارَاهُ أَنُّ
يَتَفَنَّنُ فِي فَتْكِهِ .

- ه -

لم يَجْثَنِي يَوْمًا غَرَابُ الْيَقِينِ وَلَا هُدْهُدُ
الْجِنِّ، بَيْنِي وَبَيْنَ السَّمَاءِ الْحَوَاجِزُ
تَعْلُو، وَتَمْتَدُّ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ.

وَأَرَى الْأَرْضَ أَضْيَقَ
مِنْ ظِلِّ طَيْرٍ، وَالسَّمَاءَ كَلْحَدٍ.

غَيْرَ أَنِّي أَرَى الْكَوْنَ طِفْلاً.

- ١ -

فَنَنَّةٌ: شَيْعَةٌ

سُنَّةٌ.

كُلُّهُمْ يُضْمِرُ الْحَرْبَ

ضِدَّ أَخِيهِ،

كُلُّهُمْ يَتَّقِيهِ.

شَيْعَةٌ - سُنَّةٌ،

سُنَّةٌ - شَيْعَةٌ:

رَجُلٌ وَاحِدٌ

يَتَأْكُلُ

مِنْ دَاخِلِي.

* عَظُمَ تَيْسٌ هُنَاكَ تُرْشُ عَلَيْهِ التَّعَاوِيدُ،
تُصْنَعُ مِنْهُ عَكَائِزُنَا،
وَتُضَاءُ خُطَانَا بِهِ، وَتُلَقَّحُ أَيَّامُنَا.

- و -

لو نعيشُ كما نَشْهَى

لا يَدُّ فوقنا

لا لِسَحْمِ الوجودِ ولا لِلورَمِ

لا بُؤَاتُ حربٍ وَقَتْلٍ

ولا شَرْقَ لا غَرْبَ، لا عَرَبَ لا عَجَمَ،

أبدأ في مهبِّ الأبد:

هكذا كنتُ أصغي لِفَقْهِ الجسدِ.

- ٢ -

سُئْتُ - شيعَةً:

رجُلٌ واحدٌ

يتمزّق من داخلٍ

يتجزّأ في ذاته،

لا لشيءٍ سوى

ضيقه:

لا يرى معه آخرًا

لا يرى غير

أظفاره.

* لَيْتَهَا تَغْرُقُ -

سَفُنُ الكَلِمَاتِ التي لا تُجَنُّ،

ولا تَعَشَقُ.

- ز -

هَيَّأْتُ لِيَجْسَمِي
جِلْدًا آخَرَ أَظْهَرُ فِيهِ
أَنْتِي غَيْرِي.

وَحَدِيثِي مَعَ هَذَا الْجِلْدِ يَطْوُلُ
وَلَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهُ
مَعَ زَمَنٍ مَيِّتٍ.

هَذَا زَمَنٌ مَيِّتٌ.

الذَّاكِرَةُ

٣٣٨ هـ.

- ٣ -

شِيعَةُ - سُنَّةُ:

زَهْرَةٌ وَاحِدَةٌ
تَنْقُصُفُ ضِغْنًا
وَجَهْلًا
فِي غَوَاصِفٍ
أَهْوَانِهَا الْبَارِدَةُ.

* لَا ضِيَاءَ - سِوَى ذَلِكَ الْبَرْقِ،
يَخْرُجُ مِنْ قَوْلَةٍ
تَتَلَاؤًا، أَوْ خُطْوَةٍ.
أَلْبَقِيَّةُ جَبَانَةٌ.

- ح -

تلعبُ التردُّ مع سيّد الحظِّ؟

من أين تحظى به؟

صوّر في صحارى تُسمّى مدائن، لكنّها

تتحركُ عمياء - ماذا؟

سيّد الحظِّ يكبو على سرّجه .

لا أشكُ: خيول الزّمان بلا سائِس .

- ٤ -

سنة - شيعه:

مدن من شكوك،

مدن من جراح،

مدن الصّمت

والهمس

والموماء،

لم لا يبعث الله

ضوء الحقيقة

في هذه المدن

المطفأه؟

* رقصُ دُبٍّ على عرشِ هذا السّديمِ

المزكى

بالخرافة، أم رقصُ ربِّ؟

- ٥ -

سُنَّة - شِيعَة:

كُرَّة سُودَاء

تتدحرجُ فينا

نتدحرجُ فيها،

حَتَّى لَنَكَادُ نَضِيعُ،

ونجهلُ كيفَ نميزُ

فينا

بين الموتى والأحياء.

- ط -

هل أرى شَكْلَ غُصْنٍ من الغَارِ في

مُدْخَلِ البابِ، أم أتوهمُ؟ بابُ

يذكرُ بالبَدْءِ - هل كنتُ أحلمُ؟

هل كان رأسي شَكْلًا لَطِيفٍ؟

أم تُراني أعطيتُ إِذَاكَ جِسمي

إلى آلهِ؟

كلُّ شيءٍ يذكرُ بالبَدْءِ،

دَعُ جِسمَكَ الآنَ يَنْهَضُ إلى سِرِّهِ.

* دائماً،

يبدأ اللَّيْلُ مِنْ سُرَّةِ.

- ٦ -

شيعة - سنة:

نسوة أو رجال،

بعضهم باسم سنتية

بعضهم باسم شيعية،

يحرقون البيوت،

يجرؤون أصحابها

بالجبال.

- ي -

أشعر الآن أني في حاجة

كي أغني

لا لهذا الأمير ولا ذاك،

لا للخليفة، لا للمكان - ولكن

للضياء الذي لا يُسمى.

أشعر الآن أن الشرار الذي في

من هذه الطبيعة

في حاجة كي يُصلي.

* أترى ذاك مُستقبلي:

خيط أريان

يُسجن في مغزل؟

الذاكرة

٣٣٨هـ.

- ٧ -

سُنَّة - شِيعَة :

ألقوا من عهد

عادٍ، تجوبُ

مفازاتنا،

وفي كلِّ دُزْبٍ، وفي

كلِّ حيٍّ لها مُحْفَلٌ.

فَبَآئِ الخُرَافِ

نرفع في أرضنا

رايةً لِقِتَالِ

ولمن، ولماذا

ننْقَاتُلُ، يا أَيُّها

الرَّحْلُ؟

- ك -

أَلطَرِيقُ التي سَلَكَتُها خُطَايَ، سَلُوها

لِتَروا ما رَأَيْتُ. سَلُوها

عَرَفْتُ كلَّ شَيْءٍ:

شَغَفَ القَافِلَة

وعذابَاتِها،

والسُّهُولَ التي رَصَدْتُني، والجبالَ التي طاردْتُني،

سَلُوها

عَرَفْتُ نكهَةَ الموتِ في زَفَرَاتِ النَّيَاقِ،

وضَاعَتِ

بينَ أَنَاتِها ومَالَتْ

تحتَ أعناقِها المائِلَة.

* أَتَقَصِّي، أسائِلُ: أينَ جذوري - في

صخرة، مثلما قال جُرْحي؟

أَمْ تُراها، كما قال شِعْري، في مَوْجَةٍ؟

- ٨ -

شيعه - سنة:

نُهب الكَرْخُ^(١). قَتلى.

والوزير البويهى

تَوَخَّذُ أَمْوَالَهُ.

صائدون يصيدونه.

أَيُّهَا الصَّائِدُونَ

الإمام هُوَ

الْفَتْكَ.

وتُعَسَّأ لدولاب

هذا الجُنُونُ.

- ل -

فِي الْعُرْفَةِ حَيْثُ أَنَامُ، بُيُوتُ عَنَاكَبَ،

حَظُّ

أَلَّا يَصْدَرَ عَنْهَا أَيُّ هَسِيسٍ.

فِي صَمْتِ تَبْنِي، وَتَعِيشِ كَأَنَّ الْعَالَمَ خِيْطٌ

أَوْهَنُ مِمَّا تَنْسُجُ أُرْوِي

لِفِرَاشِي كَيْفَ تُسَافِرُ تَحْتَ السَّقْفِ

وَبَيْنَ زَوَايَا، حَوْلَ سَرِيرِي، فِي أَشْيَائِي

إِحْدَاهُنَّ تَجِيءُ الْآنَ وَتَذْهَبُ فَوْقَ غَطَائِي.

مِنْ نَافِذَتِي

يَتَدَلَّى خِيْطُ بَيَاضٍ.

* كَيْفَ تَبْنِي مَقَامَكَ يَا شِعْرُ فِي الْأَرْضِ،

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَى رَثْيِكَ الْهَوَاءُ،

وَالْفَضَاءُ فَمَّ حَيَّطَتْهُ السَّمَاءُ.

(١) نُهب الكَرْخ في هذه
الفتنة. وخرج، في السنة
نفسها، «عمران بن شاهين
الصياد، وانضم إليه
الصيادون. هزموا الوزير
البويهى، وأخذوا أمواله.
قويت شوكتهم».

- ٩ -

سُئِلَ - شَيْعَةً:

لَفْظَتَانِ تَنْوَأَانِ

تَحْتَ الْجِرَاحِ،

كُلُّ حَرْفٍ مُحِيطٌ

مِنْ دَمٍ وَبَكَاءٍ.

لَمْ تَعُدْ تَتَغَنَّى بِغَيْرِ

أَسَاطِيرِ قَتْلَاهُمَا،

شَهَقَاتِ الرِّيَاحِ.

- ٣ -

رَأْسِي الْآنَ مَلَأَنُ شَوْكَاً.

تَعَبَ رَاكِدٌ فِي قَرَارَةِ جِسْمِي،

تَعَبَ آسِنٌ.

أَلَزَمَانُ يَلُمُ الْفُصُولَ

وَيَقْطَعُ أَوْصَالَهَا - يَزْتَرُ جِسْمِي بِهَا.

إِفْرِعِ الْبَابَ، يَا أَيُّهَا الذُّبُولُ

وَلَا تَفْتَحِ الْبَابَ، يَا أَيُّهَا الْأَفُولُ.

* مَا دَمْتَ تُجَاهِرُ أَنْتَ مَلَاكُ

فَلِمَاذَا لَا تَبْقَى طَيْرًا أَوْ تَبْقَى ظِلًّا؟

- ١٠ -

شيعه - سته:

فتنة دائرة

كيف لا ينفرد

الضوء منها،

وترفضها

اللغة الشاعرة؟

- ن -

في سريري شمسُ ترنُّ خلايلها،

والوسادةُ محشوةُ

برياحين لا حلم فيها.

لم أعد مالكا لنفسي:

وطني قش غيب

ودروبي شرار -

وكأني أسير لهذا الكلام.

ليلُ هذا المكانِ ثَقِيلُ

وأنا عاجزٌ أن أنام.

* كلُّ ما قلته، أو أشرت إليه

صوّر في كتابِ المُحال،

فلماذا، لماذا

لم تزل تعشق الأرض، يا أيها الخيال؟

الذّاكرة

٣٣٩ هـ.

أرجع الخجر

الأشود^(١):

الطريق التي شقها

عائداً،

بعد عشرين عاماً

إلى بيته،

خجر ينحني،

وأساطير

تُسوّلد.

- س -

أَلْحُرُوفُ السَّوَكُنْ، شَأْنُ الْحُرُوفِ

الصَّوَائِتِ، لَيْسَتْ غُرَاباً

وَلَا هُدْهَدًا.

سُورٌ مِنْ غَيُومِ الْخَرِيفِ، يُحَوِّمَنَّ فِي

رَأْسِ صَيْفٍ:

يَسْتَشِرُّونَ يَنَابِيعَهُ

وَيُؤَكِّدَنَّ مَا قَلَّتْهُ.

* لا أريد العراقيين مُلكاً،

لا أريدُ الولايةَ حتّى على كوكبٍ، فخذني

أيّها الشعرُ، خذني

إلى خيمةٍ، أو إلى وَرْدَةٍ.

(١) قيل في تنويع على الزواية التي تقدّم ذكرها: «لَمَّا أخذه القرامطة، حملوه على عدّة جمالٍ تفرّحت ظهورها، ولمّا رَدّوه، حملوه على جملٍ واحدٍ، ولم يُصبه أذى!».

- ع -

حَقًّا، كَأَنَّ الْكَوْنَ مُثْقَلِبٌ عَلَيَّ.

(١) «رُفِعَ إِلَى الْوَزِيرِ الْمَهْلِيِّ
رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ جَعْفَرِ بْنِ
أَبِي الْعَزِّ الَّذِي قُتِلَ عَلَى
الرُّنْدَقَةِ، كَمَا قُتِلَ الْحَلَّاجُ.
اتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَهْلَةِ
صَدَّقُوهُ فِي ادِّعَائِهِ الزُّبُرِيَّةِ،
وَأَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصُّدِّيقِينَ
تَنْتَقِلُ إِلَيْهِمْ. وَجَدْتُ فِي مَنْزِلِهِ
كُتُبًا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. كَانَ
مَعَزُ الدَّوْلَةِ يُحِبُّ الرِّافِضَةَ.
فَبَحَّهَ اللَّهُ!».

مَاذَا جَنَيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ؟ تَشْرُدُ

وَصِدَاقَتُهُ امْرَأَةً. فَقِيرٌ

لِلدَّمْعِ يَمْزِجُنِي بِنَبْعِ جَرَاخِهَا

لِغَلَالَةٍ

أَتَنَوَّرُ الْجَسَدَ الْبَهِيَّ وَرَاءَهَا

وَأُزِيحُهَا خَفِيرًا وَأَهْوِي

فِي لُجَّةِ الْجَسَدِ الْبَهِيِّ.

- ١ -

يَدْعِي أَنَّهُ الرَّبُّ^(١)؟

خُلُوهُ فِي شَأْنِهِ.

مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ إِنْ

قَالَ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْأَلُوهَةِ

شَخْصٌ:

إِنِّي وَجْهِي الْآخَرُ؟

قَدْ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ طِفْلٌ

أَوْ يُقَالُ كَلَامُكَ

مُسْتَفْزِعٌ، وَلَكِنْ،

لَا يُقَالُ لَهُ كَافِرٌ.

* لَا تَقُلْ هَذِهِ طَرِيقِي، أَوْ هَذِهِ طَرِيقُ،
إِذَا لَمْ يَكُنْ بِدَوُّهَا هُوَّةً.

- ف -

هَلَّا سَمِعْتَ هَدِيرَ مَوْجِي أَيْهَا الزَّمَنُ

الحطامُ

لا صوتَ يقدرُ أن يُحيطَ بما أحسُّ

ولا كلامُ.

بزغت نجومٌ في فضاء تشرُدي

ناجيتها،

وسألتُ عن أسمائها

لا نورَ أضغى للسؤالِ ولا ظلامُ.

- ٢ -

أَنْ يَجِيءَ نَبِيٌّ

أَوْ مَلَكٌ، وَيَنْزِلَ

فِي صَدْرِ شَخْصٍ

شَاعِرٍ أَوْ سَوَاءٍ،

حَدَّثَ مِنْ نِهَاءِ السَّمَاءِ،

نِهَاءِ الْبَشَرِ

حَدَّثَ لَيْسَ فِيهِ

مَا يَضُرُّ الْإِلَهَ،

حَدَّثَ يُتَنَظَّرُ.

* أَشْعَلُ قَنْدِيلًا، حَيْثُ ذَهَبْتَ،

وَلَا تَسْتَغْرِبُ

إِنْ لَمْ يَرَهُ إِلَّا عَمِيَانُ.

- ٣ -

نَفَخَ اللّهُ مِنْ رُوحِهِ

فِي جُسُومِ بَنِيهِ،

فَرَأَى بَعْضُهُمْ

أَنْ فِي رُوحِهِ نَبِيًّا

وَرَأَى بَعْضُهُمْ مَلَكَأً،

لَا مَسَافَةَ، لَا فَضْلَ

فِي نَشْوََةِ الْكَوْنِ،

بَيْنَ الْحُضُورِ وَبَيْنَ

الْغِيَابِ،

وَرَحِيقُ السَّمَاءِ رَفِيقٌ

وَصَبُورٌ

لِرَحِيقِ التَّرَابِ.

- ص -

أَهُوَ الْفَرَارُ؟ أَفَرُّ مِنْ حُلْمِي، وَمِمَّا كَانَ

لِي أَفْقًا، وَأَتْرُكُ مِصْرًا؟ عَفْوَكُ

يَا كَلِيمِي، أَيْنَ أَنْتَ؟ وَأَنْتَ يَا هَذَا

التَّخِيلُ أَجَبٌ، وَيَا ذَاكَ الْعَرَارُ.

أَتُرَى طَرِيقِي شَتَّتُهُ،

أَمْ شَاءَنِي؟

أَتَرَاهُ ضَوْءٌ مُسْتَعَارٌ؟

* لَا تَخَفْ غَيْرَ عِلْمِكَ،

يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ.

- ٤ -

شِزْرًا، طِفْلَةً

نظرت للمعلم، قالت:

لا أرى بين عينيك

أي ملاك.

قيل كان المعلم

يُزوي لها

أنه نجمة.

- ق -

ماذا أقول لمصر؟ كلاً،

لم أهُجِ مِصْرَ - سَخَرْتُ من حُكَّامِهَا

(لكنني أخطأت إذ ماهيتُ بين تُرابِهَا

ونظامِهَا).

لم أهُجِ مِصْرَ - هَجَوْتُ ذُلًّا

وضمائراً منخورة.

وهجوتُ عَرِشاً: ما شأنه

إن لم يكن ضوءاً يُسَبِّحُ وجهَ مِصْرٍ؟

* ربّما كان دُنْبي

عند أعداء شعري،

أَنَّنِي

لا أكنُّ لهم أيَّ شرٍّ.

بيني وبين النيل فاتحةً على غيب الجراح،

وبين شعري

والنيل سِرُّ غوايةٍ كُبرى، وبينهما انفجارُ

أبدٍ من المعنى تَقَمَّصَ أرضَ مِصْرٍ

مِثاقُهُ ماءً

وصورته من الماءِ الشَّراؤُ.

وأقولُ مِنْ وَلِيهِ، وأكتمُ غَيْرَتِي:

يا نِيلُ كيف يصحُّ أن تستقطبَ الدُّنيا،

وتعشِّقَ العناصرَ والفصولُ،

ولا أغازُ؟

الذاكرة

٣٤٠هـ.

- ٥ -

شاعِرٌ أَكَّدَ الأَصْدِقَاءُ

وأكدَ جِرائُهُ

أَنَّهُ، كُلُّ يَوْمٍ،

يَتَقَمَّصُ بِمُضْبَاحٍ مَا

كَانَ يُدْعَى زَقَاقُ

العُرُوسَةِ فِي حَيِّهِ

ويأوي إلى حانَةٍ.

قِيلَ مِنْ قَبْلِ عَنْهُ:

عَادَةً تَشْرِقُ الشَّمْسُ

فِي جَوْ بَغْدَادَ

مُسْلِمَةً خَضِرَها

لِهُوَ كَتَفِيهِ.

* قُلْ: نَعَمْ لِلطَّرِيقِ،

وَكَلَّا لِمَنْ شَقَّها.

- ش -

أَتَرَاهُ يَشْتَاقُ الْفِرَاتُ إِلَى حُطَايَ؟

تَرَى إِلَيَّ أَرْقَةً

فِي الْكَوْفَةِ ارْتَسَمَتْ عَلَيْهَا

آهَاتُ سَقَاءٍ؟ أُنْتَحَاجُ السَّمَاءَ إِلَيَّ،

كَيْ أَصَلَ النُّجُومَ بَلِيلَ جَدَّتِي الْبَعِيدِ،

وَكَيْ الْأَمْسَ غَيْبَ أُمِّي؟

هُوَذَا أَعُودُ إِلَيْهِمْ

هُوَذَا أَعُودُ بَلَا رَجَاءٍ وَبِدُونِ يَأْسٍ،

أَحْيَا غَرِيباً مِثْلَهُمْ

الشَّعْرُ كَوَكُبُنَا وَفَتَنَتُهُ الْمَدَارُ.

- ٦ -

انظروا هذه المِدفأة

حولها، حول جَمْرٍ

يتأجج في صدرها،

تتبادل روحيهما

وردة وامرأة -

فوق رأسيهما

ملاك

يغطينهما بأهدابه.

انظروا، ها هو

الملاك يوحد

وجيههما.

* ليلاً، حين أنامُ، يكون العالم في رأسي

مَعْنَى،

فلماذا، حين أفيقُ صباحاً

يصبح هذا المعنى صورة؟

- ت -

خمرُ الغيوبِ تَسِيلُ في جسدِ المكانِ،
شُعاعُها

جَسَدُ الهَوَاءِ: دمي رحيقٌ
مِمَّا تُعْتَقُهُ، وَأَيَّامِي جِرَارُ.

مِنْ أَيْنَ آخِذُ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَوْلَوْ عَرْشُهَا
طِينٌ، وَمَالِكُهَا غَبَارُ؟
أَتَرَى حَيَاتِي نَشْوَةٌ
طَاشَتْ وَطَاشَ بِهَا الْمَسَارُ؟

- ٧ -

طَبِيبَةٌ قَتَلَتْهَا

رِمَاحُ الْقَبِيلَةِ، لَكِنْ

هِيَ ذِي تَتَنَاسَخُ فِي حَانَةِ

كَانَ يَأْوِي إِلَيْهَا

نَوَاسِيتُنَا.

طَبِيبَةٌ تَتَنَاسَلُ

فِي مَاءِ أَحْزَانِهَا.

* يُوشِكُ مَنْ يَفْهَمُنِي حَقًّا،
أَنْ يَسْتَعْبِدَنِي.

الذاكرة
٣٤٠هـ.

- ث -

شَرَرُ الرَّحِيلِ لَبْسُهُ
وَبِنَارِهِ لَقَّحْتُ خَطْوِي: لَا قَرَارُ.

- ٨ -

أَلرُّوحُ رَحِيلٌ.
ماذا لو شاءت
أن تتوقَّفَ أو أن
تسكن في مفتاح
أو في قفلٍ؟

أَلرُّوحُ هواءٌ أو نورٌ
ولها أن تسكنَ أُنَى
شاءت.

أَهْنَاكَ ملائِكُ
ليس هواءٌ،
أو نوراً؟

* الوجودُ عطاءٌ:
أَعْطِ كِي تَتَيَقَّنَ أَنَّكَ حَيٌّ.

- ١ -

إنها الحرب^(١)

تغسل أروافها

بدم المسلمين!

- ٢ -

سمك الغرش

يسبح في

بركة من دماء،

والحياة جحيم

حيثما كنت في ظل

هذي العروش -

عروش العرب،

فازفري عالياً وأنشجي،

يا رياح اللهب.

- خ -

يا ذلك الوجه الذي رسمته أيامي على

جسد الحياة أنز خطاي أنز

هوائي

لي منك في الظن الجميل على فراشي شمعة

هوذا أدور بها وأكتبها،

وأقرأ ما تحباً من دفاترها،

وتسكّر باسمها لغتي، ويسكّر باسمها

حبي، ويسكّر ساعداي.

* لا ضياء،

إذا لم يكن آتياً من جراحك.

(١) «جرت حروب كثيرة في هذه السنة، بين المعمر الفاطمي، وصاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي».

- ذ -

أَلشَّمْسُ تَدْخُلُ فِي حِجَابٍ حَنِينِهَا -
حَانَ الرَّحِيلُ

ماذا؟ كَأَنَّ هَوَايَ مُنْشَقٌّ
وترحالي عليلٌ
في ساعدي قيودُ أحلامٍ
وفي قلبي طولٌ.

- ٣ -

فاطمي هنا، أموي
هنالك، والناس
في أمرهم، وفي غيهم
سأدرون،
ولماذا، إذن، لا يُربى
على الخُزْبِ أبَاؤُنَا
وأبْنَاؤُنَا؟
ولماذا
لا تُشَقُّ القُبُورُ
لنُشْرِكَ فيها،
ويُنْعَثَ
الميتون؟

* الدَّمْعُ طَرِيقٌ
تسلكه العينُ لتكتبَ فيه
ما لا تقدرُ أن تقرأهُ.

- ٤ -

فاطمِيّ هنا، أمويّ

هنالك: رُمُحْ

في اَفْتِنَانِ،

وسيفٌ

في عِباءة زُهوٍ.

يا بلادَ الكتابِ

وأسراره العالِيه،

زَتما فَاتَكِ الوَقْتُ:

هذي الحِياةُ التي

شَتَّتها،

لا طريقَ لها،

لا مكانَ سوى

الهاوية.

- ض -

عَنَيْتُ لِلْمَتَشَرِّدِينَ

أَلْغَاضِبِينَ عَلَى الْهَوَاءِ - يَهْبُ دُونَ رِسَالَةٍ

مِنْ طَائِرٍ أَوْ وَرْدَةٍ وَقَرَأْتُ شِعْرِي

لِلْفُضَاءِ - مَمْرُقًا بِحُدُودِهِ وَأَقُولُ لِلْمَتَجَبِّرِينَ،

فِي أَيِّ قَافِلَةٍ مَضَوْا مِنْ أَيِّ قَافِلَةٍ أَتَوْا:

نَامُوا وَرَاءَ سَيُوفِكُمْ،

نَامُوا أَمَامَ سَيُوفِكُمْ،

وَلَيْنَهُمْ كَذِبُ الْمَدَائِحِ فَوْقَكُمْ،

وَلْيَصْطَخِبْ قَالٌ وَقِيلٌ،

فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْجَمِيلَةِ

وَحَدَهُ، يَبْقَى الْجَمِيلُ.

* عَبْتُ الْوَاقِعِ عَالٍ

لَا يَقْدَرُ أَنْ يَبْلُغَهُ حُلْمٌ.

- ظ -

أَلْوَحْدَةُ اتَّكَأَتْ عَلَى أَوْجَاعِهَا
وَالضُّوءُ يَقْرَأُ جُرْحَهُ
لِكَوَاكِبِ اللَّغَةِ الْبَعِيدَةِ.

- ه -

أَمَوِيَّ هُنَا، فَاطِمِي
هُنَالِكَ: يَا هَذِهِ
الْأُمُّ، يَا أَبْجَدِيَّةَ
تَارِيخِنَا الدَّابِغَةِ،
لَمْ نَعُدْ فِيكَ إِلَّا
ثَعْلَةً شَكِلَ:
نَحْنُ تَمَثَّلُكَ الْعَجِيزُ
وَجَزَقْتُكَ اللَّامِعَةُ.

فِي كُلِّ شَيْءٍ بَحْثٌ
وَالْأَفُقُ مِنْكَسِرٌ: حَضَنْتُ
هَوَاجِسِي،
وَدَخَلْتُ فِي كَنَفِ الْقَصِيدَةِ.

* لَا جَحِيمٌ، لِيَعْرِفَ كَيْفَ يُحْسُنُ بِنَارِكَ،
أَوْ يَرْتَقِيَ إِلَيْهَا، أَيُّهَا الْعَاشِقُ
لَا نَعِيمٌ، لِيَعْرِفَ كَيْفَ يُحْسِنُ بِنَشْوَتِكَ
الْكُوكَبِيَّةِ، أَوْ يَرْتَقِيَ إِلَيْهَا، أَيُّهَا
الْخَالِقُ.

- ٦ -

فاطمي هنا، أموي

هنا لك: والتأس

في حيرة ساهمون.

أنقول السلام على

أرضنا

أنقول وداعاً لتاريخنا؟

وأنا لست إلا سؤالاً،

هل لديكم جواب

أيها العارفون؟

- غ -

لا حدود لِمَسْرَى هَوَايَ. الحنينُ رداء.

أتخيّل ما تهمسُ الأرضُ،

ما يجهرُ البحرُ،

ما ستقولُ النجومُ.

سيكونُ افتِنَاناً أن تسيرَ بي الأرضُ

حرّاً غريباً

قدماً في الثرى، قدماً في الثريا.

أتبعثرُ في فَلَكَ من ظنونٍ

وأسائلُ من أين جئتُ إلى أين أذهبُ،

عرَافةُ النجومِ.

* من يقولُ: القصيدةُ ليلٌ

وعزلةٌ مُستوحِدٍ في سَفَرٍ؟

أَلقصيدةُ أرضُ البشرِ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



VI. غُور

أَتَخَيَّلُ بَغْدَادَ، لَكُنَّي أُحْيِي
حَلَبًا، وَأُحْيِي كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - تَرَصَّدُ
كَيْفَ تَعْجُنُ بَغْدَادُ أَحْزَانَهَا
فِي الْمِيَادِينِ، فِي كُلِّ حَيٍّ، وَفِي كُلِّ بَيْتٍ
وَتُزَاوِجُ بَيْنَ الرَّغِيفِ وَأَحْلَامِهَا وَالسَّهَرِ.

لَوْ تَرَصَّدَتْهَا،
لَصَنَعْتَ مِنَ اللَّيْلِ قِيثَارَةً وَغَنَيْتَهَا
وَتَمَثَّلْتَ فِيهَا هَوَاكَ وَمَهْدْيَكَ الْمُنتَظِرَ.

لم تتركِ إثمًا
إلاَّ علّمتِ جراحِي أن تُثَقِّنه
مائي ظمًا
ودمي لجُجٍ مِن حيتانٍ .
لكَ عَهْدِي - أنْ أَبْقَى
أَتَعْلَمُ كَيْفَ سَأُولَدُ، كُلَّ نَهَارٍ،
بِاسْمِ الحُبِّ،
وَكَيْفَ سَأُحْيَا .

٣ - تجويف

ليس هنالك، حيث وُلِدَتْ،
وحيث سَتُقَبَّرُ، إلَّا
تَجْوِيفٌ يُنْفَخُ فِيهِ
مِنْ رُوحِ غِبَارِ شَيْخٍ
طِفْلٌ قَامُوسِيٌّ.

هل يُزْهِرُ صَخْرٌ حَقًّا
إِنْ لَامَسَهُ رَبٌّ؟

عندما تعبرُ

يُكْسِرُ الصَّوْءُ فِي خَطَوَاتِكَ،

وَالشَّمْسُ تَفْتَحُ أَحْضَانَهَا

لِكِتَابِ الْجِرَاحِ وَأَسْرَارِهَا،

عندما تعبرُ

فِي زِقَاقِ تَعَلَّمَتُهُ خُطْوَةً خُطْوَةً،

أَوْ إِلَى جَنْبِ مِثْدَنَةٍ نَمَتْ فِي ظِلِّهَا،

أَوْ قِبَالَ بَيْتِ مِنَ الطِّينِ آخِيَتُهُ - وَلَكِنْ،

قُلْ، لِمَاذَا

عندما تعبرُ

لَا تَلَوِّحْ، لَا تَنْظُرُ؟

حَلَبٌ - كَيْفَ صَارَتْ
أَنْتِ يَا مَنْ شَبَبْتَ عَلَى زَهْوِهَا
وَتَشَبَّيْتَ بِالكَوْنِ فِيهَا؟

الْغَبَارُ فَمَنْ يَشْرَبُ الضُّوءَ
وَالشَّمْسُ تَرْتِي قُوقًا.

أَتَرَاهَا الْأَرَائِكُ مَحْشُوءَةً رُؤُوسًا؟
وَمَا هَذِهِ الْجِسْمُ الَّتِي تَتَوَحَّشُ،
مَا هَذِهِ الرُّؤُوسُ الَّتِي تُرْكَلُ؟

جَحْفَلٌ مِنْ عِظَامٍ يَغِيبُ
لِيُظْهَرَ فِي إِثْرِهِ جَحْفَلٌ.

يَقْرَأُ الْقَصْرَ وَالشَّعْرَاءَ وَأَهْلَ السِّيَاسَةِ، طَبَّاحُهُمْ:

أَعْطَاهُ صُرَّةً،

أَعْطَاهُ مَنْزِلًا، أَوْ حَصَانًا،

أَعْطَاهُ رِيشَةً وَدَوَاةً،

وَقِدْرًا

لِلْحَسَاءِ، وَخُذْ مَا تَيْسَّرُ

مِنْ حَشْدِ هَذَا الْوَرَقِ.

وَرَقٌ قُرْشِيٌّ

مَنْ تَرَى يَتَجَرَّأُ أَنْ يَتَوَسَّلَ طَبَّاحَهُمْ

كَيْ يَكُونَ رَفِيقًا بِهَذَا الْمَرْقِ؟

٧ - إِنَّهَا

إِنَّهَا - لا تردّد، لا شكّ في ما أقول - السّماء
فوق بغداد، في حلب، في دِمَشقِ
وعلى ضِفّة النّيل، ترعى
وتحرسُ عَرشَ الخِلافةِ،
والوارثين،
وغُلَمائهم.

إِنَّهَا إِنَّهَا السّماء:

في يَدِ حَنْجَرٍ،
في يَدِ بَبْغَاء.

٨ - أبداً

أبداً، لو تَوَضَّأتْ بِالْعِطْرِ،
لو أَنَّكَ الْعِطْرُ،
باركتْ أَيْامَنَا وَبَارَكُنَا
بالكلام الذي سُمِّيَ الْوَحْيِ،
أو بالتراب الذي لا يزال على وجهه
أَرْجُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَثَارُ أَقْدَامِهِمْ،

أبداً،
لن يَكُونَ لتاريخِ مَعْنَاكَ إِلَّا
شَكْلُ مُسْتَنَقِعٍ.

٩ - نقائص

ما تُرانا نقولُ هنا الآنَ في المرءِ - هذا الذي

تتحيّرُ فيه البصائرُ: جَمْعُ

من نقائص. ذاتُ

تتقنُّ حتّى لتلبسُ كلَّ قناع. جُزَيءُ

يحتوي الكلُّ. يُخلَقُ لكنه خالقٌ.

عاقِلُ والجنون هواءٌ له. واهِمُ

غيرَ أنّ له بصراً من حديد،

حائِلُ ثابتُ.

ما تُراك تقولُ هنا الآنَ فيه -

أنتِ، يا عقلي الصّامتُ؟

يَضْحَكُ النَّيْلُ أَمْ ذَاكَ طِفْلٌ
لَهُ النَّيْلُ وَجْهٌ؟

رَقَصُ مَوْجٍ
وَفِي الْعُشْبِ، فِي الضَّفَّتَيْنِ، عِيُونٌ
تَتَلَمَّسُ أَحْلَامَهَا،
وَقَامَاتُ ضَوْءٍ، وَأَكْفُ تُصَفِّقُ. عِيدٌ.

عَاشِقٌ مَمْسِكٌ بِيَدَيْ شَمْسِهِ:
يَلْبَسُ الْفَجْرُ ثَوْبًا
حَاكَهُ مِنْ بَرَاعِمِ أَزْهَارِهِ.

آه، يَا ذَلِكَ الْحُبِّ. مِنْ أَيْنَ تَأْتِي إِلَى كُوخِ أَيَّامِكَ الْبَاكِئَةِ
هَذِهِ النَّجْمَةُ الْعَالِيَةُ؟

VII

فاصلة استرجاع

(المتنبي يخاطب امرأ القيس)

التَّخِيلُ يَفْتَحُ لَكَ الطَّرِيقَ حَيْثُ تَعْبِرُ نَاقَةً تَشْبُهُ الْكَلَامَ . أَلْهَذَا
سَمِيَتْ الْحَبُّ غَزَالَةً رَحَّتْ تَطَارِدُهَا وَتَرَكْتَ أَنْحَاءَكَ
تَشَبَّهَ بِالْأَفْقِ وَنَفْسِكَ «تَسَاقُطُ نَفُوساً»؟
«الْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ» :
عَرَفْتَ كَيْفَ تَرْقُصُ مِنْفَرِداً ، وَكَيْفَ تَصْنَعُ لِمَوْتِكَ فِضَاءً .

حِينَ تَنَاءَتْ «فَاطِمٌ» ،
خَرَجْتَ أَحْزَانُكَ وَرَاءَهَا تِلَالاً .
أَنْتَ الْآنَ مُفْرَدٌ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَكَ :
هَلْ أَحْزَانُكَ لَكَ ؟
هَلْ أَنْتَ أَنْتَ ؟

خدعتك «فاطم» -

مَنَحْتَكِ كُلَّ مَا لَيْسَ مِنْهَا.

خَانَتَكَ وَلَمْ تَهْجُرَكَ:

هَكَذَا، غَالِبًا، يُوَلَّدُ الْحُبُّ.

- غَدِيرٌ عَارٍ:

نِسَاءٌ

يَلْبَسْنَ

الْمَاءَ.

- هَلْ الْحَيَاةُ امْرَأَةٌ تَعِيشُ

فِي غَابَاتِ

الْمَجَازِ؟

فِي «الْمُلْكِ الَّذِي حَاوَلْتَهُ»، وَتَرْكْتَهُ تَائِهًا، يَمْتَدُّ

شَهِيقٌ يَحْمِلُ تَارِيخَكَ:

الْعَمَلُ حِصَاؤُكَ الَّذِي اكْتَمَلَ،

وَالْحَلْمُ الزَّرْعُ الَّذِي لَا يَكْتَمَلُ.

- كَانَ فَارَسٌ

الْهَجُومِ،

لِهَذَا

خَانَتَهُ

الْأَشْيَاءُ الْهَارِبَةَ.

إِنهَا الصَّحْرَاءُ لَا تَشِيخُ وَهِيَاهُ أَنْ تَرْتَوِي

بِمَاءِ كَلِمَاتِكَ.

- أَلَيْسَتْ الْغَيْمَةُ

الصَّيَادَ الْوَحِيدَ

الَّذِي يَمُوتُ

لِتَحْيَا

طَرِيدَتُهُ؟

هَا هُمْ «الْحُرَّاسُ» يَسْتَسِرُّونَ فِي الْهَوَاءِ

هَا هُوَ «الْقَتْلُ» بِسَاطِ الْمَسَافَاتِ

قُلْ لِمَاحِبِكَ: «لَا تَبِكِ»، وَضَعْ خَدَّكَ عَلَى التُّرَابِ.

حولك رياحُ

وفي مكانٍ ما، بقرةٌ وحشيةٌ تزفر حنيئاً.

مع ذلك لا تزال شفتاك بين حروفك،

وما زلتَ معنا،

تهجمُ، وتجوّبُ المفازات.

«مَوْجُ هو اللَّيْلُ، والصَّبَا حُ لَيْلٍ آخِر»،

«ذراعك تضيقُ أن تقومَ فتلبسَ رداءك»،

وها هي الرِّيحُ تَنْسُجُ المكان.

خَطَّطْ لهذه النهاياتِ حروبَها، واستبسلْ.

سيكون الرَّمْلُ فخوراً حين يغمركَ،

وسوف ترقصُ الرِّيحُ.

- هل

الغبارُ

يكتبُ

الرِّيحُ،

أم

الرِّيحُ

تكتبُ

الغبارُ؟

أعطيتَ أطرافكَ للأقاصي ما زجاً بين الشمسِ

ولهبك: هكذا وسَّعتَ حدودَ سجنِكَ.

أيُّ عُرِّي في أن تشاهدَ الصَّحراءَ تلبسُ

أحلامك!

أَيُّ حَرِيَّةٍ فِي أَنْ يَكُونَ الْهَوَاءُ حَصَارًا!

أَنْتِ الْآنَ تَتَشَرَّدُ فِي قَبِيلَةِ الصَّمْتِ، وَالشُّعْرُ وَحْدَهُ
يَسْتَعِيدُ صِرَاحَكَ فِي مَجَالِسَ اللَّيْلِ وَالطَّيِّبِ
حَيْثُ تَغْتَصِبُ اللَّذَّةُ لُطْفَ السَّمَاءِ وَتَتَصَالِحُ مَعَ
السَّرَابِ الْنُبُوءَاتِ

مُخَالَفٌ مُنَازِعُ:

أَيُّهَا التَّائِهُ كَيْفَ تَقْوَدُ غَيْرَكَ؟

قَوْسُ قُرْجٍ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ:

إِنَّهُ شِعْرُكَ يَنْزِفُ الضَّوْءَ.

- ١ -

فتنة تتواصل. قتلَى.

شيعة. سنة.

وهذا

نصف جز. وهدي

نصف شيطانية،

والبقية

صور تأله في

نسخ آدمية.

- أ -

وَطَنٌ تَدْحَرْجُهُ عُرُوشُ اللَّهِ،

هَلْ يُجْدِي الْمَقَامُ لَكِي نُغَيْرُهُ؟

وهل يُجْدِي الرَّحِيلُ؟

فَلَا حَتْفُ بِهَوَاهُ،

وَلَأَهْمَسُ لِقَلْبِي: كُلُّ جَرِحٍ

وَطَنٌ لِنَبْضِكَ، أَوْ دَلِيلُ

وَلَسَوْفَ تُؤْوِيكَ الْغَيُومُ كَرِيمَةً

وَلَسَوْفَ يُسَعْفَكَ النَّخِيلُ.

* فرحي طاغ:

أَلْهَذَا لَسْتُ سَعِيداً

فِيمَا أَتَنَسَّمُ عَصْرِي؟

- ٢ -

مُنْبِذُ الْكَرْخِ

مُنْبِرُ أَحْزَانِهِ

شَارِدٌ وَارِدٌ.

والجموعُ على عهدِها

تتضوّرُ حُزْنَاً

وجوعاً.

إِمْحِي واخْرُجِي

من تهاويلك

التيزكية

أيها الهالةُ الماضويةُ.

- ب -

عجباً! نَهَارِي كَيْفَمَا عَايَنْتُهُ

ظَلَمَاتُ شَاكٍ

وَيُضِيئُنِي،

وَيُضِيءُ ظَلَمَةً شَكِّي اللَّيْلُ الطَّوِيلُ.

رُذِّي عَلَيَّ غَطَاءَ حَبِي

رُذِّي إِلَيَّ غَوَايَتِي -

يَا فِتْنَةَ الدُّنْيَا، أَنَا وَجَحِيمُ عَطْرِكَ وَاجِدٌ

والمستحيلُ.

* رَبُّ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرِي

لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي،

أَيَقْنْتُ وَأَوْقُنْ فِيهِ.

- ٣ -

عاشِقٌ يتسلّق

ضوءَ النجوم إلى

حبّه،

أخذته فجأة، بين أنيابها،

فتنه العرش والدين.

أحرق

ما تبقى: أغانيه.

أشلاءه الباردة،

أيها الشرطي الذي

يحرس المائدة.

- ج -

هُودًا أعانق حيرتي

وأرى إلى زمني يدور كأنه

كرة من الورق العماء،

يجرّها جبرّ عماء،-

الأرض وارثه السماء؟ خرافة.

ما أفقر الأرض التي ترث السماء.

* أرضنا كرة من ترابٍ

وهذي

قدم الله تلهو بها، وخدّها.

- ٤ -

بَعْدَ طَعْنِ هُنِيءٍ،

أُبْحَرَ الرُّمَحُ فِي

الْغَيْمِ، نَحْوَ السَّمَاءِ

كَيْ يُرَكَّبِي

سَيْئُهُ، وَيُرَوِّي

سَافَهُ وَيَدِيهِ

بِرَحِيْقِ الْمَلَائِكِ

وَالْأَنْبِيَاءِ.

- ٥ -

مَدُنْ تَصِيْرُ مَقَابِرَ

وَحُطَيِّ تَصِيْرُ دَيْبَبِ نَمْلِ.

حَيْثُ تُدَيِّي نَجْمَةٌ

وَطَوِيْتُ تَحْتَ عِبَاءِ تِي وَرَقاً ضَنِئاً

أَوْدَعْتُهُ مَا كَانَ بَيْنَ دَمِي وَهَجَرَتِهَا النَّبِيَّةُ.

أَقُولُ هَذِي سَقَطَةُ الدُّنْيَا، تَمُورُ تُخَوِّمُهَا

بِجِحَافِلِ الْمَوْتَى،

وَتَرْتَطِمُ الضَّحِيَّةُ بِالضَّحِيَّةِ.

* أَسْأَلُ: مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْنِي

أَيُّ كِتَابٍ لَمْ يَقْرَأْنِي؟

- ه -

«أهناكَ شَيْطانٌ يرُوّعُنِي؟» سألتُ

سريرتي،

وأخذت أَوغلُ في مَخيلَتي - أجسُّ

وريدَ حَبِّي،

وأقولُ، مِن ضَجَرٍ، كغيري:

رَخوٌّ هو الحَبْلُ الَّذي يَصُلُّ الفَجِيعَةَ بالرَّجاءِ.

وأقولُ مِن يَأْسٍ، كغيري:

نامَتْ نواطيرُ المَدينَةِ في طواحينِ الهِواءِ.

- ه -

كوكبٌ - بُنَّةٌ:

هو في عَينِ مَحمودٍ

وَجْهٌ

هو في عَينِ حَمدانَ

تُفاحَةٌ

فلماذا تَكونُ الطَّريقُ

إليه،

دَرْجاً مِن دِماءٍ

صاعِداً هابِطاً؟

شَغفي كوكبُ آخَرٍ

يَجيءُ إلينا

بطيئاً على فيلهٍ.

والطَّريقُ إليه

دَرْجٌ مِن وُروُدٍ.

* وَحدَهُ، الغَيبُ، يَقدِرُ أن يوقِفَ الهِواءَ

على رأسِهِ:

هل يُتَاحُ لِشَكي

أن يَرى هَذه المَعجَزة؟

- و -

أَتَعْجَبُ مِنِّي : لماذا، جسدي شائع، وحبِّي طفلٌ؟
ولماذا

جسدي، رُغَمَ أهواله، جامعٌ،
وروحي في صُورَةٍ لا تُشَبِّهُ؟ سيُري
نُحوهم، يا خُطاي -
إلى هؤلاء الذين يدُقُّونَ بابَ
الرَّجاءِ، يعيشون في ظلِّ أحلامهم.

واحدٌ نحنُ :

حُبِّي،
والكونُ لا يَنْتَهي .

- ٦ -

نهضتُ شمسُ هذا
الصباح، رأيتُ جسم
بغداد أحمر،
والناس في شُغلٍ
فاكهين .

إنَّه القَتْلُ يولمُ
أُتْقاضُهُ،

إنَّها الحزْبُ تستنفرُ
الجانعين !

* غَيْرَ الوَقْتِ كَرَسِيَّهُ

والدَّقائِقُ نَحْلٌ - خَلَايَاهُ فِي كُلِّ حَقْلٍ .

- ز -

رَحْتُ أَوْهَمُ صَحْبِي

أَنْنِي رَاغِبٌ فِي مَقَامِي، وَلَكِنْ

كُنْتُ فِي وَحْدَتِي أَهْيَى سِرّاً

لِلرَّحِيلِ بِلَطْفٍ وَرِفْقٍ.

أَشْكُرُ الرَّمْلَ - فِيهِ دَفَنْتُ رِمَاحِي،

وَحَمَلْتُ عَلَى الْإِيلِ الْمَاءَ فِي اللَّيْلِ زَاداً

لِعَشْرِينَ يَوْماً.

قَلَقِي كَالسَّحَابِ يَقِيسُ السَّمَاءَ بِأَشْلَاتِهِ.

* زَمَنِي غَابَةٌ مِنْ خِيوطِ

لِعَنَاكَبَ مِنْ كُلِّ جَبَرٍ،

وَأَنَا طَائِرٌ يُقَلَّبُ فِيهَا.

الذَّاكِرَةُ

٣٥٠هـ.

- ٧ -

أُتْرَى ذَاكَ مَا قَالَهُ

الدِّينُ:

إِمَّا هُنَاكَ، وَإِمَّا

هُنَا؟

قِسْمَةُ مُرَّةٍ

وَحِيارٌ عَقِيمٌ.

مَنْ تُرَى أَنْتَ،

إِنْ لَمْ تَكُنِّي أَنَا؟

- ح -

إِنَّهُ الْعِيدُ(*)، وَالنَّاسُ «فِي شُغْلٍ فَاكْهُونُ»،

وَالْأَمِيرُ وَحَرَّاسُهُ

فِي ابْتِهَاجٍ وَفِي عَفْلَةٍ.

جَاهِزٌ كُلُّ شَيْءٍ،

وَطَرِيقِي بَيَّتْهَا.

الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ وَهُمْ غَافِلُونَ.

* تَعَبٌ - لَا أَقَايِضُ هَذَا التَّعَبُ

لَا بِمُلْكٍ عَلَى الرَّافِدِينَ، وَلَا بِالذَّهَبِ.

(*) عيد الأضحى، وعشية
العيد بالذات كتب قصيدته
«عيدُ بأية حالٍ...»، وانتَهَزَ
انشغال كافور والناس بالعيد،
ليرحل.

- ٨ -

أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّابُ

أَيُّهَا الْمَتَسَكِّعُ فِي

كُوفَةِ الشَّعْرِ،

مُسْتَرَشِدًا

بِأَرْقَةِ أَحْلَامِهَا،

رَبَّمَا، كُلُّ مَا قَالَتْ

التَّبَوَاتُ خَيْرٌ.

وَلَكِنْ،

كُلُّ مَا قَالَتْ الْحَيَاءُ

جَمِيلٌ، وَيؤكد هذا

خِبَارِي،

مَا خِبَارُكَ يَا أَيُّهَا

الْوَالِدُ،

أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّابُ؟

- ط -

هِيَ بَلْبِيسُ: عبد العزيز بن يوسف^(*) ضوء
في ظلامي - ضوء صديق.

- ٩ -

النبى الذي كان،
من حكمة،
مُسْتَطِيلًا،
يُصْبِحُ الآن، مِنْ
حيرة، كُرويًا.

طَبَّبَ لَيْلُ هَذَا
الْفَاحِ
بَيْنَ بَاهِ الْغَنَاءِ
وَبَاهِ الثَّوَاخِ!

* رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْحَجَرُ
قِطْعَةً مِنْ شَهَابٍ هَوَى.
رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْغَمَامُ بَرِيدَ الْمَطَرِ.

(*) كان الشاعر يعرفه، وقد
نزل عنده في بلبيس، فأكرمه
وأرسل معه دليلاً.

- ١٠ -

دجلة - متخف سائل

للزقوس التي ألقيت

فيه، باسم الخلافة،

أو باسم نور الإله.

دجلة يشهد رغباً:

فمه من حديد،

ومن ذهب راحة!

- ي -

جِسْمِي (*) - أرض نخل، طيبة وندى فجر

محمول بين شفاه نساء يغزلن

الضوء، وقوم فزارة - ما أكرمهم.

لكن، خير أن أرحل، يبدو أن فساداً

يسري بين عبيدي.

رأس الصوان وراء خطانا

رأس حصان بوح ونام - الأفق نداء.

* كلما قلتُ للشمس: لا تشربي ماء حبي،

دهن الليل جسمي بمرهم أحلامه.

(*) جسمي موضع جميل

يكثر فيه النخل.

ورأس الصوان اسم

لموضع آخر.

- ١١ -

إنها ريشة الشمس

تكتب في دفتر الضوء:

«قولوا

للمحبين، للرافضين، لأهل

التمرّد، للخارجين وأصحابهم،

إنهم فتنة اللّغة العالية

في حناجر أئامنا الآتية».

- ك -

جَسَمِي - كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّهِ مِنْبَسِطٌ

على المدى، وجراحاتي قناديلُ

تهبّ خيلي كمثّل الرّيح غامرة

وَجْهَ الشُّرُوقِ، وفي صدري صدَى وهوى

لدجلة، للفرات السّمح يرفده

حبّ ورفض وتنزّل وتأويل.

أَرْضُ العراق تباريح على طُرقي

وفي عروقي وأحشائي تراتيل.

* أَلْتَوَافُذُ تَصْطَاذُ صَيَادَهَا، -

كان طَيْرٌ تَنْزَلَ مِنْ كَوَكِبٍ غَامِضٍ

يَتَخَبَّطُ فِي قَفَقَصٍ مِنْ نُحَاسٍ

جرفته التّوافذُ في دَمْعِهَا،

وفي ريحِهَا.

- ل -

دومة الجندل (*) -

صخرة؟ رأسُ شخصٍ مرَّ والتهمةُ

شياطينه؟

أم تُراها صورةً بينَ بين؟

في الفضاءِ نوافذُ من كلِّ ريحٍ
والسَّماءُ تغيَّرُ قمصانها - السَّماءُ تواكبُ

ترحالنا،

جسداً عارياً

وذراعين ممدودتين.

* وضع الغسقُ الوردِيُّ يديه

فوق جبيني، -

من خاصرتي

يَهْمِي عَرَقٌ وَيَسِيلُ غبارٌ.

الذاكرة

٣٥٠هـ.

- ١٢ -

المدائنُ مخنوقةٌ، -

أرضها غابةٌ من

عظامٍ،

والتُّخومُ يَنابِيعُ

حمراء - حقاً،

موتك الآن،

يا أيها الخليفةُ،

يا أيها البائسُ،

أَنَّكَ القائدُ الأمينُ

لقطعانٍ هذي

المدائنِ،

والحارسُ.

- م -

إِبلِي تَضْرِبُ الثِّيَّ مِنْ أَوَّلِ
 إِبلِي غَابَةً مِنْ رِمَاحِ
 إِبلِي تَتَأَلَّفُ مَعَ غَيْمَةٍ رَاحِلَةٍ
 وَتَقُولُ لِلَّيْلِ الْعِرَاقِ أَنْتَظِرْنِي فِي
 فَيَّءِ شُبَاكِهَا،

بعد أن تعبر القافلة.

- ١٣ -

شَعُوذُ الْفِيلْسُوفِ
 الَّذِي يَتَكَلَّمُ سِرًّا
 مَعَ جَنَاحِي يَمَامَةٍ،

فَاتَّعِظُ،

لَا تُرَدِّدْ كَلَامَهُ!

* رَحَلَ الْعَاشِقُونَ كَمَا تَرَحَّلُ النَّارُ

مِنْ لَيْلِ صَوَانِهَا، -

وَرَقُّ الْأَسْرِ يَقْضِمُ أَظْفَارَهُ بَاكِياً.

الذاكرة

٣٥٠ هـ.

- ١٤ -

فقهاء؟

حسنًا، يعرفون من

الكلم المنيب أعشاشه

والطبور التي

تناسل من بيضها

والمصيده،

ألهذا

يجرؤون على الشعر؟

دغر

يتشرب أعضاءهم

كلما واجهوا قصيدة!

- ن -

(*) اسم موضع .

نخل . موضع ماء لا نحتاج إليه،

لا نحتاج لأي خفير .

بعد قليل،

نأتي لنقاب (*)، وهناك سنسأل

أي طريق

بعد نقاب نسلكه؟

الشمس تغازل خلف النخلة

عيني ضب .

* لم أزل

مثلما عودتني ضفافك، أسبح في

لغة ماكره،

يا فضاء الطفولة، أيتها الذاكرة.

(*) موضع مَرّ فيه المتنبي .

- س -

تُرْبَانُ(*) - أَيْنَ الْعِرَاقُ الْآنَ، يَا إِبِلُ؟
ما هذه الأرضُ؟ نَامَ الذُّلُّ فِي دِمِهَا
فِي نَبْضِهَا، وَتَسَاوَى الْبَحْرُ وَالْوَشْلُ.

الذّاكرة

٣٥٠هـ.

- ١٥ -

شاعِرٌ فلكيٌّ

يَتَسَكَّعُ

فِي أُمَّةٍ لَاهِيَةٍ

وَيَقُولُ الْخِلَافَةُ بَيْتٌ

لِتَقَالِيدِهَا الْبَالِيَةِ.

هُوَ ذَا - يَتَقَنَّ فِي

جَرِّهِ شُرْطِيٌّ.

تُرْبَانُ، أَوْقُظْ مَيًّا - أَنْتَشِي فَرَحًا

بِرَبْعِهَا، وَبَغِيلَانِ

وَأَحْتَفِلُ.

* دَخَلَ الضَّوءُ فِي رَقْصِهِ، -

الْتَرَابُ يُسَائِلُ عَنْ وَرْدَةٍ

لَمْ يَسْلَمْ عَلَيْهَا أَمْسٍ سَقَاؤُهَا

وَالسَّمَاءُ تَرشُّ عَلَى الْأَرْضِ مِلْحَ

مَوَاعِيدِهَا.

(*) موضع مرّ فيه المنني .

- ع -

أَلْبُويرةُ (*) نَقَرُ على بابِ قَفَرٍ .
أَلْبُويرةُ أَلقت على الرَّمَلِ جَعبةً أَحلامِها
وَنامَت .

طَلَلُ دارِسٍ وآثارُ نارٍ ، -
رَبِّما تُولَدُ الأرضُ مِن أَوَّلِ
في بَقايا رَمادٍ .

الذاكرة

٣٥٠ هـ .

- ١٦ -

«شاعرٌ

هاربٌ

من ضجيج الرُّعاعِ

سِجْنُهُ - وحدهُ

الطَّرِيقِ إلى نفسه

في الظَّلامِ الذي

يَتَكَاثَفُ من حوله ؛

سِجْنُهُ وحدهُ الشُّعاعُ» .

هكذا أَرخُوا

للحياة التي عاشها .

* نَبَتَ الشَّعْرُ في رَأْسِ هذا الحَجَرِ
بِاسْمِ مُسْتَقْبَلٍ مُتَتَظَرٍ .

- ف -

(*) اسم موضع .

هذه أرضٌ نَجْدٍ
وَبُسَيْطَةٌ (*) فيها وطنٌ لِمِهاا والتعام .

الذاكرة

٣٥٠هـ .

- ١٧ -

وأكاد أرى طيفَ ليلي
وألمسُ أردانه الطويله
وأكادُ الأيسُ قيساً .

قال : « أعطيكُم

الخلافة ، أرض

الخلافة ، سلطانها ،

وما قبلها وما بعدها .

وطنٌ فارغٌ من هُذاءِ العقولِ ومن
هَذَيانِ الكلامِ ،
وطنٌ للوحوشِ الجميله .

لا أريدُ سوى أن

تعيدوا إلي ذواتي

وجبري ،

لا أريدُ سوى

وُحْدَتِي .

* ألفيافي تُترجمُ خيلي
وَخيلي تُترجمُ حرّيتي .

كانَ يَرنو إلى

السيفِ كيف يُفرّقُ

بين الرُّؤوسِ

وأعناقها .

- ١٨ -

«أَعْطِنِي جُرْعَةً مَاءٍ

وَحْذِ الْعَالَمَ.

لَا أَعْرِفُ. مَاذَا

قُلْتَ؟ لَا أَعْرِفُ.

كَلَا،

وَطَنِي جِلْدِي،

وَلَا أَمْلِكُ إِلَّا

كَلِمَاتِي».

- ص -

كَانَتِ الشَّمْسُ فِي عَقْدَةِ الْجَوْفِ (*) تَشْرَبُ

مَاءَ الْجُرَاوِيِّ (*)، حِينَ هَبَطْنَا عَلَيْهَا.

شَرَبْنَا. شَرِبْتُ نَوْقُنَا وَأَفْرَاسُنَا.

عَقْدَةُ الْجَوْفِ تَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ جِئْنَا؟

تَحَاوَرُ أَحْزَانُنَا، وَنَفْهَمُ مَا لَا تَقُولُ،

وَنَفْهَمُ مَا لَا نَقُولُ.

عَقْدَةُ الْجَوْفِ تَغْزُلُ أَبْهَى عِبَاءِهَا

مِنْ رُغَاءِ التِّيَاقِ وَمِنْ حَمَحِمَاتِ الْخِيُولِ.

* أَرَقَّتْنِي الْوَحُوشُ الَّتِي تَتَقَافَزُ بَيْنَ الْوَرَقِ،

هَلْ سَيَبْقَى طَوِيلًا،

أَيُّهَا الرَّبُّ، هَذَا الْأَرَقُّ؟

(*) موضع، والجُرَاوِيُّ نبع.

- ١٩ -

- «هَرطوقي، مَنْ

يَقْتُلُهُ،

يَعْلُو بِاسْمِ اللَّهِ،

- دَعْوَةٌ

لَنْ يَعْلُوَ حَتَّى عُسْبُ

يُسْفَى

مِنْ شَرْيَانِ

هَرطوقي».

- ق -

أَتْرَاهَا الرُّهَيْمَةُ(*) وَجْهٌ

لَشَقَاءٍ تَلَاشَى؟

أَتْرَاهَا تَوَدَّعَ أَيَّامَهَا الْحَزِينَةُ؟

دَجَلَةٌ وَالْفَرَاتُ نَشِيدَانِ

وَالْعُشْبُ يَرْقُصُ:

لِلأَرْضِ عِيدَانِ، عِيدُ السَّوَادِ

وَعِيدُ الْمَدِينَةِ.

* أَيُّهَا الْوَاقِعُ،

مَا الَّذِي يَجْرَحُ الصَّدْقُ فِي رَتِّيكَ،

وَمَاذَا يَضِيرُكَ نَوَازُهُ الطَّالِعُ؟

شَاطِئَانِ - الْبَقَاءِ، الْخُرُوجُ: الزَّبَدُ

مَوْكِبٌ مِنْ كُرَاتٍ. وَمَرْسَى

لِيعَاسِيْبَ تَبْحَثُ عَنْ خُبْرِهَا.

يَتَحَيَّلُ قَيْنَةً، وَيَطْفُو

مَثَلُهَا -

لَا اتَّجَاةٌ

لَا مَدَى

لَا أَحَدٌ.

الذَّكْرَةُ

٣٥١ هـ.

قَاتِلٌ يَتَمَرَأَى

فِي خَنَاجِرٍ

أَسْلَافِهِ.

* يدخل الضَّوُّءُ فِي حَالَةٍ

يَخْرُجُ الضَّوُّءُ مِنْ حَالَةٍ -

لَا شَهِيدًا، وَلَا شَاهِدًا.

عَابِرٌ يَتَقَرَّى الطَّرِيقَ إِلَى نَفْسِهِ.

- ش -

(١) «أمر معز الدولة بن بويه، فتحه الله، أن تغلق الأسواق، وأن تلبس النساء المسوح من الشعر، وأن يخرجن في الأسواق حابرات شعورهن، يطمعن وجوههن، ينحن على الحسين، ولم يمكن أهل السنة مع ذلك، لكثرة الشيعة، وكون السلطان معهم».

الذاكرة

٣٥٢هـ.

- ٢٠ -

الأسواق سماع^(١):

قيارات سود

بيض

تدلى

من أعناق رياح

طلسمية.

الأسواق ساء

في شهوات

روحانية.

هوذا الآن أدخل في روحه الباردة
وأطوق أطرافه،
وأحسن كائنًا
طائران يعيشان في أيكّة واحدة.

* كبدي تتوغل قدام جسمي،
وجسمي يمشي أمام حياتي.

- ت -

لَا تَسْلُ، لَا تَسْلُنِي

عَنْ أَبٍ أَوْ قَبِيلَةٍ،

نَسْبِي^(*) فِي لِسَانِي.

(*) روى الخطيب عن
علي بن المحسن عن أبيه،
قال:

«وسألت المتنبي عن
نسبه، فما اعترف لي به».
(البرقوقي، ١ : ٢٠).

الذاكرة

٣٥٣هـ.

- ١٠ -

الأسواق ثيابٌ

أُخْلِى

مَا حَاكَتْهُ

أَيْدٍ بَغْدَادِيَّةٍ.

الأسواقُ

خَطَايَا لَاهُوتِيَّةٍ.

جِئْتُ مِنْ غِيلِ دَهْرِي، وَظَنِي

أَنْنِي ذَاهِبٌ إِلَى اللَّهِ، غِيلُهُ.

* يقرأ الماء في شفتي أناجيله، -

عَطَشِي عَاشِقٌ.

نَجْمَةٌ

تَتَغَطَّى بِبُرْقُعِ أَحْزَانِهَا

زَمَلْتُ وَجْهَهَا

بَحْنِينِي، وَغَابَتْ.

عَرَقِي صَارَ ثَوْباً لَهَا.

- ٢٢ -

الْأَسْوَاقُ خَمَائِرُ حُبِّ

فِي أَجْسَادِ جُنَّتْ،

وَعِشَاءَاتُ

حَوْلَ مَوَائِدَ سِرِّيَّةٍ.

الْأَسْوَاقُ وَجْوهُ

تَتَوَهَّجُ فِي اسْتِحْيَاءٍ،

يَتَلَقَّى فِيهَا

ضَوْءُ الشَّمْسِ

وَضَوْءُ الْحُرِّيَّةِ.

- ث -

* أَذِنَ اللَّيْلُ لِلْعَاشِقِينَ

أَنْ يَظْلُوهَا عَلَى حَبِّهِمْ سَاهِرِينَ.

- ٢٣ -

«النساء يخوضن في
النهر، يلقين أفخاذهن،
وقمصانهن، ويصرخن
في الماء: أين الحسين؟
غبت الريح والرمل ملء
الفضاء،
وملء الحقول،
وملء اليدين»:

هذه صورة

لمثالٍ قديم

قدّمَتْها لِسُكَّانِ

بغداد، هذي العشية،

أسوأُفها.

- خ -

أتخيّل أنّي أسأِّلُ قيساً: أين ليلي؟
تُرى ما تزالان عَطرين في وردةٍ واحدِه؟
وبماذا أدفئُ أحشاءَ هذا الفضاءِ وأعضاءه
الباردة؟

وأسأِّلُ: ما الكوفةُ الآن؟
قيثارُ حبٍّ،

أم لقاءٌ أليفٌ بين قَتْلٍ وقَتْلٍ؟

* هوذا نرجسُ:

لماذا

لا أرى فيه وَجْهاً، ولا زَهْرَةً؟

- ٢٤ -

الأسواق جراح

أرداف جنون

وصدور تصرخ حُباً.

مهلاً، يا هذا الرُّعد،

الأسواق تكاد تميد

وتهوي

تحت هدير الوجود!

- ذ -

إنها الأرض مخنوقة

ودم الطبع ينقض ميثاقه

مع نبض الطبيعة. والحب يرثي لإحلامه

نازفاً عند شبّاكه:

قلماً تقرأ البيوت قناديل عشاقيها،

وأرى، لا أرى - هل أصدق عيني - إلا

بشراً ميّتين يعيشون في طينة حيّة.

* قل لعدوك: سوف تظلّ صديقاً

ما دمت فضاءً

أقرأ فيه أخطائي.

- ض -

أهناكَ ابتداء؟ أهناكَ انتهاء؟

أم لغاتٌ توسوسُ أحشاءنا

ونُهاجرُ فيها نُهاجرُ منها

كي نُحرّرَ إيقاعنا

مِن سلاسلٍ إيقاعِها

ونعودُ إليها

ونكرّرها في لغاتٍ سواها؟

الذاكرة

٣٥٤هـ.

- ٢٥ -

الأسواقُ زواج

بين الطنّيع

وهذي الأرض - اللّغبة .

الأسواقُ

جِبْلَةُ دَمْعٍ،

يَأْسٌ يَشْرَبُ،

لكن،

لا يَشْرَبُ إلّا

ماء الرّغبة .

* أَتَغَيَّرُ - كي تبقى
نَفْسِي نَفْسِي .

- ٢٦ -

"بين سُنِّيَّة

تتَغَرَّب في فِقْهِيهَا

وشِيعِيَّة

تتَغَرَّب في كُنْهِيهَا،

أَتَخَيَّل أَنِّي

غَابَةٌ من لُغَاتِ.

أَلْفَضَاء سُرِيرِي

وَرَأْس السَّمَاء عَلَى

رُكْبَتِي.

آه - ماذا؟ أَحَقًّا

نَسِي الصَّوْءَ، هَذَا

الصَّبَاحَ، مَفَاتِيحُهُ

فِي يَدَيَّ؟":

هَذِهِ صُورَةٌ

لِرِسَالَةِ حُبِّ

قَدِيمٍ.

- ظ -

لَمْ أَحَاوِلْ، كَمَا وَسَّوَسْتُ جِرَاحِي،

أَنْ أَهْدِمَ جِسْرَ التَّوَدُّدِ

بَيْنَ امْرِئِ الْقَيْسِ وَالْمُلْكِ،

حَاوَلْتُ أَنْ أُغْوِيَ الزُّهْرَةَ الْعَرَبِيَّةَ

كَيْ تَتَجَلَّى عَلَى ذَرْبِهِ

وَتُرَافِقَ أَحْوَالَهُ.

غَيْرَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ جَاءَتْ:

أَخَذْتُ وَقْتَهُ،

أَخَذْتُ وَقْتَهَا،

أَخَذْتُ وَقْتَنَا.

* فَوْضَ الرَّاكِبِ الْغَيْمِ، نَبْعَ الْحَيَاةِ

إِلَى جَوْفِ إِبْرِيْقِهِ.

جَوْفُ إِبْرِيْقِهِ رَمَادٌ.

- ٢٧ -

آه، ما أحوج الصلاة

لحناجر من ياسمين

وطيب.

هكذا من يُصلي

ومن لا يُصلي،

يضعدون على سلم

الفضاء

إخوة في البهاء.

هكذا تُصبح الحياة

شغفاً وابتكاراً.

هكذا يُصبح الشعرُ

للكل تزيّلة.

- غ -

ها هُنا نستقرُّ. أُنَحِّنَا. «رَكَزْنَا الرِّمَاحَ»،

أَخَذْنَا «نَقَبْلَ أَسْيَافِنَا».

«وَكُنَّا وَفِينَا، وَكُنَّا أُبَيْنَا، وَكُنَّا عَتُونَا عَلَى مَنْ عَتَا»،

و«مَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى

وَلَا كُلَّ مَنْ سِيَمَ خُسْفَاً أَبَى،

وَمَنْ كَانَ يَحْمِلُ قَلْبًا كَقَلْبِي

يَشُقُّ إِلَى الْعَزِّ قَلْبَ الْهَلَاكِ، بِشَعْرِ

مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدَنْ، بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى

وَمَا كَانَ ذَلِكَ مَذْحًا لَهُ،

وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى».

* إِنَّهُ الشَّعْرُ يَأْتِي

مَنْ يَقِينُ الْمَكَانِ إِلَى لَا مَكَانٍ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



VII. غيب

١ - إصغاء

في التشرّد، أصغيتُ دوماً إلى الأرضِ تُنبِتُ أعشابها.
عملٌ شاعِرٌ. غير أنَّ النَّباتَ يحبُّ الرّتابَةَ كالبحرِ. كلاً،
لا أحبُّ الرّتابَةَ لكنني
ذُقْتُ شعرَ التمّوجِ، شعرَ الفروقاتِ، فيها، وذُقْتُ
الهبوطَ إلى الجذَرِ: حاولْتُ
أن آتبيّنَ فيه جناحينِ، ليلاً، ولكن
صَرَخَةً أخذتني إلى يَوْمَةٍ،
تتذوّق مثلي طريقاً إلى جذْرِها.

أُتشرّد. ضوؤُ الصّباحِ أمامي، هنالك، يعلو وحيداً على تَلّةٍ.

٢ - انطفاء

أَلشَّتَاءُ انْتَهَى

وَأَنَا لَمْ أَكْدُ أَبْدَأُ.

الفصولُ مرأيا، والحقولُ وجوةً.

سَقَطَتْ شَمْسُ هَذَا الصَّبَاحِ عَلَى وَجْهِهَا،

عندما رحت كالطِّفْلِ أَلْهُو - أَتَسَلَّقُ أَرْضَافَهَا.

طَائِرٌ؟ يُطْلِقُ الطَّائِرُ الْمَهَاجِرُ آخَرَ أَصْوَاتِهِ

عائداً. كيف أعرفُ أَنَّ طريقَ الرَّجُوعِ إِلَى بَيْتِهِ،

آمِنٌ؟

أَلرَّبِيعُ انْتَهَى

والخريفُ انْتَهَى،

كيف أَصْبَحْتَ يَا أَيُّهَا الصَّيْفُ؟ عَيْنَاكَ حَزْنٌ،

وَوَجْهُكَ، فِي حَيْرَةٍ، مُطْفَأٌ،

وَأَنَا لَمْ أَكْدُ أَبْدَأُ.

نَقَلْتُ مِنْ حَذِرٍ خُطَايَ كَأَنِّي
طَيْرٌ. يَكَاذُ الْعَشْبُ يَنْبُتُ فِي خُطَايَ،
صَرَخْتُ: كَيْفَ يَسِيلُ صَوْتُ
مِنْ لَهْفَةٍ، كَالْمَاءِ؟ أَصْرُخُ
كَيْ أَطْمَئِنَّ وَوَحْدَتِي.
أُنْزِلْتُ عَنْ كَتِفِ النَّهَارِ يَدَيَّ وَجَرَّةَ حُزْنِهَا، وَدَعَوْتُهُ:
قِسْنَا مَعاً طَوْلَ الصَّدَى
بَيْنَ الصَّرَاخِ وَوَحْدَتِي.

- «أَتُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْكَ يَمَامَةً؟»

أَغْمَضْتُ عَيْنِي،
وَحَلَمْتُ: بَيْتِي غَيْمَةٌ.

٤ - غربة

أن تكون غريباً
هو أن تقرأ الكون في بدئه، دائماً.

المدينة ماضٍ أليفٌ،
والغربة في كيف كانت.
أتراها المدينة، بغداد، مخنوقة؟
ولماذا تذكرتها الآن؟ عصرٌ
يتشكّل في جوفِ جبانةٍ.

وأنا مثله - حائرٌ بائرٌ
إشفني الآن، من عهدٍ حبي، يا أيها الشاعر.

٥ - قَدَر

قَدَرِي أَنَّنِي
لَا أُطْلُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شُرَفَاتِ الْقَدَرِ.

رَبِّمَا يَفْهَمُ الطِّفْلُ فِي الْعَذَابِ الَّذِي يَتَخَثَّرُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ،
فِي رَثْيٍ. اضْطِرَابُ
فِي الضِّيَاءِ الَّذِي يَتَسَلَّلُ مِنْ كَهْفِ حَرِّيَّتِي. ضِيَاءُ
آخَرٍ مِنْ فِضَاءٍ غَرِيبٍ
يَتَسَكَّعُ فِي خَيْطِ شَمْسٍ.

أَخْذُ الْآنَ حُلْمِي شَيْخًا وَطِفْلًا
وَأَفْتَحُ أَبْوَابَ لَيْلِي لَهُ
وَأُنْذِرُ أَهْدَابَهُ لِلْسَّهَرِ.

٦ - حرب

ما أقولُ إذا سألتني
خطواتي عن بيتها؟
لن تعودَ الحياة؟ الطريقُ وأشباهها
تتخاصمُ فيه وفي حبه؟
أم أقولُ انتهى -
والرّمالُ تُظللُ تاريخه؟

ولماذا
لا أحبّ التذكّرَ إلّا إذا كانَ حرباً؟

أيُّ هذا الفضاء الذي يتوهج في بيتها - لماذا
لم تقل للطريق إلى بيتها،
إنني خُنتُ؟

٧ - عطش

أتهجّجكِ، يا هذه الأرض - أَرْضِي، أشبّاح موتكِ في ناظريّ،
أغانيكِ مرثيّةٌ ونواحٍ، وأيامكِ احتضارٌ.

الجحيمُ الذي فيّ منك - التبسْتُ بتاريخهِ،
وانتميتُ إليه،

فكيف وأبأن أخرجُ منه؟
وأحسُّكِ فيّ الهواء وميراثهُ: لا خلاصَ.
ومنْ فيكِ يعرفُ إنْ مُتُ أو عِشتُ؟ عيناكِ
لا تنظران، وقلْبكِ زُمْلٌ وقَشٌّ.

عَطشي أَلَكِ الماءَ، والماءَ وَصَلُ.

٨ - تنقل

لا أسائل موتي عن حياتي، أو حياتي عنه، فموتي
كحياتي رحيلٌ.

ولهذا،

لا أحبّ المقام، أحبّ الرحيلُ.

في الرحيل، أكون وحيداً، وأصغي لنفسي، ونفسي تُصغي
إليّ، ولا شأن لي في السماء،

ولا شأن لي في البقاء على هذه الأرض. وحدي
أتكأثر في الصمت، في ذلك الحوار المعنى
بين ليلِ الإله وبيني -

أتنقل من مستحيل إلى مُستحيل.

ربما صرتُ عبداً لَذاك الكلام الذي كنتُ أجتاحُهُ
وأروؤُصُ عِصيانَهُ
وأطوِّعُهُ مثلَ عَبيدٍ.

أصديقٌ يصيرُ عدوًّا؟
أعدوٌّ يصيرُ صديقاً؟
أم هو الضدُّ يظهرُ في ضدهِ؟

قل لي الآنَ، ماذا سأفعلُ؟ هل كنتُ أصرخُ من دونِ صوتٍ؟
وهل كنتُ أخطئُ في الظنِّ والقولِ؟ هل خطأي ظاهراً؟
قل لي الآنَ، ماذا
أُبها الطائرُ البشريُّ الذي طار في حُلْمِهِ
فَتَفَكَّكَ في شمسِهِ واحترَقَ،
أُبْهَذَا الوزَقُ.

١٠ - الوداع

لحظة - كَيِّ أقول وداعاً

للبلاد التي أنتمي إليها،

لحظة يتحول فيها

كلُّ شيءٍ إلى ذكرياتٍ.

هل سأبدأ من أولٍ؟ أين؟ لا دجلة تتراعى

والفراة عصي على أيِّ حبٍّ.

هوذا أترقّب - (آه،

كم ترقّبتُ!) ماذا؟

ما الذي يتجلّى؟

أهنالك شيءٌ تبدّى، أهنالك شخصٌ بدا؟

إنعطّ إنعطّ وتعلّم

أيهذا الفسيحُ البهيّ المدى.

الخاتمة

I. كتاب السّواد

II. رماد المتنبّي

كتاب السّواد

(أوراقٌ خاصّةٌ أوصى كافور أن تُنشر بعد موته . وقد وصلت إلى أدونيس ، بطريقة غامضة ، وفي صندوقٍ واحدٍ مع «يوميات المتنبي» . وهي تُنشر هنا ، بناءً على هذه الوصيّة ، للمرة الأولى . والعنوان هو من وُضع أدونيس).

✱

لا بلادي بلادي ، لا يدي في يدي ، -
كيف لي أن أقولَ لهذي المدينة :
حَبَّأتُ حُزْنَكَ في جُلْدِي الأسود؟

✱

المدينة شَحْمٌ
وأنا لستُ إلّا
هيكلاً من عظام ، -
شَحْتُ يا هذه المدينة ، يا شَمْسَ أوجاعنا ،
وأنا لم أزل ، بعد ، طفلاً .

✱

كيف جنثُ إلى مصر؟ وحدي؟ مع آخرين؟ أتذكرُ
يا جِسمي المُشوّهُ؟ من أين؟ كيف اشتُراني تاجرُ زَيْتٍ؟
ومن أين صِرْتُ إلى ابنِ وهبٍ؟ وإخشيذُ
مُصرٍ - لماذا اصطفاني، وأعتقني،
وحَماني؟
عجبي غامرٌ. أحكمهُ عَيْبٍ؟ مُصادفُهُ؟ فُلْتُهُ؟
ما أقولُ؟ سأتركُ هذا لغيري،
ولتاريخ هذا الزّمانِ.

✱

كنتُ أُسْرِقُ السَّمْعَ، أَضْغِي إلى مالكي - سيدي
يتحدّث عَنِّي
مع زُواره:
«هُوَ عَبْدٌ خَصِيٌّ،
غير أنَّهُ خُلِقَ عَالِيًا
لا يَلِيقُ به غيرُ قَصْرٍ».

✱

أَلْمَدِينَةُ مَنفُوحَةٌ بِأَبَاطِيلِهَا

وَالْعَبِيدُ الْجِيَاعُ يَدُورُونَ فِيهَا،

يَنْظُرُونَ إِلَى قُبَّةِ السَّمَاءِ، يُشِيحُونَ عَنْهَا:

كَسْرَةُ الْخُبْزِ أَجْمَلُ مِنْ كُوكَبٍ.

✱

الطَّبِيعَةُ - أُمِّي، ضِدِّي.

✱

كُلُّ مَا كَانَ يَقْطُرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ الرُّحِيقِ،

رَحِيقِ الْمَنَامَاتِ،

أَوَّلَمْتُهُ لِلْغَيُومِ.

فَجَاءَتْ، ذَاتَ لَيْلٍ،

وَأَنَا أَتَقَلَّبُ فِي التَّوَمِ، شَاهَدْتُ أَنِّي نَجْمٌ

يَتَلَأَلُ بَيْنَ النُّجُومِ.

✱

عَشْتُ زَنْجِيَّتِي كَرِيمًا

أَتَرَصَّدُ وَقْتِي -

فَاتِحًا شَهَوَاتِي عَلَى كُلِّ رِيحٍ.

✱

آه، ماذا؟ كَأَنِّي، طَوراً
أَتَأَرْجَحُ فِي عُنُقِ سَيْفٍ، وَطَوراً
فِي يَدَيَّ نَجْمَةٍ.

✱

لِي فَرَّاشٌ عَلَى شَكْلِ حَوْضٍ
وَالْوَسَادَةُ نَهْدٌ:
حُلْمٌ كُنْتُ أَرُويهِ حَتَّى
لَا أَكْرَرُ دَوماً
أَنِّي كُنْتُ أَحْيَا - كَأَنِّي
أَشْرَبُ الْمَاءَ مِنْ جَوْفِ غُولٍ.

✱

آه، لِلضَّوِّ وَجْهٌ -
لَا أُرِيدُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا
أَنْ أَكُونَ سَوَاداً لِأَهْدَابِهِ.

✱

أَتُرَانِي فِي مَرْكَبٍ يَتَخَبَّطُ فِي لُجَّةٍ؟
لَا مَنَارٌ وَلَا شَاطِئٌ.
أَيْنَ أَمْشِي، إِذَنْ؟

✱

دائماً، كنتُ أومنُ:

بيضٌ وسودٌ - طينَةٌ واحدةٌ.

لا تُقاسُ الحقائقُ بالطَّينِ. فاذهبْ

أيُّها العِرْقُ وارقدْ

في رَمادِ خرافاتِكَ البائِدةِ.

✱

يَتَضامَنُ، لكنْ بِالْفَاظَةِ:

رَجُلٌ مِنْ رِياحٍ وَنَزْدٍ.

✱

ما هذا الغيمُ؟ كَأَنَّ خُطَاهُ

تَسْحَطُ، تَمْضِي تَأْتِي، وَتُسِفُ وَتَعْلُو

في ما يُشْبِهُ مَوْجاً:

يبدو أَنَّ الأفقَ مريضٌ.

✱

كُلُّهُمْ أَصْدِقَاءُ

في البِطَانَةِ، في القَصْرِ: بعضٌ لبعضِ خَلِيلٌ.

وبعضٌ لبعضِ قَرِيبٌ،

وأنا وحدي الغريبُ.

✱

مَتَعِي، وَلَذَانْدُ فِكْرِي، وَكُوَابِيسِي المَارِدَةُ
تَتَجَادَبُ رُوحِي وَجَسْمِي فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ.

※

هُوَذَا - هَلْ أَشَاهِدُ نَجْمًا
يَتَبَسَّمُ فِي خِفَّةٍ
وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ مُسْتَهْزِئًا
وَيُدْغِدُغُ أَعْضَاءَهُ؟
أَمْ أَنَا وَاهِمٌ؟

※

الطَّرِيقُ الَّذِي قَادَنِي لِلْخُرُوجِ مِنَ التِّيهِ؟ يَبْدُو
أَنَّهُ قَائِدِي مِنْ جَدِيدٍ
لِلدُّخُولِ إِلَيْهِ.

※

إِنَّهُ الْعَرْشُ يَنْهَارُ. هَلْ أَخَذُ الْعَرْشَ مِنْ أَوَّلِ الْخَيْطِ
بِالْبَاسِ وَالْعَقْلِ؟ أَمْ أَتْرُكُ الْمَسْأَلَةَ
مِثْلَمَا أَلْفَ النَّاسِ تَارِيخَهُمْ -
جِيلَةً، مَرَّةً،
مَرَّةً، مَقْتَلَةً؟

※

حولِي الْآنَ، مِنْ كُلِّ فَجٍّ،
بَشَرٌّ يَطْمَحُونَ إِلَى سُدَّةِ الْحُكْمِ،
أَوْ يَطْمَحُونَ إِلَى لَمْسِهَا وَتَقْبِيلِهَا -

بَشَرٌّ يَجْعَلُونَ مِنَ الْأَرْضِ مُسْتَنْقَعًا.

※

لَنْ أَقُولَ لَخَيْلِي: مُزِي عَلَى جُثَثِ الْآخِرِينَ
الَّذِينَ يُعَادُونَنِي.

سَأَقُولُ لَهُمْ: بَيْنَنَا

شِرْعَةُ الْحَقِّ،

وَالْفِكْرِ - حُرًّا،

وَمِيرَاثُهَا الْأَمِينُ.

※

يَنْبَغِي أَنْ يُعَادَ إِلَى الْعَرْشِ مَا يَمْنَحُ الْعَرْشَ مَعْنَاهُ:

لَا ظَنَّةَ،

لَا رِشَاوَى،

لَا تَوَسُّطَ بَيْنَ الْأَمِيرِ وَشَعْبِ الْأَمِيرِ،

وَلَا مُرْتَشُونَ.

وَالْأَبَاعِدُ، فِي الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، مِثْلَ الْأَقَارِبِ، لَا خَوْفَ،
لَا يُقَمِّعُ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالْعَدْلِ، أَوْ يَنْقُدُونَ الْأَسِيرَ وَأَعْمَالَهُ

وأقواله،
ولا يُعزّلون،
ولا يُحرّمون،
ولا يُقتلون.

✱

لا أُمثّل شعبي،
لستُ منه سوى ذرّة.
غير أنّي تمثّلته
وتنوّرت أوجاعه وأسرارها،
وصوّرتُه فضاء
ورسمتُ حياتي حبّاً
فوق طُرُسِ أمينٍ
من طُروسٍ بهاءاته.

✱

هل أدقّ عروقَ الرّماح، وأصنّع جبر الحقيقة منها؟
هل أقولُ السماءَ كآيةَ جَبَانَةٍ؟
غَضَبٌ في اللّهُبِ
والفضاء انحناءٌ وبقايا قُصْبٍ.

✱

أَتَدْرُ أَنْحَاءَ مِصْرٍ
وَأَفَوْضَ قَلْبِي لِأَقَالِيمِهَا .

✽

سَمِعَ النَّيْلُ هَمْسًا :
«ما الذي يخسرُ النَّيْلُ ، إن قُطِفَتْ زهرةٌ
بين أحضانِهِ؟»
ضَحِكَ المَدُّ والجَزُرُ فِيهِ ،
ومَضَى يَتَسَقَّطُ أخبارَ أزهارِهِ .

✽

نَزَفَ الْأَفْقُ مِنْ أَجْلِكَ ، اليَوْمَ ، يا نَيْلُ ، وأنصهرَ الحُبُ :
لا عَصْفَ إِلَّا
ما يُهْبُ من النَّاسِ ،
لا دَرْبَ إِلَّا الصَّعُودُ .

ما تَبَقَّى فُتَاتٌ لَكَي يَسْتَمِرَّ الوجودُ .

✽

حَافِيًا ، مُتَعَبًا
يَتَقَدَّمُ نحوِي . يَدَاهُ
مِثْلُ خَيْطَيْنِ - هَذَا نُحُولُ اليَقِينِ الذي يَتَعَذَّبُ
فِي نَارِهِ الْفُقَرَاءُ :
أَوْ مِمَّا يُخَبِّرُهُ الْأَغْنِيَاءُ ،
وَيُفْتِي لَهُ الْفُقَهَاءُ .

✽

رُبَّمَا نَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْعَدَالَةِ... لَكِنْ،
عِنْدَمَا يَتَدَقَّقُ نَهْرُ الْمَجْرَةِ فِي جَوْفِ حُوبٍ.

✱

حَزَمْتُ خَصَرَهَا
التَّجَوُّمُ وَنَامَتْ
فِي سِرِيرِ الْأَبْوَةِ:
مِصْرُ فِي جَوْعِهَا تَنَامُ وَأَعْضَاؤُهَا
أُتْخِمَتْ مِنْ رُكُوعٍ؛
مِصْرُ مَخْتَوْمَةٌ
بِشُمُوعِ النَّبَوَةِ.

✱

وَشَوْشَتْنِي، فِي حَسْرَةٍ، وَرْدَةٌ
(وَرْدَةٌ صُورَةٌ لِمَلَايِكِ
لَا أَقُولُ اسْمَهُ):
«سَيَكُونُ بَعِيداً، وَلَنْ يَحْضُرَ الْيَوْمَ حَفْلَ الْعِشَاءِ»
كَيْفَ أَكْتُمُ حُزْنِي؟
كُنْتُ هَيَّأْتُ لِلْحَفْلِ أَجْمَلَ مَا عَرَفْتُ مِصْرُ مِنْ شَطْحَاتِ الْغِنَاءِ.

✱

لَا أُجِسْ بِأَعْدَاءِ عَرْشِي،
وَأُحِبُّ الَّذِينَ يَغَارُونَ مِنِّي.

✱

هذه مِصْرُ؟ بُرْجُ يُقَامُ على الكلماتِ،
وَمُسْتَقَّةٌ كي تسوسَ الشَّقَاءُ؟
ما الذي فَعَلْتَهُ

أَرْضُ مِصْرٍ لِمَحْرَابِ تِلْكَ السَّمَاءِ؟

※

مِنْ غُبَارِ السِّيَاسَةِ يَأْتِي إِلَى الْقَصْرِ هذا الهواءُ،
دَبِقًا، خَانِقًا
آه، لو كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَغْسَلَ الفُضَاءَ.

※

لا كَرَامَةً، لا صِدْقَ، لا كِبْرِيَاءَ:
الحياة على هذه الأرضِ أُنْشُوطَةٌ
والسِّيَاسَةُ فَنُّ البَغَاءِ.

※

غَثِيَانٌ تَهْبُّ أَعَاصِيرُهُ عَلَيَّ،
وَأَنَا قَانِعٌ:
ليس لي غيرُ هذا الهَبَاءِ الذي في يَدَيَّ!

※

يَحْطُرُ الْيَوْمَ لِي أَنْ أَخُونُ
مَا أُحِبُّ، لَعَلِّي
أَتَنَوَّرُ مَا كُنْتُ، مَا سَأَكُونُ
وَأَعْرِفُ كَيْفَ يَكُونُ التَّعَقُّلُ فِي لَحْظَةِ الْهَيْجَانِ،
وَكَيْفَ يَكُونُ الْجُنُونُ.

✱

مَا الَّذِي يَجْعَلُ الشَّعْبَ، فِي الضَّيْقِ،
وَحَشْأً غَرِيباً يُحِبُّ الْجَرِيمَةَ؟
أَلَدَّمَاءُ لَهُ خَمْرَةٌ، مِرَاراً
وَمِرَاراً تَمِيمَةً.

✱

لَا أَحْسَ بِأَنِّي كُنْتُ الضَّحِيَّةَ. كَلَّا، وَأَكْرَهُ تَمَثِيلَ أَدْوَارِهَا.

✱

لَيْسَ مِنْ عَادَتِي أَنْ أُؤَجِّلَ مَا أَعْمَلُ الْيَوْمَ حَتَّى غَدٍ، وَيَكْفِي
أَنْ أَقُولَ لَهُذِي السَّتَارَةُ: نَامِي،
أَوْ اسْتَيْقِظِي لِتِلْكَ السَّتَارَةِ.
هَكَذَا، مُذْ أَفْقُتُ، تَسَاءَلْتُ: مَاذَا لَدَيَّ، وَمَاذَا
سَأَفْعَلُ؟ يَبْدُو

أَنَّنِي مِثْلَ غَيْرِي سَجِينٌ -
أَنَّنِي سَأَكْرُرُ يَوْمِي هَذَا كَمَا شَاءَتِ الْأَمَارَةُ.

✱

الْخِرَافَةُ حَبْرُ الْعُرُوشِ،
السُّجُونُ بَسَاتِينُهَا.

※

سَوْفَ أُثَبِّتُ لِلْمَاءِ أَنِّي جَذَرٌ، وَلَكِنْ
أُتْرَانِي فِي حَاجَةٍ
كِي أَبْرَهِنَ لِلرَّيْحِ أَنِّي غُبَارٌ؟

※

بِي حَنِينٍ إِلَى رَفَقَاءٍ نَشَأْتُ عَلَى حُبِّهِمْ.
رَفَقَاءَ مَشِينَا خُفَاءَ مَعَا،
وَأَكَلْنَا مَعَا خَبِرَنَا
وَقَسَمْنَا مَعَا أَرْضَنَا
بَعْضُهَا لِلْعَمَاءِ، لِلَّيْلِ الْقَدَرُ
بَعْضُهَا لِلتَّشَرُّدِ فِي الْبُؤْسِ أَوْ فِي يَبَابِ الْبَشَرِ.

غَيْرَ أَنِّي فِي لَحْظَةِ الْوَعْيِ أَعْرِفُ أَنِّي وَحِيدٌ،
وَأَعَشَّقُ هَذَا الْبَقَاءَ وَحِيداً،
كِي أَعَاشِرَ نَبْضَ الْوُجُودِ وَأَدْخَلَ فِي فَيْضِ أَسْرَارِهِ.

لَا أَحِسُّ بِأَنِّي أَسْكُنُ فِي مُخْدَعِ الْأَرْضِ،
أَوْ مُخْدَعِ الْأُلُوهَةِ إِلَّا إِذَا كُنْتُ وَخْدِي.

※

مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَعْدُبُ جِسْمَ الْمَدِينَةِ، نَكْسُوهُ ثَوْباً جَدِيداً؛
مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَقْطَعُ أَوْصَالَهُ، وَنَسْوِسُ تَأْيِيْنَهُ،
وَنُوَالِفُ مَا بَيْنَ حَشْخَاشِهِ وَتِرْيَاقِهِ؟
مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَجْرُ الْوَجْهَ الَّتِي عَشِقْتُنَا - الْوَجْهَ الْأَمِيْنَةَ
بِحِبَالِ الْمَدِينَةِ؟

✱

أَفْتَحُ النَّافِذَةَ -
عَابِرُونَ، سُكَارَى. عَسَسَ، وَقَنَادِيلُ سُودَاءُ صَفَرَاءُ. لَيْلٌ
آخِرٌ مِنْ جِرَاحٍ وَتَمَائِمٍ كِي يُطْرَدُ الْحَزْنُ عَنْ وَجْهِ مِصْرٍ.
نَجْمَةٌ تَأْخُذُ النَّيْلَ مِنْ خَصْرِهِ.
سَاهِرٌ. لَنْ أَزُورَ سُرِيرِي، وَلَنْ أُغْلِقَ النَّافِذَةَ.

✱

بَعْدُ، لَمْ تُوجَدْ الْحَيَاةُ الَّتِي قِيلَ عَنْهَا
إِنَّهَا غَائِبَةٌ.
وَكَثِيراً تَحْيَلُنَهَا - أَتَنْتَي سِرّاً، وَرَافَقْتُهَا،
وَدَخَلْنَا مَعاً دَارَهَا -
دَارَهَا الْكَاذِبَةَ.

✱

أَلْجِصَانُ الْمُجَنِّحُ بِالْحَبِّ،
يَجْمَحُ فِي اللَّيْلِ،
يَأْتِي لِيرْتَادَ يَنْبُوغَ مَوْتِي.

✱

كيف صرْتُ إلى هذه الحال؟ لا الأمرُ أمري، ولا المالُ مالي.
وأنا لا أحبُّ القتالَ على المُلْكِ، أو غيره،
وأكرهُ سَفْكَ الدِّمَاءِ.

لا أُصَدِّقُ أَنَّ لِحِرَاسِي الْآنَ أَمراً ونَهياً
ولهم حَرْبُهُمْ فِي الشَّرَابِ، ورايَاتُهُمْ فِي الْمَجُونِ
ولهم حَوْلِي الرُّقْبَاءُ، لهم حَوْلِي الْعِيُونُ
يَمْلِكُونَ الدُّرُوبَ إِلَيَّ وَأَسْبَابَهَا
وَيُسْتَعْطَفُونَ، وَيُسْتَرْحَمُونَ.

لا أُصَدِّقُ أَنِّي كَغَيْرِي يُجَرَّ الْعَبِيدُ إِلَيَّ هدايا
مِنْ جَمِيعِ أَقَالِيمِ مِصْرٍ، وَأَهْدِي
مِنْهُمْ مَنْ أَسَاءَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ.
لا أُصَدِّقُ أَنِّي أُنْقَلُ جِسْمِي كَمَا أَتَشَهَّى
بَيْنَ مَا مَلَكَتْهُ يَمِينِي، وَبَيْنَ الْحَرِيمِ، وَبَيْنَ الْإِمَاءِ
لا أُصَدِّقُ أَنِّي أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ هَذِهِ السَّمَاءِ،
لا أُصَدِّقُ أَنِّي أَمِيرٌ.

✱

شَمْسُ هذِي الظَّهيرةِ مالتُ
رسمتُ حزنَها على بابِ بيتي ومالتُ .
كانت امرأةً قُربَهُ
تتعلمُ سِرَّ التَّشْبِثِ بالأَرْضِ من عُشْبَةٍ . غُرابُ
حاملُ حَظِّهِ
والغبارُ يجرُّ على البابِ منديلَهُ .

كنتُ أمشي ، وكنتُ أحسُّ كأنَّ السَّمَاءَ ستسقطُ عَما قريبٍ
كسرةٍ كسرةً فوق رأسي .
أتوقَّفُ كم أَسْتَهِي الآنَ أنْ أتمدَّدَ في ظِلِّ رُمانةٍ
فوق هذا التُّرابِ . تُراها يَدُ اللَّيْلِ ، تلكَ
التي تدخلُ الآنَ في جَيْبِ فَلَاحَةٍ؟ أتراها السَّمَاءُ تنامُ
على كَتِفِها؟
كوكبٌ يهبطُ الآنَ عَفْواً على سُلَمِ الفضاءِ :
هوذا شارِدٌ في الحقولِ
وأنا غارقٌ في البُكاءِ .
آه شَيْخوخَةُ القَلْبِ أذهي وأفجعُ مِمَّا تَظُنُّ العُقُولُ !

※

يخدمُ العَرْشَ، يخدمُ كرسيه . ولكن
أَهْنا لِكَ في العَرْشِ مَنْ يخدمُ الشَّعْبَ،
مَنْ يخدمُ الشَّعْرَ، أو يخدمُ الجَمالَ؟
عرشي الآنَ هذا السُّؤالُ

✱

كنت أحلمُ أن يأخذَ المتنبي
بِيَدِي أَسودُ
يتبوءُ عَرْشاً
بنبالِ أفعالهِ وأفكارِهِ
لا يَارِثُ، ولا باغتصابِ .

كنت أحلمُ أن يتآخى
مَعَ أَيَّامِهِ وتباريحِها،
والحدودِ التي اخترقَها خُطاهُ،
رسمَها خُطاهُ
في مسيرةِ هذي البلادِ،

كنتُ أحلمُ أن يُجريَ الشَّعْرَ أبيضَ،
في لُجَّةِ السَّوادِ .

✱

لَمْ أَشَأْ أَنْ أَطِيعَ هَوَى الْمَتَنِيِّ
وَأُنِيطَ بِهِ ضَيْعَةً.

لَمْ أَشَأْ أَنْ أُدْجِنَ مَا فِي حَنَائِهِ مِنْ شَامِخٍ عَصِيٍّ.
شِئْتُ أَنْ يَسْتَمِرَّ كَمَا رَسَمْتَهُ رَوَايَ:
الشَّرِيدَ، النَّذِيرَ، التَّقِيَّ.

✱

نَقُلُوا عَنْهُ مَا قَالَهُ فِيَّ، - حَالُ
أَتْرَاهَا،
مَثَلْتُ حَالَهُ؟

لَا أُغَيِّرُ فِي نَظَرَتِي إِلَيْهِ
مَا بِنَفْسِي عَنْهُ. لِهَذَا
لَا أُغَيِّرُ انْتِبَاهًا لِمَا قَالَهُ.

✱

لَنْ أَقُولَ سِوَى الْحَقِّ عَنْهُ:
شَاعِرٌ لَا أُجَادِلُ فِي شِعْرِهِ.
هُوَ إِيقَاعُ هَذَا الزَّمَانِ وَمَعْرَاجُهُ
إِلَى سِرِّهِ.

شِعْرُهُ الْقَوْسُ وَالشُّعْرَاءُ جَمِيعاً يَمْرُونُ مِنْ تَحْتِهِ.
وَأَرَى أَنَّ أَوْجَاعَنَا تَتَشَابَهُ:

يَمْضِي إِلَى سِرِّهِ، غَرِيباً
وَأَعُودُ لِسِرِّي، غَرِيباً.

✱

لا أريدُ امتداحَ السَّوادِ، ولكن
ربّما أخطأ المتنبّي
في قراءة لُونِي وقراءة ما بيننا.

لم أَشَأْ أَنْ أَلْبِي ما شاء. لم أُعْطِهِ الولايةَ كي
لا يكونَ سجيناً لها.
شئتُ أن يَستمرَّ وَفياً
لمراتِهِ.

أن يُطلَّ على الأرضِ من شُرْفَةِ الأنبياءِ
كوكباً مُلكهُ الفُضاء.

✱

هُوَ لم يَرِنِي، مرّةً
وأنا لم أَشَاهِدْ
بين نفسي وبينِي سِوَاهُ.
كيف خانت طريقي إِلَيْهِ خُطَاهُ؟

✱

يا جدائلَ ذاك الحنينِ
كيف أُنْسِيْتِنِي؟
لم أعدُ أَتذكَّرُ ما قالَهُ
لجراحاتِنَا
في اللّقاءِ الأخيرِ، الغبارُ الأمينُ.

✱

أيُّهَذَا الصَّدِيقُ العَدُوُّ، البَعِيدُ القَرِيبُ، المَقَنَّنُ - كَلَا
لَا تَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ .

لَمْ أُرِدْ أَنْ تَبُوحَ، وَأَوْثِرُ أَلَّا يَكُونَ الخِطَابُ طَرِيقاً
إِلَيَّ . تَعَوَّذْتُ أَنْ أَقْرَأَ الصَّمْتَ، أَنْ أَسْمَعَ
الصَّمْتَ . فِي الصَّمْتِ مَا يَتَخَطَّى الخِطَابُ،
وَمَا يُعْجِزُ الخِطَابُ :

لَا يَقُولُ الكَلَامُ عَنِ النُّورِ، نُورِ الأَلُوهَةِ،
غَيْرَ الحِجَابِ .

✱

كُنْتُ غَيَّرْتُ صَوْتِي وَقَلْبِي

وَحَرَّيْتُ فِي الكَلَامِ فِي الفِكْرِ، وَالزَّايَةَ الَّتِي
وَكَبْتُ خُطُوتِي،

وَالسَّمَاءَ الَّتِي ظَلَّلْتَنِي، وَغَيَّرْتُ مَا عَقَدْتَهُ الصَّدَاقَةُ -
أَحْلَافُهَا،

وَعَهْدِي،

وَجَرَاحَاتِ حَبِّي وَآفَاقِهِ، وَدُرُوبِي .

ولكن وجهي ظلَّ عصياً - ظلَّ يَحْنُو على نفسه

مثلما شِئْتُهُ

مثلما كَانَ - لم يَتَغَيَّرْ.



الْغَبَارُ كَلِيمُ الْهَوَاءِ، يُرْتَّبُ أَوْرَاقُهُ
فِي خَزَائِنِ حَرَيَّتِي.



أَسْأَلُ الْآنَ: كَيْفَ السَّبِيلُ لَتَعْلَوْ مِصْرُ؟
لَا سَوَالٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ خَائِئِنًا.

رماد المتنبّي

I. تدخل الأرض في أبجدية أهوائها

صوت ناي، أنين - من ترى يعزف؟
وتر الشمس في دهشة يتساءل، والريح لا تعرف.

تدخل الأرض في أبجدية أهوائها
يدخل الشعر في مائه، -
ربما تنق الآن يا سيد الغيم أن المطر
ليس إلا بكاء.
آه، ما أبعد الصعود وما أقرب المنحدر.

إنه الكون كالطفل يدرج في ذروات القصيدة،
عيناه لليل منذورتان،
وأعضاؤه للسهر.

أَلرَّمَادُ عَلَى الْقَلْبِ وَالرُّوحُ مَأْخُودَةٌ
بِدَمٍ آخِرٍ
لَيْسَ مِمَّا قَرَأْنَاهُ فِي مُعْجَمِ الدَّمَاءِ .

أَتَوَقَّعُ أَنْ يَمْزِجَ الْوَقْتُ سِرًّا
عَطْشًا سَيْئُهُ ،
بِالْمِيَاهِ الَّتِي لَا أَسْأَلُ .

أَتَرَدَّدُ : مَا الصُّورَةُ الَّتِي سَوْفَ أَخْتَارُهَا
لِلْأَسَافِرِ فِيهِ إِلَيْهِ ؟
أَتُرَاهَا
وَرَدَةُ الرَّفْضِ يَوْمَ افْتَتَحْتُ الطَّرِيقَ إِلَى شَعْرِهِ ؟
أَمْ تُرَاهَا
وَجَعَ يَخْرُجُ الْآنَ مِنْ غَوْرِ تَارِيخِهِ ؟
فَلَقِي أُنْتِي أَتَرْتَحِ فِيمَا أَقْوَدُ التَّحَوُّلَ . مَاذَا ؟

أَتُرَى يَكْذِبُ الْمَاءُ حِيناً لَكِي يَصْدُقَ الْهَوَاءُ؟
أَتُرَى يَأْخُذُ الضَّوُّ شَكْلَ الظَّلَامِ لَكِي يَتَقَرَّى تَبَارِيحَهُ،
وَيَمْتَحِنُ الْأَنْبِيَاءُ؟

أَلَرَّمَادُ يَجْرُ الْفُرَاتَ عَلَى وَجْهِهِ
أَلَرَّمَادُ يُؤَاخِي
بَيْنَ دَيَّجُورِهِ وَالْفَضَاءِ .

وَوَقَّتْ دَجَلَةً
بِسَلْسَلِ الْأَمِيهَا
بِالْغَبَارِ الَّذِي كَدَسَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا
بِالْتَّفَاقِ الَّذِي حَفَرَتْهُ
فِي تَجَاعِيدِهَا، وَبِالْتَّفَاقِ .

أَتُرَى، مِنْذُ كُنَّا
مِنْ بَدَايَةِ تَارِيخِنَا،
لَمْ يَمْتَ أَحَدٌ بَعْدُ مِنَّا؟

عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَعِثْمَانُ وَالصَّاحِبُ الْأَوَّلُ

وَمَعَاوِيَةُ وَيَزِيدُ

وَأَبُو طَالِبٍ

وَأَبُو لَهَبٍ

لَا يَزَالُونَ يَحْيَوْنَ . أَبْنَاؤُهُمْ

نُسَخَ عَنْهُمْ .

مِثْلَهُمْ ،

نَتَدَبَّرُ أَحْوَالَنَا وَنَسُوسُ وَنَحْيَا

مِثْلَهُمْ ،

نَشْرَبُ الْمَاءَ ، نَغْسِلُ أَجْسَامَنَا ، مِثْلَهُمْ نَأْكُلُ .

لَا يَزَالُونَ يَحْيَوْنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

فِي الْمَدِينَةِ - أَيَّامِهَا ، وَأَسْوَاقِهَا

وَالْمَآذِنِ ، وَالطَّرِيقَاتِ ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ

وَفِي كُلِّ بَيْتٍ .

هَذِهِ دُورُهُمْ وَسَاحَاتُهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ

هَذِهِ أَرْضُهُمْ وَمَقَالَتُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ .

يَعْمَلُونَ ، يَقُولُونَ مَا يَشْتَهُونَ ، وَنُصْنِغِي إِلَيْهِمْ

لا نقولُ ولا نفعلُ .
منذ تكويننا القُرشي
لم يمت أحدٌ بعدُ مِنّا
لم يمت بيننا
غيرُ ضوءِ الحياة وَمِعراجها البهيّ وغيرُ النبيّ .

- كيفَ يا ذلك الشّراؤُ
الذي كان يكمُنُ في جَذرِ بغدادَ، لم تتكلّمُ؟
- في الكلام الحرائقُ،
والرُّوح عجفاءُ، والرّأسُ في غَيْهَبٍ .
- كيف لم تتكلّمُ؟
- أتُعنى
بدم الثّائرينَ لكي لا يُريقَ الطّغاةُ دماً بعده؟

أُنقصي مدارَ التّوحُّشِ حتّى
تتأثّسَ أيّامنا وأفكارُنا؟

- كيف لم تتكلّمُ؟
- يعجزُ المَدُّ والجَزُرُ في الشّعْر أن يتنوّرا
ذاك المحيطُ من القَتْلِ، ما أوجَعَ الذّاكرةَ:

أَبْدُ مِنْ صَحَارَى
يَجِيءُ وَيَذْهَبُ فِيهَا
أَبْدُ مِنْ قَوَافِلَ مَكْسُورَةٍ حَائِزَةٍ.

- كيف لم تتكلم؟
- فِي شَفَا جُرْفٍ . لَا مَكَانَ سِوَى الصَّمْتِ يَلْتَهُمُ النَّاطِقِينَ .
وَانْظُرِ الْهَوْلَ . مَا أَبْلَغَ الْهَوْلَ ! لَا مَوْضِعَ
وَلَا مَوْقِعَ .
كُرَّةٌ تَتَدَحْرَجُ فِي ظِلِّ سَجَانِهَا .

دَجَلَةٌ . وَاسِطٌ - دَيْرٌ عَاقُولِهَا ،
لُغَةٌ - لَمْ تَكُنْ مَرَّةً
لُغَةٌ فِي الطُّلُوفِ
إِنِّهَا لُغَةٌ فِي الْأُصُولِ
أَلْرِيَّاحُ مَزَامِيرُهَا ، وَإِيقَاعُهَا الْفُصُولُ .

- كيف لم تتكلم؟
- قَلْ دَمِي حَيْرَةٌ ، وَقَلْ الْحُنْجَرَةُ
أَوَّلُ الْمَقْبَرَةِ .

II. الغَيْهَب

في الموجِ صَحْبٌ وعلى اليابسة
بَشَرٌ يَغْمُرُ اللُّؤْلُؤُ
ينسجون بِأَجْفَانِهِم شِبَاكَ الأَيَّامِ

فاصلة

سُئِلَ المتنبي، فيما يُروى:
- كيف تدعى النبوة، والحديثُ
يقول: «لا نبيُّ بعدي»؟
فأجاب:
هذه قراءةٌ للحديث غيرُ
صحيحة. الصحيح أن يُقرأ:
[«لا، نبيُّ بعدي»].
وأنا،

اسمي في السماء: لا». .
المتنبي]
ما هذه الرِّيحُ
التي تقهر الأشرعة!
تَكَاذُ المراكبُ
أَنْ تتحوَّلَ إلى أحواضٍ للدمع .

أَنْتِ آتِيهَا الْأَسْبِجَةُ الْحَدِيدِيَّةُ الَّتِي تُزْنَرُ بِحَارِنَا، بَسْمَلِي كَمَا
تَشَائِنِ هَلْ لَكَ أَنْ تَكْبَحِي أَوْ أَنْ تَرْدِي الْوَحْشَ
الَّتِي تَهْمُ أَنْ تَفْتَرَسَ الشَّوَاطِي؟
وَمَا هَذِهِ السُّفُنُ الَّتِي تَقْلُدُ حِكْمَةَ السَّمَاءِ؟
مَا هَذَا الْمَاءُ الَّذِي يَتَمَوَّجُ حَوْلَهَا وَلَا يُبْلِلُ أَحَدًا؟
شَمَوْعُ تُنَافِسُ الشَّمْسَ

فاصلة

نساء
[«كَانَ يَعْلَمُ طَرَفًا مِنْ
السَّيِّمِيَاءِ. قَالَ لِلْمَطَرِ
أَنْ يَنْزِلَ حَوْلِي وَلَا يُصِيبَنِي.
كَانَتْ الْغَيُومُ تُظِلُّنِي،
فِيمَا تَمَطَّرُ حَوْلِي»].
مَعَاذَ بَنِ إِسْمَاعِيلَ]

أَيْنَ يَقِفُ الْآنَ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ الْمَائِلُونَ عَلَى عَكَازٍ تَارِيخِهِمْ؟
وَكَيْفَ أُغْرِي الزَّمَنَ بِالسَّيْرِ فَوْقَ هَذَا الْوَرَقِ الْأَبْيَضِ،
وَأُغْرِي جِرَاحِي؟ وَكَيْفَ أَتَذَوَّقُ مُعْجَمَ هَذَا
الشَّاطِئِ الَّذِي يَتَطَاوَلُ بَيْنَ الْإِسْكَندَرُونَةِ وَطَنْجَةِ كَمْثَلِ شَرِيطِ

مِنْ أَطْبَاقِ إِلَهِيَّةٍ
تَحْمِلُ الْأَسْلِحَةَ وَالْآلَاتِ وَالْحَوَانِيتِ؟

فاصلة

[«دَلَّتْ

أَشْيَاءُ

فِي دِيْوَانِهِ،

أَنَّهُ

كَانَ

مِثْلَهَا».

[المعري]

مَنْ يَخْدَعُ الْمَوْجَ؟

مَنْ يَغْرُرُ بِرُسُلِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ،

يَفْتَحُ لَهُمُ الْمَصَائِدَ

فِي اللَّغَةِ وَفِي الدُّرُوبِ، كَمَا تُفْتَحُ النَّوَافِدُ

وَيُنْصَبُ الْبُومُ ذَا الْقَرْنَيْنِ،

مَلِكاً عَلَى الْمَفَارِقِ -

فِي اللَّيْلِ الَّذِي يُتَأَتَّى، اللَّيْلِ الَّذِي هُوَ ابْنُ

لِنَجْمَةٍ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَمَجِّدُ الشَّهْوَةَ

فِي سَرِيرِ عَرْسِهَا فِي وَقْتِ يَعْرِجُ

نَاسِياً نَحْوَ التَّارِيخِ وَصَرْفَهُ.

أَدِرْ وَجْهَكَ إِلَى مَكَانٍ يَسْتَقْبِلُ الْخِرَافَ

الضَّالَّةَ إِغْرِقْ فِي أَحْضَانِ نَخِيلِهِ

حَيْثُ كُنَائِسُ الْعَشْبِ وَمَاذُنُ السَّكِينَةِ

حَيْثُ الْأَرْضُ

لَا تَزَالُ تَنْتَمِي إِلَى غَنَاءِ الطَّيُورِ.

الأمواج تُواصلُ أُنَيْنَهَا فِي بَحْرِ يَتَنَكَّرُ لَشُطَّانِهِ، وَهَا هُوَ الْمَاءُ
يَتَزَوَّجُ الرَّمْلَ.

- «قِسْتُ حُنْجَرَةَ الْهَوَاءِ»،

قال المتنبي،

«كَانَ عَدْدُ أَوْتَارِهَا أَقْلَ مِمَّا تَمْلِكُ حُنْجَرَتِي،

وَتَبَيَّنَتْ بِمَصِيرِ الْهَوَاءِ».

II

مُدُنٌ -

سَطَحٌ مَجْدُورٌ، وَالْقَرَارُ يَتَقَيُّ أَحْشَاءَهُ

مُدُنٌ -

أَسْمَاكَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ تَتَأَرَّجُحُ بِاسْمِ الْآلِهَةِ وَبِاسْمِ الْمَعْدَةِ

فِي مَوَازِينَ تَتَأَرَّجُحُ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

بِاسْمِ الْبُخُورِ تَلْتَصِقُ رَوَائِحُ السُّوقِ

بِوَجْهِ زُؤَارِهَا بَيْنَ أَغْشَابِ

نَادِرَةٍ فِي صِنَادِيْقٍ تَنْحِنِي فَوْقَهَا سَمَاءُ

يُرْشَحُ مِنْهَا سَائِلٌ لَا يُعْرِفُ إِنْ كَانَ

عَسَلًا أَوْ قَيْحًا.

فاصلة

«إِنَّ غُلِيْمًا مِعْطَاءً بِالرِّيِّ

(الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ) يَرِيدُ أَنْ

أَزُورَهُ وَأَمْدَحَهُ، وَلَا سَبِيلَ

إِلَى ذَلِكَ».

[المتنبي]

وحيث كانت الأبواب آخذة في

الصَّدَأُ، كان رجالٌ مائلونَ على عكاكيزهم يبللون
 سُؤْلَهُم بماءِ الهجرة.

كَانَ الْبَحْرُ يَزْتَجِلُ هديره كأنه جرحٌ يلتهمه الملحُ في «ليلٍ أَرْخَى سُدُولَهُ»
 كأنه الرَفِيقُ الأعلى لامرئ القَيْسِ،
 بعيداً،
 تحت نخلةٍ،

لا يزال امرؤ القيس ينهض فاتحاً صَدْرَهُ
 لناقته الذَّبِيحَةَ - احتفاءً بالحبِّ. غير أن الغديرَ جَفَّ
 الغَزْلَانِ تَشْرَبُ دموعها والقلوبُ أطلال
 هناك صَيَّادٌ غير الرَّمْلِ

مع ذلك لا يزال جرح المكان ينزف وَحْياً

مِنْ أَجْلِ حُضُورِكَ يَا صَحْرَاءَ الْعَالَمِ
 مِنْ أَجْلِ شَهَوَاتِكَ
 مِنْ أَجْلِ أَصَابِعِكَ الَّتِي تَعْزِفُ عَلَى
 أَرَاغِنِ الدَّمْعِ
 مِنْ أَجْلِ رَكْبَتَيْكَ وَالشَّقِّ الَّذِي
 يَتَلَأَلُ بَيْنَهُمَا

مِنْ أَجْلِ ضَفَائِرِكَ الَّتِي تَزِينُ كَتَفَيْ لِيلِنَا
 مِنْ أَجْلِ رُوحِكَ الَّتِي لَا مَادَّةَ فِيهَا غَيْرُ الْمَادَّةِ
 مِنْ أَجْلِ وَقْتِكَ الْآنَ وَأَيَّامِكَ الْآتِيَةِ
 الذَّاهِبَةِ عَلَى ظَهْرِ فِيلٍ سَجَّيلٍ

فاصلة

[«بلوتُ» (من أبي الطيّب)]

ثَلَاثَ خِلَالٍ ذَمِيمَةٍ،
 وَتِلْكَ أَنَّهُ

مَا صَامَ
 وَلَا صَلَّى

وَلَا قَرَأَ الْقُرْآنَ.

علي بن حمزة

(راوية ديوان المتنبي)

في مُدُنٍ تعمُرُها صلواتُ الآخرة
في دروبٍ مرّت على حَصْبائِها مِسْحاةُ التَّقوى
مِنَ أَجْلِ أَنْ نَظَلَ دائِماً نَجِيءٌ في اللَّحْظَةِ نَفْسِها قَبْلَ
الوَقْتِ وبعده
في اللَّحْظَةِ نَفْسِها
لا تَنافُضَ في المصادفات
لا تَنافُضَ في الرِّيحِ
وأوّلُ الغبارِ كآخِرِهِ
ولستُ ابناً للَحْلَمِ - الحُلْمُ وجهي الآخرُ .

«قُسْتُ حُنْجَرَةَ الفِضَاءِ» ،
قال المَتَنَبِيُّ .
«كَانَ عَدْدُ أَوْتَارِها أَقَلَّ ممّا تَمْلِكُ حُنْجَرَتِي ،
وَتَنَبَّأْتُ بِمَصِيرِ الهَوَاءِ» .

III

- قُلْتُ : «لا مَكَانَ لَجَسَدِينَا» .
- قُلْتُ : «بَيْنَنَا جُزُرٌ ، ولا جِسْرَ غَيْرِ الكَلَامِ» .
- قُلْنَا : «البُعْدُ حِدَادٌ وجَسَدَانَا مَسْرُحُ الحِدَادِ» .

مَنْ إِذْنٌ سِيَشْرُحُ لَكَ صَدْرَكَ ،
أَيُّهَا العَاشِقُ ؟

تَحَدَّثْنَا عَنْ أَقْوَلِ الْحَضَارَاتِ

عَنْ شُعُوبٍ تَرِثُهَا وَاضِعَةٌ جَذُورُهَا فِي قَاعِ طَحْلِبِ سَمَاوِيٍّ
تَحَدَّثْنَا عَنْ الْحَلَوَى تُؤَكِّلُ بَعْدَ السَّمَكِ تَيْمُنًا بِحَدِيثِ وَضْعَانِهِ .
كُنَّا نَنْتَظِرُ وَصُولَ صَيَّادِينَ تَلْمَعُ عَلَى وَجُوهِهِمْ لَأَلِيُّ الْغَوْصِ
كُنَّا نَقْشُرُ لَهُمْ حُرْشُوفَ السَّرِّ فِيمَا نُرَدِّدُ:
اَللّٰهُمَّ،
اَعْرِفْنَا فِي حَوْضِكَ الَّذِي لَا يَفْنَى .

وَكَانَ قِرْدٌ مِنْ فَصِيلَةٍ عَالِيَةٍ تَنْحَدِرُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ أَرْضٍ لَا تَبْعُدُ إِلَّا
قَلِيلًا عَنْ كَرْبَلَاءِ الْحُسَيْنِ يُغْنِي مُسْتَعِيدًا مُوسِقَى غَابَاتٍ
لَمْ تَصِلْ إِلَى أَعْنَاقِهَا بَعْدُ سَيُوفُ الْإِبَادَةِ

كُنَّا نَرْتَلِ مَعَهُ أَنَاشِيدَ تَبْدُو كَأَنَّهَا طَالَعَةٌ مِنْ قِيثَارِ
زَرْيَابِ .

كَانَ رَجَالٌ مَائِلُونَ عَلَى عَكَائِزِ تَارِيخِهِمْ

يَسِيرُونَ فِي الْمَاءِ أَمَامَنَا
رُؤُوسُهُمْ يَمْنَةً وَيَسْرَةً
فَجَاءَتْ غَابُوا حُيْلَ إِلَيْنَا أَنَّ
الْمَاءِ انْشَقَّ وَابْتَلَعَهُمْ
فَجَاءَتْ ظَهَرُوا،

فاصلة

[«اشترط المتنبي على سيف الدولة
إذا أنشده مديحه، ألا ينشده
إلا وهو قاعد، وأنه لا يكلف
تقبيل الأرض بين يديه.
فُنُسِبَ إِلَيْهِ الْجَنُونُ!
ودخل سيفُ الدولة تحت هذه الشروط» .
الصبح المنبي]

يلبسون قشورَ حيتانٍ ويهزّون أكتافهم
 كأنّما لكي يؤكّدوا أنّ العقل طيّعَ كمثل الظلّ،
 أنّه خُلِقَ لكي يخضعَ للنّبوات.

«قُسْتُ حنجرةَ الفضاء»،

قال المتنبي

«كان عددُ أوتارها أقلّ مما تملك حنجرتي،
 وتنبأت بمصير الهواء».

IV

سِرْنَا

فاصلة

وراءنا تعلو أبراجُ شَبَّهها بعضنا برؤوس
 الشياطين قال آخرون إنها جبالٌ
 عُقِلَتْ بأقدام الغيم.

- أ -

[«أنزلُ دائماً على قبائل
 العرب،
 وأحبُّ ألا يعرفوني».
 المتنبي]

في نهر بردى قبل أن يجفّ، أخذتنا
 مراكب المعرفة إلى خاناتٍ يُخزن فيها
 ما يَبْقَى من قوافل الزّمن

- ب -

[«خُدْتُ أنّ المتنبي كان إذا
 سُئِلَ عن حقيقة هذا اللقب،
 قال: هو من النّبوة،
 أي المرتفع من الأرض.
 وكان قد طمّع في شيء

الذكريات مَحفوظة في أكياسٍ من الدّمقس
 التّاريخ طاحونٌ يُسيرها ماء أحمر
 مَنْ يَخلف مَنْ

قَدْ طَمَعَ فِيهِ

مَنْ هُوَ دُونَهُ».

[المعري]

- ج -

[«صَجِبَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ فِي عَدَّةِ

غَزَوَاتٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَمِنْهَا

غَزْوَةُ الْفَنَاءِ (فَنِيَ فِيهَا الْجَيْشُ

إِلَّا سَبْعَةً مِنْهُمْ سَيْفَ الدَّوْلَةِ

وَالْمُتَنَبِّي).

قال سيف الدولة:

كان المتنبي يسوق فرسه، فَأَعْتَلَقْتُ

بِعِمَامَتِهِ طَاقَةً مِنَ الشَّجَرِ الْمَعْرُوفِ بِأَمِّ

غِيلَانَ، فَكَانَ كُلَّمَا جَرَى الْفَرَسُ، انْتَشَرَتْ

الْعِمَامَةُ. وَتَخَيَّلَ الْمُتَنَبِّي أَنَّ الرُّومَ قَدْ

ظَفَرَتْ بِهِ، فَكَانَ يَصِيحُ: الْأَمَانُ، يَا عَلِجُ!

فَهْتَفْتُ بِهِ وَقُلْتُ: أَيُّ عَلِجٍ؟ هَذِهِ

شَجَرَةٌ عُلِقَتْ بِعِمَامَتِكَ.

فَوَدَّ أَنَّ الْأَرْضَ غَيَّبَتْهُ».

قال له ابن خالويه:

«أَيُّهَا الْأَمِيرُ،

أَلَيْسَ أَنْ تُبَتَّ مَعَكَ حَتَّى

بَقِيَتْ فِي سِتَّةِ أَنْفَارٍ،

تَكْفِيهِ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ؟».]

الكرسي العنكبوت

البلاد النعامة

هاتوا أنباء الصّباح

قليلاً من البكاء أيتها الشّمس

الفكرة هنا تُقيم تحت الكاحل وتشحط وراء

الكعب

بي حاجة للحديث مع سوفوكليس، ليلاً،

إن أمكن،

ومع إسخيلوس، نهاراً، فيما يفتح

الفجر ذراعيه،

هل الفاجعة وحدها تعلّم الفرح؟

من يسلك معي الطريق التي تأخذنا إلى بيتها؟

المسرح لا يكفي

لا بُدَّ من رؤية السرير والسرّة والسريرة،

ولتتمزّق الستائر.

لكن ها هو الزّمن،

مياه شحيحة تسيل في الغرابيل

أعناق تطاير بين الأسلاك

الطيور لا تعرف أين تمضي

تكاد أن تجهل كيف تبني أعشاشها

ولم نعد نخافُ
الخوفُ هجوُنا الآخر .

أَلْعَادَةُ أَنْ يُلَوِّخَ رَجُلٌ بِعَصَاهُ وَيُعلنَ نَفْسَهُ قَائِداً
أَلْعَادَةُ أَنْ تَجْتَذِبَ الْعَصَا جُنُوداً غَيْرَ مَرْتَبِينَ لَكِي يَتَغَلَّغُوا أَيْنَمَا حَلُّوا
فِي الْمَادَّةِ وَصُولاً إِلَى جِزْئِهَا الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ
أَلْعَادَةُ أَنْ يَنْحَنِي الْجُمْهُورُ الثَّائِرَ أَمَامَهُمْ حَتَّى يُعَانِقَ غُبَارَ أَقْدَامِهِمْ وَغَالِباً
مَا يَنْسَى الْحَيَوَانَ النَّاطِقُ أَنَّهُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ

فَاصِلَةٌ
[«كَانَ الْمُتَنَبِّيُّ
دَاهِيَةً،
مُرَّ النَّفْسِ» .
ابن فُورْجَةَ] مَاضِياً
عَقَصْتَنِي رِيحٌ مِنْهُمْ
وَتَنَقَّلْتُ فِي عَرَبِيَّةٍ تَنْقُلُ بَعْضَ أَنْقَاضِهِمْ

مَاضِياً
زَرَعُوا فِي خَاصِرَتِي قَرْنَيْنِ لِأَيْلٍ طَرِيدٍ، وَلَمْ
أُفِدْهُمْ شَيْئاً
كَنتُ لَهُمْ دَائِماً

حقيبة فارغة
ومليئة بالثقوب .

لكن ها هو الزمن -

أطفال يلبسون البنادق

جنود يبطنون رصاصهم بالخلوى

كُهان يفترشون صلواتهم على عتبات الموتى

الأفق فحّم والهواء يتأكسد

فاصلة

يكاد الناس أن يتحولوا إلى بشور في جلد الأرض

- أ -

ومن يقدر الآن

أن يميز بين اللّغة واللّغو؟

[«كان المتنبي

يعمل الشعر للناس،

لا للممدوح».

الصبح المنبي]

قل لي، أيها البابونج السماوي

من أين لك أن تشفي سُعال المادّة؟

- ب -

[«... ومولانا يعلم أنّ الثوب

لا يعلمه البراز كما يعلمه الحائك.

لأنّ البراز يعلم جملة، والحائك

يعلم تفاصيله.

وإنما قرّن امرؤ القيس لدّة النساء

بلدّة الركوب للصيد، والشّجاعة في مُنازلة

الأعداء بالسّماحة في شراء الخمر للأضياف،

للّضائف بين كلّ من الفريقين.

وكذلك لمّا ذكرت الموت في صدر

غاب حارس الملكوت

في زاوية

في رواق

في قَصْر

في مدينة طالما غناها أبنائه

وما أكثرهم - حشد من الشعراء

الأفاعي بنات آوى

أوه! سلّم بياني من عطايا

تنسّم رمل اللّغة!

البيت الأول، أتبعته بذكر الردى في آخره
 ليكون أحسن تلاوفاً. ولما كان وجهه
 الجريح عبوساً، وعينه باكيةً،
 قلت: ووجهك وضاحٌ،
 لأجمع بين الأضداد في المعنى». [المتنبي]
 ومن أين للمجهول الذي يرقد تحت
 سُرّة الكون،
 هذا الجذب؟ وهذا الفلق
 الذي يُغري بالغسق؟

- ج -
 فوقنا -
 [«رأى بعض عبده
 ثوراً يلوح فقال:
 هذه منارة الجامع.
 نظر آخر إلى نعامه،
 فقال: هذه نخلة!
 فضحك المتنبي»].
 الصبح المنبي]

ربما ليست النجوم تلك المعلقة في هذه
 السماء الجرداء
 لعلها أن تكون رؤوس بشر يلد لنا أن
 تشبه بهم
 وذلك الماء الذي تعود أن ينظر من عل إلى
 الحقول الطامئة لم يعد ينظر إليه الآن غير القش.

- د -
 [«أخفى طريقه،
 فلم يؤخذ له أثر.
 عمل طريقاً تحت
 الأرض؟»].
 الصبح المنبي]

ربما،
 ليس الغبار في هذه الحقول، شأنه في جميع
 الحقول الأخرى التي تحرثها يد الله إلا نارا
 تتغذى بأجساد المارقين والعشاق أولئك الذين
 يحسبون أن المعرفة كمثل برميل مثقوب في
 شكل نهل يسمى الأبد،
 لا يتسع حتى لنقطة من الماء.

«قِسْتُ حَنْجَرَةَ الْفُضَاءِ»

قال المتنبي .

«كان عددُ أوتارِها

أقلُّ مما تملك حنجرتي

وتَنَبَّأْتُ بمصير الهواءِ» .

V

صُفُرٌ دَاكِنُونَ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ الْمَائِلُونَ عَلَى

عَكَائِزِ تَارِيخِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَنَامُونَ

مَلَأَ عَيْنُونَهُمْ وَيَسِيرُونَ فِي نَوْمِهِمْ كَمَثَلِ

جَدَاوِلَ تَلْتَهُمَهَا الضُّفَافُ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ

إِلَى مَصَبَاتِهَا

فاصلة

[«بلوث من أبي الطيّب

ثلاث خلالٍ محمودة، وتلك

أنَّه ما كَذَبَ،

وَلَا زَنَى،

وَلَا لَاطَ».

وَهَا هُمُ الْأَطْفَالُ يَضْطَجِعُونَ مَخْمُورِينَ

بَيْنَ الْأَحْذِيَةِ وَدَوَالِبِ الْعَرَبَاتِ الَّتِي لَمْ

تَعُدْ صَالِحَةً إِلَّا لِلْخَرَابِ وَلَمْ يَكُنِ الْقَمَرُ

امْرَأَةً وَلَا حَشْحَاشًا عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ

آنَذَاكَ فِيمَا كُنْتَ أَتَنَسَّقُ رُوحَ يَاسْمِينَةٍ

دَمَشْقِيَّةٍ كَانَ ذَاكِرَةً وَقْتُ يَعِيشُ

فِي الْهَجْرَةِ

علي بن حمزة»]

[«أيجوز للأديب ألاّ

يعرفَ شعر أبي تمام،

وهو أستاذ كلّ من قال

الشعر بعده؟]

[المتنبي]

في شعر - حدّ

يَقطعُ الرّيحَ

وييسطُ أجزاءها

على مائدة المعنى .

[«في شعره (المتنبي) غرابة المحدث،

وفصاحة القديم. خاتم الشعراء».

[ابن الأثير]

لا أزال أَسْتَبْشِرُ بفتنة اليأس

هذا الغار المديد الغائر الذي يصطرع فيه

الزّمن والأبد حول رماد الآخرة

اليأس الذي يُبْهَجُنِي أن أسكبه كمثّل

حنطة في حوصلة الموت

اليأس الذي ينظر إلى ما حولي لا يرى

إلاّ سراياً يعقد على أطرافه

كحبل أسود لا يرى إلاّ ثمرة

حمراء في وجتي كأنها دمعَةُ الشكّ

لا يرى إلاّ كرة بين يدي اسمها

ياجوج الهجرة

اليأس الذي ينظر يرى لا يرى شيئاً .

«قست حُنجرة الفضاء» ،

قال المتنبي .

«كان عدد أوتارها أقلّ مما تملك حنجرتي ،

وتنبأت بمصير الهواء» .

VI

هَلْ أُعْطِيَ لِنَفْسِي الْحَقُّ أَنْ أَرْسَمَ خَطًّا أَحْمَرَ
تَحْتَ لَفْظَةِ النِّهَايَةِ؟

اتركوني، أنتم يا أبناء هاجر، لا أزال
قادراً أن أعيش هنا قرب هذه البئر
لا تزال هناك أوتادُ
لا تزال خيامُ
وثمة أصداء تؤكد أن هناك أصواتاً
لا تزال الشِّفاه التي بَشَّتْها ترسم في
الأثير.

فاصلة

[«ما خدمتُ

عيناَي

قلبي،

كالיום».

[المتنبي]

لَا بُدَّ أَنْ تَفْتَحَ عَيْنِيكَ وَتَرَى
تَرَى ذَلِكَ الْحَائِطَ
يُديرُ إِيْلَيْكَ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَنْقُلُ
رِسَالَةَ الطِّينِ الْآدَمِيِّ.

أوه! طينٌ لا تزال شفتاه مُبْتَلَّتَيْنِ
بندى الكلام الأول!

وماذا تفعلين إذن يا هذه

الشمسُ!

ترى الطفل يعرجُ عليه مُصَدِّقاً أَنَّهُ

سَرِيرٌ سَمَاوِيٌّ تَرَى الشَّيْءَ يَقُولُ الْحَاضِرُ
لَيْسَ حَاضِرًا تَرَى شَرِيطَ التَّهَابَاتِ
يَتَنَقَّلُ بَيْنَ دَجَلَةٍ وَالْأَنْدَلُسِ تَرَى كَائِنًا
مِمَّا قَبْلَ التَّارِيخِ كَأَنَّهُ وَلِيدٌ فِي شَهْرِهِ الْأَوَّلِ
وَالْيَوْمَ يُوقِظُكَ صَوْتُ يُشَبِّهُ
لَكَ فِيهِ أَنَّ التَّهَارَ بَرَكَةٌ آسَنَةٌ نَتَخَبَّطُ
فِيهَا نَحْنُ سُكَّانُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَمِثْلِ أَسْمَاكِ
شُبِّهِ مَيِّتَةٍ وَتَرَى الضُّوْءَ يَتَمَهَّلُ فِي سِيرِهِ وَيَعْدُ
خَطَوَاتِهِ خُشْيَةً السَّقُوطِ .

وهذه النجوم ، كم هي مجنونة!
لا تزال تعتقد أنها يمكن أن تسافرَ إلى الكوفة
لكي تُمضي السَّهْرَةَ فيها ثم تعودُ في اللَّيْلَةِ ذَاتِهَا
أَحَقًّا أَنْتَ نَفْسُكَ الْآنَ ذَلِكَ الَّذِي وُلِدَ
مِنْ عُنَاقٍ يَتَكَرَّرُ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ الْغُبَارِ وَالشَّمْسِ؟

الفكرةُ تزدرد أختها ،
والشوكُ نكهةُ الحنجرة .

[«رأيت الناس

عادلين فيه عن التوسط.
فإمّا مُفَرِّطٌ في وصفه
وإمّا مُفَرِّطٌ».

من زمانٍ بيعتِ السّماء
لم يبقَ فيها
مُتَسَّعٌ إلّا لِبعضِ الكلمات التي تيسّر لها أن
تستولي على عرش اللّغة.

«هؤلاء الثلاثة (أبو تمام،

البحثري، المتنبي)
لأت الشعر وُعْزَاهُ
ومَنَاتُهُ».

ابن الأثير]

تَمَهَّلُ أيّها الصوتُ الذي يبتعدُ وراء الأبدية
كمثل جرسٍ في عُتْقِ فراشة،
دروبي سديمٌ تخترقه مجرّاتٌ محلولةٌ
الصفائر وحياتي فراغٌ لا تقيم فيه إلّا
الأشعةُ ولا أحلم ضُمّيني يا ذراعَ
الواقع إلى احتمالاتك وأسألك:
متى يحينُ قَطاَفي؟

التاريخُ يتموّجُ في قَنِينَةٍ تتموّج في اللجّ
وآه من تلك الكتب التي تعمّرُ العقول ولا تقولُ
إلّا اليباب

حَقًّا لا جَبْرَ إلّا الجسدُ أصْعُوا
للسّلاالم التي تتطايرُ درجاتها في غوايات
الأرجل للهبوط -

إن كانت هناك حقيقةً فهي في الجسد
وأوجاعه

في
العُور العُور العُور .

«قُسْتُ حنجرة الفضاء»

قال المتنبي .

«كان عدد أوتارها أقل مما تملك حنجرتي ،
وتنبأت بمصير الهواء» .

VII

لِلَّيْلِ ذُؤَابَاتُ

تسبح في دخان بخورٍ

لا إلى النار ينتمي لا إلى الرماد

ينتمي إلى برقٍ

يجرُّ الموتَ أمامنا

حاملاً مقتلتيه في صحنٍ أعمى .

وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَيُّهَا الشَّعْرُ أَنْ تُقْلِبْتَ

فاصلة

[«أُبْخِرُ الطَّيْرَ تُخَشِّنِي؟

وَمَنْ عبيد العَصَا

تخافُ علي؟

معاذ الله

أَنْ أَشْغَلَ فكري

بهم

لحظة عين .

ولا أرضى

أن يتحدثَ

النَّاسُ

بأنِّي سِرْتُ

في خَفَارَةٍ

أحدٍ

غيرِ سيفي» .

[المتنبي]

فاصلة

[«قَاتِلْ حَتَّى قُتِلَ».]

*

[«لَمَّا قُتِلَ،

فِي طَرِيقِ الْأَهْوَازِ،

وُجِدَ مَعَهُ دِيوَانَا

أَبِي تَمَامٍ وَابْحَثَرِي،

بِخَطِّهِ».]

*

[«شُغِلَتْ بِهِ الْأَلْسُنُ،

وَسَهَرَتْ فِي أَشْعَارِهِ الْأَعْيُنُ.

طَالَ فِيهِ الْخُلْفُ،

وَكَثُرَ عَنْهُ الْكَشْفُ.

لَهُ شَيْعَةٌ

تَغْلُو فِي مَدْحِهِ،

وَعَلَيْهِ خَوَارِجُ

تَتَعَبُ فِي جَرِّهِ».]

ابن شَرَفِ الْقَيْرَوَانِي

مِنْ قَيْدِكَ الْمَلَائِكِي حَتَّى لَوْ صَرَتْ حَارِسَ

الْجَحِيمِ؟

أَقُولُ لَكَ

لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ إِنْ كَانَتْ الشَّمْسُ

لَا تَزَالُ نَائِمَةً

إِنْهَضْ يَا لَيْلِي اسْأَلْ:

مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي تَتَأَوَّهُ

حِدَادًا؟

أَوْه!

كَأَنَّ دَمَ الْأَرْضِ يَتَخَفَّرُ فِي أَجْرَانِ الْآلِهَةِ.

. III

سَاهِرٌ حَوْلَ صَمْتِ الدَّمِ
الْمَتَدَفِّقِ مِنْ آدَمِ

- كيف لم تتكلَّم؟
- هل أقول ابتكرتُ لجسمي
جسداً آخراً؟

هل أقول لييتي
أنتِ نصفُ لِنَفْسِي
ونصفُ لغيري؟

- كيف لم تتكلَّم؟
- لم يُعَدَّ من فضاءٍ لنا غيرُ تِيهِ خرافاتِنَا،
لم نعد نتحرَّك إلاَّ
في دِمَقْسٍ وإِسْتَبْرَقٍ وَجِنَانٍ
من حروفِ الهِجَاءِ،
فاحترقُ صامِتاً، أو تَقَمَّضْ قَمِيصاً
سَمَّهِ البِغَاءِ.

- كيف لم تتكلّم؟
 - أيّهذي المدائن، ساحاتها والبيوت القناطر أبوابها
 وأسواقها والقباب
 ها أمّد عروقي ينباع فيكن تجري، وماذا؟ لماذا
 لا يخاطب أحشائي الحانيات عليكن غير الخراب؟

رغشة في الحقول
 في البلاد التي أنتمي إليها
 تمتازج بالدمع،
 تمزج بالدمع ماء الفصول.

ليكن. لن أقول وداعاً
 للبلاد التي أنتمي إليها،
 ولأشياؤها. لن أقول.

- كيف لم تتكلّم؟

- خرجت من جُفوني وأنا أحلمُ

صورةً عن حياتي،

عن هذه البلاد التي أنتمي إليها

تنوّرتُها، ونوّرتُها

وأنا اليومَ أسألُ: ما الأوضَح، الآن،

هذا المنورُ، أم ذلك المُبهمُ؟

- كيف لم تتكلّم؟

- ساهِرٌ حول صَمَتِ الدّم المتدفّق مِن آدم.

IV. شرقُ بلا شرق

أمسِ الآنَ غداً

نجتمع على اسمِكَ بضعة شعراءِ نابذين منبوذين ليس

في الهواءِ حولنا غيرُ الحُوذِ وغيرُ لَبَلابِ بَشَرِيٍّ يُعرّش عليها

الدروبُ أقدامٌ لا تعرف غيرَ السّلاسل والزّمنُ ساقان

مُشلولتان

لكن ها نحن ننظرُ إليك شِعرك الدّليلُ والسّبيلُ وكلُّ

قصيدةٍ بداية

هل كَتَبْتُ إِلَيْكَ الكوفة؟
ما لهذه اللَّقَالِقِ تحوُّمٍ حول آثار طفولتك؟
أهناكَ نوافِذٌ تتحوَّلُ إلى أجنحة؟
أهناكَ آهاتٌ تصيرُ أنهاراً؟
أهناكَ ألفاظٌ بلمدَ لا تقول غيرَ الجَزْرِ . وألفاظٌ للجَزْرِ لا تقولُ
غيرَ المدِّ؟
وطمَّي الفُراتِ هل تحوَّلَ إلى كتبٍ ورسائل؟
وهل لنباتاته حروفٌ وإيقاعات؟

خُشِدُ أقاويلَ يَلْتَطِمْ بخطواتك يَهْذِرُونَ يَهْرَفُونَ
يحسدونكَ حتَّى على غبارِ قدميك حتَّى على رمادِكَ
يَتَجَيِّشُونَ ضِدَّكَ في قبائلٍ وعشائرٍ في أفخاذٍ وعائلاتٍ

أَدْخَلْنَا في عُلُوكَ
في سكونكَ وحركتك
عَلِمَ تقاطيعنا أَرْقَ مَسَافَاتِكَ
قل لنا هُيَامَكَ وسُلْطَانَ أعشابِهِ
أَرْشَدْنَا إلى حكمة الحروفِ والتقاطِ والفواصلِ
في نَسِيمِكَ وإعصارِكَ

هكذا يكون لنا أن نُعلن

مِنْ عَصْفٍ وَاحِدٍ نَحْنُ

وَرَفُضُنَا يَتَوَحَّدُ بِرَفْضِكَ

هكذا نَتَبَيَّرُ بِكَ وَفِيكَ

وَنَقُولُ هَذِهِ رَايَةُ الْوَقْتِ

وَنَقُولُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مِنْ سُلَالَةٍ وَاحِدَةٍ

وَنَقُولُ الْحُبُّ وَالشَّعْرُ نَحْوُ وَاحِدٍ

وَنَقُولُ أَهْلًا بِالْكِيَمِيَاءِ

بِقَوْسِ قُرْحِ الْعُنَاصِرِ

بِالْعَقْلِ وَالْقَلْبِ فِي إِنْبِيئِهِ وَاحِدٍ

وَمَدَارُنَا التَّحَوُّلِ.

هل يقول الفضاء: لن ألبس الغيم،

هل ينفصل البحر عن أمواجه

والشَّجَرُ: لن أُورِقَ؟

إذن، كيف لا نكون واحداً؟

آه، اهْدِنَا الصَّرَاطَ وَأَوَّلَ وَأَوَّلَنَا

هل يكفي أن نتعلَّم صَبْرَ الْمَاءِ،

وماذا نفعل لِشَرْقٍ بِلَا شَرْقٍ؟

ما العاصِفُ الذي يهبُ؟

ما مجهولُكَ، أيها الشَّعْرُ؟

٧ . الشّاعر

وُلِدَ الْعَصْرُ فِي جُنَّةٍ .

- أ -

الرّمادُ - سأوقظُ من نومهِ أورفيوسَ :
تُراكَ تَعَلَّمْتَ سِرَّ الهبوطِ على درجاتِ الجحيمِ ؟
جَرَّتِ الشَّمْسُ أَرْدَانَهَا حولَ قيثارِهِ الكَلِيمِ ، -
السُّهولُ مرايا تتدافعُ فيها
شهواتُ الشَّجَرِ
والنُّجومُ نساءَ
يَتَفَحَّصُنَ أجسادهنَّ ويفتقنُ ثوبَ القمرِ .

- ب -

ها هُوَ الطَّلُعُ يسألُ ريحَ ضبابيّتهِ :
« كيف أُلقي بِذاري لِعَصْرِ
قال عنه كتابُ نبوّاتهِ :
« لم يَجِئْ قَبْلَهُ
قاتِلٌ مِثْلُهُ » .

- ج -

الرّمادُ - ولكن

ما يقول لِّلَّيْلِ الطَّيِّبَةِ لَيْلُ الْبَشَرِ؟
وأنا لا أكادُ أَصَدِّقُ غَيْرَ الرِّيحِ التي تتدَثَّرُ ثوبَ العُبارِ . وماذا
لم أكن مَرَّةً
كوكباً تابعاً، لن أكونُ
جسدي سفنٌ جارياتٌ ورُبَّأنهنَّ الجنونُ .

- د -

الرَّماذُ - ولكن
ما تُرى ذلك السَّحَرُ يُمَسِّكُ بالأَرْضِ مِنْ عُنُقِها؟ وَظَنِّي
أَنَّ تلكَ النُّجُومَ سَتُصْبِحُ عَمَّا قَرِيبٍ
غُرُفًا وَأَسْرَةً حُبٍّ
وشوارعَ تأتي وتذهبُ في كلِّ ضَوْءٍ .

- هـ -

الرَّماذُ كتابٌ، أَلْكِتابُ رَمادُ
لا الكِتابُ - الرَّماذُ، بل الصَّبَواتُ التي تَتَبَجَّسُ مِنْ عَتَمَاتِ الجَسَدِ
لا الرَّماذُ - الكِتابُ، بل الحُبُّ لا حَدٌّ فِيهِ،
والطَّرِيقُ بلا رايَةٍ
والرِّيحُ تروح وتغدو
في مَهَبِّ الأَبَدِ .

لا الكتاب - الرماد، اكتبني أنت أيتها المعصية
جسد الأغنية

واقرتني: الكون صوتي
غير أن الدروب إليه
مدن مقلّة.

واقرتني: اليوم تدرج آيات حبي وحبك في سور الأسئلة
واقرتني: هيت لك
عاشقي، أيتها الفلك.

الكتاب، الرماد - سأوغل حتى ألامس ما كان خارج لمسي،
ذاك البعيد العصي الذي لا يعبر عنه رماد.
أتأخى مع الضوء،
لا مع تراب ولا مع سماء.
وأصدق ما يتجلى
وأعاشر ترحاله،
وأقول لأحلامي أسبقيني
نحو مجهولك، اغمريني
ببهااته -

زمني خيرة
ومكاني هو اللامكان.
أيها الشيء، شكراً

أَنْتَ سِرُّ الطَّرِيقِ،
وفاتِحَةُ العُنْفِوانِ .

لا أقولُ : الحقيقةُ بيّتي .
لا أقولُ : الضلالُ طريقي ، -

إنّها الكلماتُ التي تتأوّه في مُهْديها
إنّها الكلماتُ التي قُبِدَتْ
والتي عُدْبَتْ
فُصِلَتْ عن هَواها
فُصِلَتْ عن مداها .

هل يكون لنا من جديدٍ كلامٌ
لا كسيفٍ يُهزُّ وعيداً ووَعْداً
بل كبحرٍ كريمٍ لا ضفافٌ لَهُ .

- و -

الرّمادُ - الكتابُ ، وماذا
أَترى لم يعد للقسيْدة من شاعرٍ
يتغنّى بها ويغني لها :
ليس للحبِّ شرْعٌ ،
ليس للشعرِ شرْعٌ .

يشرب الشَّعْرُ، كالحبِّ، ماءَ الحياة، ولكن
من ينابيع مَظْمُوسَةٍ في حنايا الجسد
يَادَنَّا فتدَلِّي
مُريدًا، مَدَد.

- ز -

أَلتُّجُومُ ترنُّ خلايلُها
والرياح اللّواقح في هجرة.
هكذا سأسيرُ إلى الليل ما لا أسِرُّ إلى غيره،
مُلَقِيًا كَتَفَيَّ على جذع زيتونة، -

الرَّماذُ،

وما أكرمَ الشمسَ تأخذ منديلَه
وتغطِّي به قَدميها.
وانظُروا -

ها هي الآنَ تمسُطُ رأسَ الفضاء، وتُجلس في حِضْنِها بيتنا.

الرَّماذُ - ولكُنِّي

لا أدوّنُ، بل أفتح الجرحَ في غَيِّبِ الدَّلالة
لا أدوّنُ، بل أتعلّم أن أشرب الكونَ حتّى الثُّمالة.

الرَّمَادُ - ولكن

أشعرُ الآنَ أَنِّي في حاجةٍ كي أغني

جسدي وَرْدَةً وفكري عِطْرًا.

(باريس - برلين ٢٠٠١)

للشاعر

(آثرنا، اختصاراً، أن نكتفي بالإشارة إلى الطبعتين الأولى، والأخيرة).

(١) شعر

- قصائد أولى، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- أوراق في الريح، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل،
ط١ المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- المسرح والمرايا، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- وقت بين الرماد والورد، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.
- هذا هو اسمي، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

مفرد بصيغة الجمع، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧؛

طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب القصائد الخمس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

كتاب الحصار، دار الآداب، بيروت ١٩٨٥.

شهوة تتقدم في خرائط المادة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧.

احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أبجدية ثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٤.

الكتاب I، دار الساقبي، بيروت، ١٩٩٥.

الكتاب II، دار الساقبي، بيروت، ١٩٩٨.

فهرس لأعمال الريح، دار النهار، بيروت.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛

ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥؛

ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥؛

الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

(٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛

ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.

زمن الشعر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛

ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

الثابت والمتحوّل، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب،
الطبعة الثامنة (طبعة جديدة، مزيّدة ومنقّحة، في أربعة أجزاء):

- ١ - الأصول،
 - ٢ - تأصيل الأصول،
 - ٣ - صدمة الحداثّة وسلطة الموروث الديني،
 - ٤ - صدمة الحداثّة وسلطة الموروث الشعري.
- دار الساقى، ٢٠٠١.
- فاتحة لنهايات القرن، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠؛
الطبعة الثانية، دار النهار، بيروت.
- سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.
- الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.
- كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.
- الصوفية والسوريالية، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٢.
- النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.
- النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.
- ها أنت أيها الوقت، (سيرة شعرية ثقافية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

٤) مختارات

- مختارات من شعر يوسف الخال، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٢.
- ديوان الشعر العربي،
- الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
- الكتاب الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
- الكتاب الثالث، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨.
- ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء)، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.
- مختارات من شعر السيّاب، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧.
- مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

- مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- مختارات من الكواكبي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- (الكتب الستة الأخيرة، وُضعت بالتعاون مع خالدة سعيد).

(٥) ترجمات

- حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
- السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
- مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
- البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
- السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
- سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
- مسرح جورج شحادة، طبعة جديدة، بالعربية والفرنسية، دار النهار، بيروت.
- الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس.
- منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦؛
- طبعة جديدة، دار المدى، دمشق.
- منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨.
- مسرح راسين
- فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩.
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.
- كتاب التحولات، أوفيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢.

1. The first part of the document is a list of names and dates, which appears to be a roster or a list of participants in a meeting or conference. The names are written in a cursive script, and the dates are written in a more formal, printed style. The list is organized into two columns, with names on the left and dates on the right. The names are: John A. Smith, James B. Jones, William C. Brown, Thomas D. White, Charles E. Green, and Robert F. Black. The dates are: January 1, 1880, February 1, 1880, March 1, 1880, April 1, 1880, May 1, 1880, and June 1, 1880.

Handwritten text along the right margin, possibly a list or index.

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

علي مولانا

ISBN 1 85516 535 X

